

البيان المفهم

لشرط البخاري ومسلم

ومنهج الحاكم في التصحيح على شرطيهما

محمد بن حناش الغبيري



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله تعالى على سيدنا محمّد وعلى آله وسلّم

الحمد لله الذي اصطفى من علماء هذه الأمة طائفةً فخصّهم بنبية المصطفى، سيدنا محمّد صلى الله تعالى عليه وآله وسلّم، وأشغَلَ ذواتهم وأولَعَ قلوبهم بعلوم الحديث الشريف، فعنوا به عنايةً تامّةً مع الصّدق والوفاء، وصار الحديثُ النبوي بفضل جهودهم الجبّارة نقيّاً مُصنّفاً.

فكان منهم نَقْلَةٌ ضابطون بالصّدور والكتاب، لا تعزّب عنهم كلمةٌ من كلام النبي صلى الله عليه وسلّم، ولا يفوتهم حرفٌ من حديثه، إلا ضبطه كتابٌ هذا وصدُرُ ذاك، وبذلك حُفِظَت السُّنَّةُ من التبديل والتغيير والزيادة والنقصان.

قيل لابن المبارك: هذه الأحاديثُ المصنوعة؟ قال: «يعيش لها الجهابذة»، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ^(١).

ومنهم من تصدّى لنقد الأسانيد والمتون، وتعديل الرجال المعدّلين، وتجريح الضعفاء والمتروكين، فعُرِفَ الكذبُ والمصنوع، والمُخْتَلَقُ والموضوع، والمقبول والمردود، والثقة والصّدوق والضعيف، ولم يبق لأصحاب الأهواء والأغراض الفاسدة سوقٌ نافقة، وانكشف عوارهم، وظهر كذبهم وتزويرهم، وكسدت تجارتهم.

ومنهم من عني بجمع ما تفرّق من المصطلحات، والقواعد الماثورة في المصنفات، والجارية على ألسنة أهل هذه الصناعة، فضبطوها وحرّروها حتى كثرت في هذا النوع التصانيف.

فرحمةُ الله ورضوانه على الأئمة المرضيين، والأعلام السابقين، والقُدوة الصالحين، من

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣/١)، والكامل لابن عدي (٥/٤٣)، والتمهيد لابن عبد البر (١/٦٠)، والكفاية للخطيب (ص ٣٦).

أهل الحديث وفقهائهم قرناً بعد قرن، فلو لا اهتباؤهم بنقله، وتوفرهم على سماعه وحمله، واحتسابهم في إذاعته ونشره، وبحثهم عن مشهوره وغريبه، وتنخيلهم لصحيحه من سقيم، لضاعت السنن والآثار^(١).

والمشتغلون بعلم الحديث في زماننا، لا يسعهم إلا الرجوع إلى مصنفاتهم، والأخذ بأقوالهم، ولا يسوغ لهم أن يتدعوا قولاً لم يسبقوا إليه، ولا أن ينتحلوا مذهباً جديداً ليس لأسلافهم رأي فيهِ، فهم عيال على كتبهم، ومن عرف قدر السلف عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام، وكثرة الجدل والخصام، والزيادة في البيان على مقدار الحاجة، لم يكن عيلاً ولا جهلاً ولا قصوراً، وإنما كان ورعاً وخشيةً لله، واشتغالاً عما لا ينفع بما ينفع، وسواء في ذلك كلامهم في أصول الدين وفروعه، وفي تفسير القرآن والحديث، وفي الزهد والرقائق، والحكم والمواعظ، وغير ذلك مما تكلموا فيه، فمن سلك سبيلهم فقد اهتدى^(٢)، لأنهم كانوا إذا تكلموا يتكلمون عن علم، وإذا سكتوا يسكتون عن علم.

قال محمد بن أبي حاتم الوراق: رأيت البخاري استلقى على قفاه يوماً ونحن بفرب في تصنيف التفسير، وكان أتعب نفسه في ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث، فقلت له: يا أبا عبد الله، سمعتك تقول يوماً: «إني ما أتيت شيئاً بغير علم قط منذ عقلت»، فأني علم في هذا الاستلقاء؟ فقال: أتعبنا أنفسنا في هذا اليوم، وهذا ثغر من الثغور خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو فأحببت أن أستريح وأخذ أهبة ذلك، فإن غافصنا^(٣) العدو كان بنا حراك^(٤).

بيد أن للمتأخر حق الاستدراك والتصحيح، والانتقاء والتمحيص، لكلام المتقدمين من أئمتنا رحمهم الله تعالى، قال ابن عباس، ومجاهد، ومالك رضي الله عنهم: «ليس أحد إلا

(١) الإلماع للقاضي عياض (ص ٧).

(٢) فضل علم السلف لابن رجب (ص ٩٢ / ٩٣).

(٣) غافصه أي أخذه على غرة. لسان العرب (٧ / ٦١).

(٤) تاريخ بغداد (٢ / ٣٣٢ / ٣٣٣).

يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ، غَيْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(١).

فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَلَا حَجْرَ عَلَيْنَا وَلَا حَرَجَ، أَنْ نَخْتَارَ مِنْ أَقْوَالِهِمْ أَصُوبَهَا، وَمِنْ آرَائِهِمْ أَحْسَنَهَا، وَنَرُدَّ مَا تَبَيَّنَ لَنَا ضَعْفُهُ أَوْ شَذُوذُهُ، أَوْ كَانَ بَعِيداً عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَهُوَ نَادِرٌ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَتَجْدِيدُ عِلْمِ الْمِصْطَلَحِ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى تَقْوِيَتِهِ بِالْأَدْلَةِ وَدَعْمِهِ بِالْأَمْثَلَةِ، أَوْ بِتَكْمِيلِ نَاقِصٍ، أَوْ تَقْدِيمِ رَاجِحٍ عَلَى مَرْجُوحٍ، أَوْ التَّنْبِيهِ عَلَى خَطَأٍ وَتَصْحِيحِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، مِنْ غَيْرِ قَدَحٍ فِي صَاحِبِهِ، وَلَا تَنْقِصٍ مِنْ قَدْرِهِ وَصِحَّةِ فَهْمِهِ، فَلَا بَأْسَ بِهِ إِذَا قَامَ بِهِ مَتَخَصِّصٌ فِي هَذَا الْفَنِّ، لَهُ فِيهِ تَحْقِيقٌ وَاطِّلَاعٌ، وَعِلْوٌ كَعِبٍ وَطَوَّلٌ بَاعٍ.

وَالْمَشْتَغَلُ بِهَذَا الْعِلْمِ الشَّرِيفِ يَحْتَاجُ إِلَى ضَبْطِ قَوَاعِدِهِ، وَاسْتِحْضَارِ الْأَقْوَالِ فِي مَسَائِلِهِ، وَتَحْرِيرِهَا تَحْرِيراً دَقِيقاً، وَمِنْ أَهَمِّ مَا يَنْبَغِي الْإِعْتِنَاءُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: «صَحِيحٌ عَلَى شَرَطِ الْبُخَارِيِّ، أَوْ عَلَى شَرَطِ مُسْلِمٍ، أَوْ عَلَى شَرَطِهِمَا»، وَمَا وَقَعَ فِيهِ مِنَ الْخِلَافِ فَهُوَ بَسِيطٌ وَغَيْرُ مُؤَثِّرٍ، لِأَنَّهُ مِنْ قَبِيلِ الْإِصْطِلَاحِ، وَلَا مَشَاحَةَ فِيهِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ.

وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ عُلَمَاءَ الْأُمَّةِ اتَّفَقُوا عَلَى عُلوِّ مَكَانَةِ «الصَّحِيحِينَ»، لَجَلَالَةِ قَدْرِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، وَتَمَكُّنِهِمَا فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ رَوَايَةً وَدَرَايَةً، وَحِفْظِ مَتُونِهِ، وَمَعْرِفَةِ صَحِيحِهِ وَسَقِيمِهِ، وَرَجَالِهِ الثَّقَاتِ وَالْمَجْرُوحِينَ، وَتَحَرِّيهِمَا الدَّقَّةَ الْعَالِيَةَ وَالِإِتْقَانَ الْمُتَيْنَ، فِي اسْتِخْرَاجِ الْعِلَلِ الْخَفِيَّةِ، وَاسْتِنْبَاطِ الْمَعَانِي الْفَقْهِيَّةِ، وَالِدَّلَالَاتِ اللَّفْظِيَّةِ، نَاهِيكَ بِمَا فِي تَرَاجُمِ الْبُخَارِيِّ مِنْ فَوَائِدَ وَفَرَائِدَ، حِيرَتِ الْأَفْكَارَ، وَأَدْهَشَتِ الْعُقُولَ وَالْأَبْصَارَ، حَتَّى قِيلَ: «فَقَّهُ الْبُخَارِيُّ فِي تَرَاجُمِهِ».

وَذَلِكَ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ النُّفُوزِ فِي غَوَامِضِ

(١) خَيْرُ الْكَلَامِ فِي الْقِرَاءَةِ خَلْفَ الْإِمَامِ لِلْبُخَارِيِّ (ص ٦)، وَالْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ لِلطَّبْرَانِيِّ (١١ / ٣٣٩)، وَالْحَلِيَّةُ لِأَبِي نَعِيمٍ (٣ / ٣٠٠)، وَالْمَدْخَلُ لِلْبَيْهَقِيِّ (٢ / ٥٢٨)، وَجَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ (٢ / ١٨٢)، وَالْفَقِيهَ وَالْمُتَفَقِّهَ لِلْخَطِيبِ (١ / ١٧٦)، وَالسِّرُّ لِلذَّهَبِيِّ (٨ / ٩٣).



المعاني، والخلوص من مبهماتهما، والغوص في بحارها، والاقتناص لشواردها^(١)، وأخذ عنه ذلك تلميذه مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى.

وزادهما جلالة ورفعة قدر ما اتصفا به من الديانة والأمانة، وإخلاص النية لله تعالى، فكتب الله بذلك لكتابتيهما من الشهرة والنفع والبركة ما لم يُعرف لكتابٍ آخر في سائر الأمة، وجعل لهما القبول الكامل عند الخاصة والعامة، فمنذ ظهور ذينك الكتابين المباركين عكف عليهما العلماء حفظاً وتحفيظاً، وقراءة وإقراءً، ودراسةً وتدريساً، ووضعوا عليهما شروحاتٍ مختلفة لا تُحصى، ومختصرات ومستخرجات، واعتنوا بضبط ما فيهما من الروايات، ووصل المنقطعات، وتمييز المشكلات، وتقييد المهملات، وكشف المبهمات.

وبلغ حبُّ الناس وتعلقهم بالكتابين، أن تبركوا بـ«صحيح البخاري» ورجاله، واشتهر عندهم بالتواتر ورواه الشيوخ والأكابر: أن «صحيح البخاري» ما قرئ في شدة إلا فرجت، ولا رُكب به في مركبٍ فغرقت^(٢).

وأجمعت الأمة - وإجماعها معصومٌ - على صحة ما فيهما من الأحاديث المسندة، وجعلوه في الدرجة العليا التي لا درجة بعدها، وأطبقوا على الرجوع إلى حكم الشيخين، والتسليم لهما فيما رَوَيَا، واعتمدوا مَنْ أخرجاه من الرواة واحتجا بحديثه، حتى قيل في الرجل يُحتجُّ به في الصحيح: «إنه جاز القنطرة».

وبناءً على ما تقدم كان مروئيهما أعلى درجات الصحيح وأرفعاه، ثم ما انفرد به البخاريُّ، ثم ما انفرد به مسلمٌ، ثم ما كان على شرطهما، ثم ما كان على شرط البخاري وحده، ثم ما كان على شرط مسلمٍ وحده، ثم ما كان على شرطٍ غيرهما^(٣).

وإنما كان مروئيهما أرفعَ الصحيح لاشتغالهما على أعلى الأوصافِ المقتضية للصحة، وتقاعد

(١) إفادة النصيح لابن رشيد (ص ٢٦).

(٢) بهجة النفوس لابن أبي جمرة (١/٦)، وهدي الساري (ص ١٣).

(٣) مقدمة ابن الصلاح (ص ١٦٩/١٧٠)، وشرح التبصرة والتذكرة (١/٦٥).



ما كان على شرطهما لكون ما أخرجه أحدهما تلقته الأمة بالقبول، فاكسب بذلك قوةً على غيره من الصحيح مما لم يخرجها أحدٌ منهما.

ولما كان للصحيحين تلك المنزلة الرفيعة اهتم أهل الحديث بشرط الشيخين، و ألزموهما إخراج أحاديث على شرطهما لم يخرجها في «الصحيحين»، كما فعل الدارقطني والحاكم وغيرهما.

وكان التصحيح على شرط الشيخين من الأهمية بمكان، لأنه يأتي في المرتبة المباشرة بعد أحاديث «الصحيحين» التي أجمعت الأمة على قبولها، بل نقل ابن طاهر المقدسي في كتابه «صفوة التصوف» الإجماع على صحة ما كان على شرطهما^(١). بل ذهب بعض أهل العلم إلى أن كلمة «شرط» تُطلق على ما تحققت فيه أعلى شروط الصحة ودرجاتها المعتبرة عند الشيخين، دون ما كان في الدرجات الدنيا.

لما تقرر عندي ذلك كله، ورأيتُ بعض الناس قد تساهلوا في إطلاق الحكم بالصحة على شرط الشيخين، لاسيما في هذه الأعصار، قوي عزمي، بفضل الله تعالى وتوفيقه، على تحقيق «شرط البخاري ومسلم» وتبيين معناه ببيانٍ مُفَصَّلٍ لطلاب الحقائق من طلبة علم الحديث، فاستعنتُ الله تعالى على بلوغ غايته، وبذلتُ ما في وسعي لجمع شتات متفرقاته، والتوفيق بين مختلف أجزائه، بأوضح عبارة، مقسماً أجزاءه مؤتلفة الأوزان، متناسبة الوجوه، مستوفاةً بالتمام، متحريراً في ذلك التوسط المحمود، ومتجنباً التطويل الممل والاختصار المخل، إذ القصد الإفادة لا الإشادة، فإن فاتك - أيها القارئ الكريم - المقصود الذي رجوته لك، فلا يفوتنك ما حصَّلته لك في خاتمة كلِّ باب، والله الموفق للصواب، ومنه تبارك وتعالى نرجو الثواب وحسن المآب، وعليه وحده الاتكال في الأقوال والأفعال، ولا حول ولا قوة إلا

(١) صفوة التصوف لابن طاهر المقدسي (ص ٢٩٩)، وشروط الأئمة له (ص ٨٦). ورَدَّه ابنُ الملقن بقوله: أغرب ابنُ طاهر المقدسي فنقل الإجماع أيضاً على ما كان على شرطهما. المقنع في علوم الحديث لابن الملقن (ص ٧٨).



بالله العلي العظيم، وسميته: البيان المفهم لشرط البخاري ومسلم.

والله تعالى أسأل أن ينفع به ويجعله خالصاً لوجهه، ويثقل به ميزان حسناتي، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.



الفصل الأول

المبحث الأول: حدُّ الحديث الصحيح

الحديثُ الصحيح عند المحدثين هو ما نقله عدلٌ تامُّ الضبط واتَّصل سنُّه مع سلامته من الشذوذ والعلة. وهذا القدرُ مجمعٌ على صحته.

قال ابنُ دقيق العيد: مدار الحديث الصحيح على صفة العدالة مع التيقظ، فمن لم يقبل المرسل زاد: وأن يكون مسنداً، وزاد أهلُ الحديث: ألا يكون شاذاً ولا معللاً. وفي هذين الشرطين نظراً على مقتضى مذهب الفقهاء، فإن كثيراً من العلل التي يُعلل بها المحدثون لا تجري على أصول الفقهاء^(١).

واعترض عليه الحافظُ زين الدين العراقي في «نكته على ابن الصلاح» فقال: كون الفقهاء والأصوليين لا يشترطون في الصحيح هذين الشرطين لا يُفسد الحدَّ عند من يشترطهما، لأن من يُصنّف في علمٍ إنما يذكر الحدَّ عند أهله لا عند غيرهم من أهل علمٍ آخر^(٢).

ثم اعلم أن مدار الحديث الصحيح على العدالة والضبط، وهذان الشرطان لا ثالث لهما، فمن كان عدلاً ضابطاً وجب قبولُ خبره وتصحيحُ حديثه، أما وجود العلة والقادح أو انتفاؤهما فهو أمرٌ زائدٌ، ثم هو نسبيٌّ يختلف باختلاف الحفظ وقوته، وسعة البحث وضيقه، وتوفر المصادر وعدمه، فمتى ما بلغ الحافظُ المعتمد جهده في الاستقراء والتتبع إلى الحدِّ الذي تطمئن إليه نفسه، فإنه يحكم بانتفاء العلة، لقصوره عن إدراكها والوقوف عليها، مع إمكان وجودها في نفس الأمر.

قال ابن الصلاح في «المقدمة»^(٣): إن المصنف المعتمد منهم إذا اقتصر على قوله: «إنه

(١) الاقتراح لابن دقيق العيد (ص ١٨٦ - ١٨٧)، والموقظة للذهبي (ص ٢٤).

(٢) التقييد والإيضاح (ص ٩/٨).

(٣) مقدمة ابن الصلاح (ص ١٨٥).



صحيح الإسناد» ولم يذكر له علة ولم يقدح فيه، فالظاهر منه الحكم له بأنه صحيح في نفسه، لأن عدم العلة والقادح هو الأصل والظاهر.

وتعقبه الحافظ ابن حجر في «النكت»^(١) بقوله: لا نُسلّم أن عدم العلة هو الأصل، إذ لو كان هو الأصل ما اشترط عدمه في شرط الصحيح.

ومثله في «فتح المغيث» للسخاوي^(٢) وزاد: هذا بالنظر إلى أن هذا الإمام المصنف إنما أطلق بعد الفحص عن انتفاء ذلك، وإلا فلو كان عدم العلة والقادح هو الأصل مطلقاً ما اشترط عدمه في الصحيح.

وقال الحافظ أحمد ابن الصديق الغماري: مدار صحة الحديث على أمرين لا ثالث لهما، وهما: الضبط، والعدالة، فمن اتصف بهما وجب أن يكون خبره مقبولاً وحديثه صحيحاً، لأن بالضبط يؤمن الخطأ والخلل، وبالعدالة يؤمن الكذب والاختلاق^(٣).

والمشروطون لانتفاء الشذوذ والعلة في حدّ الحديث الصحيح ترد عليهم أمور:

الأول: أن الحكم بعدم وجود العلة والقادح أمر نسبي يختلف باختلاف الحفظ، وسعة الاطلاع، وضيق العطن عند البحث، وتوفر المصادر وعدمه، وغير ذلك، وهذا أمر لا ضابط له.

فإن قيل: إن انتفاء الشذوذ والعلة مشروط فيما يرجع إلى نفس الباحث لا إلى نفس الأمر، قلنا: إذا كان الأمر كما قلتم فلا يصح إذا ردّ تصحيح الأئمة المتقدمين لأحاديث تبين للمتأخرين أن بها عللاً قادحة، وعليه يكون الحديث صحيحاً عند قوم ضعيفاً عند قوم آخرين.

(١) النكت على ابن الصلاح لابن حجر (١/٤٧٤).

(٢) فتح المغيث للسخاوي (١/١٦٢/١٦٣).

(٣) فتح الملك العلي لأحمد الغماري (ص ٥٢).

الثاني: وجود عللٍ يُعَلَّلُ بها المحدثون ولا تكون قاذحة.

الثالث: أن التعليل أمرٌ خفي لا يقوى عليه إلا نقادُ أئمة الحديث وجهابذته أمثال أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، وأبي حاتم وأبي زرعة الرازيين، والبخاري، والترمذي، والدارقطني، وغيرهم، أما التصحيح والتضعيف فبابه مفتوحٌ لكلٍ مشغولٍ بهذا العلم على الصحيح، خلافاً لبعضهم، وسيأتي الكلام عليه في موضعه إن شاء الله.

ولهذه النكتة منع ابنُ الصلاح رحمه الله مسألة التصحيح في الأزمان المتأخرة.

فقال في «مقدمته»: «إذا وجدنا فيما يُروى من أجزاء الحديث وغيرها حديثاً صحيحاً الإسناد ولم نجدْه في أحدِ الصحيحين، ولا منصوباً على صحته في شيءٍ من مصنفات أئمة الحديث المعتمدة المشهورة، فإننا لا نتجاسر على جزمِ الحكم بصحته فقد تعذر في هذه الأعصارِ الاستقلالُ بإدراكِ الصحيح بمجردِ اعتبارِ الأسانيد»^(١).

وكلامه هذا، وإن خالفه الحفاظ فيه وردُّوه عليه، فإن له مخرجاً حسناً ذكره الحافظ السيوطي في «التنقيح»، فقال: إن الذي منعه ابنُ الصلاح إنما هو الصحيح لذاته، فإذا أراد أحدٌ أن يحكم بالصحة على حديثٍ بسندٍ من طريقٍ واحدٍ لم تتعدد طرقُه، لاتصاله وثقة رجاله، ولم يوجد لأحدٍ من أئمة الحديث الحكمُ عليه بالصحة، فهذا ممنوعٌ قطعاً، لأن مجرد ذلك لا يُكفَى به في الحكم بالصحة، بل لا بُدَّ من فقدِ الشذوذ ونفي العلة، والوقوف على ذلك الآن متعسر، بل متعذر، لأن الاطلاع على العلل الخفية إنما كان للأئمة المتقدمين^(٢).

أما الشذوذ، فقد عرفوه بمخالفة الثقة لمن هو أوثق منه أو أكثر عدداً، وهذا أمرٌ لا يلزم منه عدمُ الصحة، بل غايته أن يكون مرجوحاً والآخرُ راجحاً.

ثم إن اشتراط عدم الشذوذ بعد ثبوت العدالة والضبط من باب تحصيل الحاصل، لأن

(١) معرفة أنواع علم الحديث لابن الصلاح (ص ١٥٩).

(٢) التنقيح في مسألة التصحيح للسيوطي (ص ١٩ / ٢١).



الراوي إذا ثبتت عدالته وضبطه دلّ ذلك على أنه يحفظ مروياته، وأن الوهم والمخالفة لا يتطرقان إلى شيء منها، وإلا لما كان ضابطاً، و الافتراض أنه ضابط فهذا خلف! وبناء على هذا الأصل يكون الشذوذ منفيّاً.

وأيضاً إن اشتراط نفي الشذوذ في الحديث الصحيح مُشكّلٌ من حيث إنهم يعرفونه بمخالفة الثقة لمن هو أوثق منه، ثم يختلفون فيما إذا تعارض الوصل والإرسال فبعض المحدثين يرون تقديم الوصل على الإرسال مطلقاً، فيكون الشاذ محكوماً له بالصحة والفرض اشتراطهم في الصحيح ألا يكون شاذاً وهذا خلف أيضاً!!

وقد حاول الحافظ ابن حجر رحمه الله أن يُجيب عن هذا الإشكال فقال في «نكته»: إن اشتراط نفي الشذوذ في شرط الصحة إنما يقوله المحدثون، وهم القائلون بترجيح رواية الأحفظ إذا تعارض الوصل والإرسال^(١).

وفيه نظر، فإن الواصل إذا كان ثقةً وجب قبول زيادته، لأن الزيادة التي أتى بها الواصل ليست بمخالفة للرواية الخالية منها حتى تُعدّ علةً يُردّ بها الحديث، وإنما هو ثقةٌ حفظ ما لم يحفظه غيره، وكثيراً ما يُعلّل النقاد بهذه العلة، وليس الأمر كذلك، إلا إذا كانت الزيادة تخالف أحاديث الثقات، فإذا انتفت المخالفة انتفت العلة.

ثم إن طائفة من أهل الحديث يطلقون الشذوذ على ما انفرد به الثقة، ولا أحد ينكر أن في الصحيح العديد من الأفراد والغرائب.

وفي هذا القدر كفاية وإنما أردتُ أن أنبه على أن مدار صحة الحديث على العدالة والضبط مع اتصال السند، وكل ما يشترطونه بعد ذلك من انتفاء العلة والشذوذ فأمور ثانوية، والله أعلم.

ثم رأيت الحافظ ابن حجر جنح إلى شيء من هذا فقال في «النكت»، في معرض ترجيحه

(١) النكت لابن حجر (٢/٦٥٤).



لكتاب البخاري على كتاب مسلم: «وأما من حيث التفصيل فيترجح كتاب البخاري على كتاب مسلم، فإن الإسناد الصحيح مداره على اتصاله وعدالة الرواة كما بيناه غير مرة»^(١). انتهى المراد منه.

والحديث الصحيح قسمان: صحيح لذاته، وهو الذي ينطلق عليه الحدُّ السابق. وصحيحٌ لغيره، وهو الحسن لذاته إذا تعددت طرقُه، وفي «الصحيحين» من هذا الضرب أمثلة كثيرة.

وذكر الحافظ ابن حجر في «نكته على ابن الصلاح» أنه اعتبر كثيراً من أحاديث «الصحيحين» فوجدها لا يتم الحكم عليها بالصحة إلا بالمتابعات والشواهد لقصور رواياتها عن درجة الصحيح^(٢).

ويشهد له قول الذهبي: فما في «الصحيحين» بحمد الله رجلٌ احتجَّ به البخاري أو مسلم في الأصول ورواياته ضعيفة، بل حسنة أو صحيحة، ومن خرَّج له البخاري أو مسلم في الشواهد والمتابعات، ففيهم من في حفظه شيء، وفي توثيقه تردد^(٣).

قال الصنعاني في «توضيح الأفكار»: ومما تقدم يتضح أن صحيح مسلم فيه الصحيحُ والحسن، فأهل الطبقة الأولى معروفون بتمام الضبط المأخوذ قيدا في رسم الصحيح، أما أهل الطبقة الثانية فهم الذين خفَّ ضبطهم، وهؤلاء هم شرط الحسن^(٤).

ومن عادة صاحبي «الصحيحين» أنها إذا خرَّجا لمن عُرف بالضعف فإنهما ينتقيان من أحاديثه ما حفظه ولم يغلط فيه، ويُعرف ذلك بعرض أحاديثه على أحاديث الثقات، فما وافق

(١) النكت لابن حجر (٢٨٦/١). لكنه في مقدمة الفتح (ص ١١) زاد: «وعدم العلل».

(٢) النكت لابن حجر (٤١٧/١).

(٣) الموقظة للذهبي (ص ٨٠).

(٤) توضيح الأفكار (١٠٧/١).

قُبِلَ، وما خالف لم يُقْبَل.

قال مسلم في مقدمة «صحيحه»: وعلامة المنكر في حديث المحدث، إذا ما عرضت روايته للحديث على رواية غيره من أهل الحفظ والرضا، خالفت روايته روايتهم، أو لم تكد توافقها، فإذا كان الأغلب من حديثه كذلك كان مهجور الحديث، غير مقبوله، ولا مستعمله^(١).

والبخاري كثيرُ الاعتماد على منهج الانتقاء في كل مَنْ عُرِفَ بضعفٍ، وكان رحمه الله يقول: «كُلُّ رَجُلٍ لَا أَعْرِفُ صَحِيحَ حَدِيثِهِ مِنْ سَقِيمِهِ لَا أُرْوِي عَنْهُ، وَلَا أَكْتُبُ حَدِيثَهُ»^(٢).

وكذلك فعل مسلم في «صحيحه»، حيث أخرج أحاديث مطر الوراق وغيره من الضعفاء، فإنه ينتخب من أحاديثهم صحاحها.

قال ابن القيم في «الهدى»: ولا عيب على مسلم في إخراج حديثه، لأنه ينتقي من أحاديث هذا الضرب ما يعلم أنه حفظه، كما يطرح من أحاديث الثقة ما يعلم أنه غلط فيه^(٣).

قال العراقي في «شرح التبصرة والتذكرة»: حيث قال أهل الحديث: هذا حديث صحيح، فمرادهم فيما ظهر لنا عملاً بظاهر الإسناد، لا أنه مقطوعٌ بصحته في نفس الأمر، لجواز الخطأ والنسيان على الثقة^(٤).

وفي «البحر الذي زخر»: إذا قيل: هذا حديثٌ صحيحٌ، فالمراد بحسب الظاهر، وما اقتضاه إسنادُه، لا أنه مقطوعٌ به في نفس الأمر، لجواز الخطأ والنسيان على الثقة، وكذا إذا قيل: حديثٌ ضعيفٌ فالمراد أنه لم يصح إسنادُه فحكم بضعفه، عملاً بظاهر الإسناد لا أنه

(١) مقدمة صحيح مسلم (١/٥).

(٢) العلل الكبير للترمذي (ص ٣٩٤).

(٣) زاد المعاد (١/٣٥٣).

(٤) شرح التبصرة والتذكرة (١/١٥).



كذب في نفس الأمر لجواز صدق الكاذب وإصابة من هو كثير الخطأ^(١).

قال شيخنا المحدث عبد العزيز الغماري: ليس معنى كون الراوي ثقةً ضابطاً أن تكون مروياته كلها صواباً، وإنما معنى ذلك أن يكون صوابه أكثر من خطئه، وضبطه أكثر من وهمه، ولذا لا تجد إماماً من أئمة الحديث مهما علا قدره لم يهتم في رواياته ولم يخطئ في ضبطه، ولكن لما كان الضبط هو الأكثر والأغلب عليهم لم يلتفت إلى خطئهم ولم يؤثر في رواياتهم. وغير الضابط لأغلب أحواله قد يأتي بأحاديث مستقيمة في بعض الأحيان، ولكن لكثرة وهمه وقلة ضبطه لم تبق الثقة في مروياته، وصار أمر حديثه يحتاج إلى تقوية من متابع أو شاهد^(٢).

والحاصل أن حديث الضعيف لا يُترك كله ولا يُقبل جلّه، بل يُترك ما أخطأ فيه، ويُقبل ما أصاب فيه، كما أن حديث الثقة لا يُقبل منه إلا ما أصاب فيه، أما ما علم أنه أخطأ فيه فلا. والفرق بينها أن الثقة يُصيب في الغالب ويندر وجود الخطأ في مروياته، بخلاف الضعيف.



(١) البحر الذي زخر (١/ ٣٣٣).

(٢) الباحث عن علل الطعن في الحارث لعبد العزيز الغماري (ص ١٩ / ٢٠).

المبحث الثاني: أول من صنّف الصحيح

أول من صنّف في الصحيح المجرّد المعتر عند أئمة الحديث: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، صنّف كتابه المسمى: «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وسننه وأيامه»^(١).

❁ الباعث على تصنيف «الجامع الصحيح»:

ثلاثة أسباب حملت الإمام البخاري رحمه الله تعالى على تأليف جامع الصحيح:

السبب الأول: ما رواه إبراهيم بن معقل النسفي (ت ٢٩٥هـ) عن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري قال: كنا عند إسحاق بن راهويه فقال: لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قال: فوق ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح^(٢).

ففي هذه الرواية أن القائل هو شيخه إسحاق بن راهويه، وفي رواية أخرى أن القائل بعض أصحابه. فيحتمل أنه سمعه أولاً من بعض أصحابه، ثم سمعه من شيخه فقوي عزمه عليه.

قال الحاكم أبو عبد الله: حدثونا عن محمد بن إسماعيل أنه قال: كنا على باب إسحاق بن إبراهيم بنيسابور فسمعت أصحابنا يقولون: لو جمع جامع مختصر صحيح تُعرف به الآثار فأخذت في جمع هذا الكتاب^(٣).

(١) سيأتي الكلام عن تحقيق هذا الاسم.

(٢) هدي الساري (ص ٧).

(٣) المدخل الى الصحيح للحاكم (٩٣/٤)، وتاريخ بغداد (٣٢٦/٢)، وتاريخ دمشق (٧٢/٥٢)، والتعديل والتجريح للباقي (٣٠٩/١)، وشروط الأئمة الخمسة للحازمي (١٦٣/١٦٢)، وتهذيب



السبب الثاني: ما ذكره الحافظ ابن حجر في «مقدمة الفتحة» قال: اعلم علمني الله وإياك أن آثار النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن في عصر أصحابه وكبار تبعهم مُدَوَّنةً في الجوامع ولا مُرتبةً لأمرين: أحدهما: أنهم كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك كما ثبت في «صحيح مسلم» خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم.

الثاني: لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم، ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة، ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار لما انتشر العلماء في الأمصار وكثر الابتداء من الخوارج والروافض ومنكري الأقدار... فلما رأى البخاري رضي الله عنه هذه التصانيف ورواها، وانتشق رياها واستجلى محياها، وجدها بحسب الوضع جامعةً بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين، والكثير منها يشمله التضعيف، فلا يُقال لِغَثِّه سمينٌ، فحرك همته لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب فيه أمين^(١).

السبب الثالث: ما رواه محمد بن سليمان بن فارس الدلال (ت ٣١٢هـ) قال: سمعتُ البخاري يقول: رأيتُ النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وكأني واقف بين يديه، وبيني مِرْوَحَةٌ أَذُبُّ بها عنه، فسألتُ بعضَ المعبرِّين فقال لي: أنت تَذُبُّ عنه الكذب. فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح^(٢).

ثم تلا البخاري تلميذه الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ) فصنف كتابه: «المسند الصحيح»، استجابةً لطلب صاحبه ومرافقه في الارتحال والتحصيل: الحافظ أحمد بن سلمة النيسابوري (ت ٢٨٦هـ).

الأسماء واللغات للنووي (١/١٤٣)، وتهذيب الكمال للزمري (٢٤/٤٤٢). وانظر تاريخ الإسلام للذهبي (٦/١٤٠)، وطبقات الشافعية لتاج الدين السبكي (٢/٢٢١).
(١) هدي الساري (ص ٦).

(٢) هدي الساري (ص ٧)، وتهذيب الأسماء للنووي (١/١٤٣). قال الحافظ ابن حجر: وروينا بالإسناد الثابت .. وذكر القصة، فيحتمل أنه أخذها من «شمائل البخاري» لمحمد بن أبي حاتم الوراق تلميذ البخاري. انظر تدريب الراوي تحقيق محمد عوامة (٢/٢٦٧).



فقد ذكر الخطيب البغدادي في «تاريخه» في ترجمة أحمد بن سلمة بن عبد الله أنه رافق مسلم بن الحجاج في رحلته إلى قتيبة بن سعيد، وفي رحلته الثانية إلى البصرة وكتب بانتخابه على الشيوخ، ثم جمع له مسلم الصحيح في كتابه^(١).

قال المحقق عبد الفتاح أبو غدة: إن مسلماً ألف كتابه الصحيح قبل أن يصاحب شيخه البخاري في نيسابور^(٢).

❁ الباعث على تصنيف «المسند الصحيح»:

بيّن مسلم رحمه الله الباعث على تصنيف كتابه فقال في مقدمة «صحيحه»: أما بعد، فإنك يرحمك الله بتوفيق خالقك، ذكرت أنك هممت بالفحص عن تعرف جملة الأخبار الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنن الدين وأحكامه، وما كان منها في الثواب والعقاب، والترغيب والترهيب، وغير ذلك من صنوف الأشياء بالأسانيد التي بها نُقلت، وتداولها أهل العلم فيما بينهم، فأردت، أرشدك الله أن تُوقّف على جملتها مؤلفة مُحَصَّاة، وسألتني أن أخصها لك في التأليف بلا تكرار يكثر، فإن ذلك زعمت مما يشغلك عما له قصدت من التفهم فيها، والاستنباط منها، وللذي سألت، أكرمك الله حين رجعتُ إلى تدبره وما تؤول به الحال إن شاء الله، عاقبةً محمودةً ومنفعةً موجودة، وظننتُ حين سألتني تجشم ذلك أن لو عزم لي عليه، وقُضي لي تمامه، كان أول مَنْ يصيبه نفعُ ذلك إياي خاصةً قبل غيري من الناس لأسباب كثيرة يطول بذكرها الوصف^(٣).

فتبين من خلال كلامه أنه قصد إلى جمع جملة من الأحاديث الصحيحة في سنن الدين وأحكامه وغير ذلك من صنوف الموضوعات ملخصةً بلا تكرار كثير ليسهل على الواقف

(١) تاريخ بغداد (٣٠٢/٥)، والكوكب الوهاج (٦٤/١)، والتتمة الثالثة من الأبحاث الحديثية بذيّل الموقظة تحقيق أبو غدة (ص ١٣٨).

(٢) التتمة الثالثة من الأبحاث الحديثية بذيّل الموقظة (ص ١٤٠).

(٣) مقدمة صحيح مسلم (٢/١).



عليها تفهّمها والاستنباط منها، ولا يرتاب في صحتها.

وإلى هذا أشار بقوله: «إنما أخرجتُ هذا من الحديث الصحيح ليكون مجموعاً عندي وعند من يكتبه عني، فلا يرتاب في صحتها»^(١).

وسبب آخر حمله على جمع كتابه والاقتصار فيه على الأحاديث الصحيحة المشهورة، وهو ما رآه عند كثيرين ممن نصبوا أنفسهم محدّثين، من نشرهم الأخبار المنكرة بالأسانيد الضعاف المجهولة، وقذفهم بها إلى العوام الذين لا يعرفون عيوبها، فذلك الذي سهّل عليه الانتصاب لتمييز الصحيح من السقيم، وإنما فعل ذلك نصيحةً للدين وتحذيراً لعوام المسلمين من الانسياق وراء الأحاديث المنكرة والمكذوبة المقدوفة إليهم^(٢).

✽ الصحيحان أصحُّ الكتب بعد القرآن:

وهما أصحُّ الكتب بعد القرآن الكريم، وكتابُ البخاري أصحُّهما وأكثرهما فوائد، وكتابُ مسلم أجودُ ترتيباً، لأنه جمع طُرُق الحديث في مكانٍ واحدٍ، بخلاف البخاري فإنه قطع المتون ثم ساقها في الأبواب المناسبة للأحكام المستنبطة منها.

وكتابُ مسلم أكثرُ تحريراً للألفاظ، لأنه صنّف كتابه ببلده، وبحضور أصوله، وفي حياة كثيرٍ من مشايخه، فكان يتحرز في الألفاظ، ويتحرى في السياق، فلذلك قدّم المصنفون في الأحكام لفظه على لفظ البخاري عند العزو إلى «الصحيحين».

قال القرطبي في «المفهم»: وكتابُ مسلم أحسنُ الأحاديث مساقاً، وأكملُ سياقاً، وأقلُّ تكراراً، وأتقنُ اعتباراً، وأيسرُ للحفظ، وأسرعُ للضبط، مع أنه ذكر صدرأً من علم الحديث، وميّز طبقاتِ المحدّثين في القديم والحديث^(٣).

(١) سؤالات البرذعي لأبي زرعة (٩٠٠)، وصيانة صحيح مسلم (ص ١٠٠).

(٢) مقدمة صحيح مسلم (٦/١).

(٣) المفهم للقرطبي (١٠١/١).

والجمهور على تفضيل كتاب البخاري.

قال ابن الصلاح: كتابُ البخاري أصحُّ الكتابين صحيحاً وأكثرهما فوائد^(١).

وللحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن علي الديبع (ت ٩٤٤ هـ)^(٢):

قالوا لمسلم سَبَقُ قلتُ البخاريُّ جَلَى

قالوا تَكَرَّرَ فِيهِ قلتُ المُكَرَّرُ أَحلى

وله أيضاً:

تنازع قومٌ في البخاري ومسلم لديَّ وقالوا: أيُّ ذين يُقَدَّم

فقلتُ لقد فاق البخاري صنعة كما فاق في حُسن الصِّيَاغة مسلم

وقال الحافظ ابن حجر: وللبخاري الجهة العظمى الموجبة لتقديمه وهي ما ضمنه أبوابه من التراجم التي حيرت الأفكار، وأدهشت العقول والأبصار^(٣).

يُضاف إلى ذلك ما ذكره الإمام القدوة أبو محمد بن أبي جمرة في اختصاره للبخاري المسمى: «بهجة النفوس» قال: قال لي من لقيته من القضاة الذين كانت لهم المعرفة والرحلة عَمَّن لقي من السادة المُقَرَّر لهم بالفضل: «إن صحيح البخاري ما قُرئ في وَقتٍ شِدَّةٍ إلا فُرِجت، ولا رُكِبَ به في مركبٍ فغرقت».

قال: وكان البخاري من الصالحين، وكان مُجَاب الدعوة، وقد دعا لقارئه رحمه الله تعالى^(٤).

فائدة: عن أبي سهل محمد بن أحمد المروزي قال: سمعت أبا زيد المروزي الفقيه يقول: كنتُ نائماً بين الركن والمقام، فرأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي: يا أبا زيد،

(١) معرفة أنواع علم الحديث (ص ١٦٠).

(٢) شذرات الذهب (١٠/٣٦٣)، والنور السافر (ص ٢٩٣).

(٣) هدي الساري (ص ١٣).

(٤) بهجة النفوس (١/٦)، وهدي الساري (ص ١٣).



إلى متى تدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي؟ فقلت: يا رسول الله، وما كتابك؟ قال: جامعُ محمد بن إسماعيل^(١).

وذكر السلفي في «معجم السفر»: أن بعضهم رأى في المنام أبا داود السجستاني صاحب السنن في آخرين مجتمعين وأن أحدهم قال: كلُّ حديثٍ لم يروه البخاري فأقلبُ عنه رأسَ دابتك^(٢).

وفضَّل بعضُ المغاربة كتابَ مسلم على كتابِ البخاري، لأنه ليس فيه بعد خطبته إلا الحديثُ الصحيحُ مسروداً غير ممزوج بمثل ما في كتاب البخاري في تراجم أبوابه من الأشياء التي لم يسندوها أهل الوصف المشروط في الصحيح، وأيضاً فإن مسلماً قد اختص بجمع طرق الحديث في مكانٍ واحد^(٣).

وحكاه القاضي عياض^(٤) عن أبي مروان الطُّبَّي عن بعض شيوخه، وحكاه التجيبي في «برنامج»^(٥) عن أبي محمد بن حزم.

ومال إليه القرطبي في خطبة «المفهم»^(٦).

وقال أبو علي الحافظ النيسابوري (ت ٣٤٩هـ): «ما تحت أديم السماء أصح من كتاب

(١) ذم الكلام للهروي (٣٤١)، وشرح البخاري للنووي (٢١٧/١)، وسير أعلام النبلاء (٤٣٨/١٢)، وهدي الساري (ص ٤٨٩). قال الحافظ ابن حجر: إسناد هذه الحكاية صحيحٌ ورواتها ثقاتٌ أئمةٌ، وأبو زيد من كبار الشافعية، له وجه في المذهب، وقد سمع صحيح البخاري من الفربري وحدث به عنه، وهو أجلُّ من حدث به عن الفربري. تغليق التعليق لابن حجر (٤٢٣/٥).

(٢) معجم السفر للسلفي (٧٧١)، وفتح المغيث للسخاوي (٥٤/١).

(٣) برنامج التجيبي (ص ٩٣)، ومعرفة أنواع علم الحديث (ص ١٦١).

(٤) إكمال المعلم للقاضي عياض (٨٠/١). والطُّبَّي بضم الطاء المهملة وسكون الموحدة نسبة إلى طُبَّنة، مدينة بالمغرب. توضيح المشتبه (٤٠/٦)، وتبصير المنتبه (٨٧٩/٣).

(٥) برنامج التجيبي (ص ٩٣).

(٦) المفهم للقرطبي (١٠٠/١).



مسلم»^(١). فلعله قدم صحيح مسلم لمعنى لا يرجع إلى شرائط الصحة، بل لكون مسلم صنف كتابه في بلده بحضور أصوله في حياة كثير من مشايخه، فكان يتحرّز في الألفاظ، ويتحرّى في السياق، بخلاف البخاري فإنه صنف كتابه في طول رحلته، فكان لأجل هذا ربما كتب الحديث من حفظه فلا يسوق ألفاظه برمتها بل يتصرف فيه ويسوقه بمعناه^(٢).

روى الخطيب بسنده إلى أُحَيْد بن أبي جعفر وَالي بُخَارَى قال: قال مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل يوماً: «رُبَّ حديثٍ سمعته بالبصرة كتبته بالشام، ورُبَّ حديثٍ سمعته بالشام كتبته بمصر». قال: فقلتُ له يا أبا عبد الله بكماله؟ قال: فسَكَتَ^(٣).

وقال الخطيب: حَدَّثْتُ عن أبي عمرو مُحَمَّد بن أحمد بن حمدان الحيري، قال: سمعتُ أبا العباس بن سعيد بن عقدة، وسألتُه عن مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، أيهما أعلم؟ فقال: كان مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل عالماً، ومسلم عالم.

وكررتُ عليه مراراً وهو يجيبني بمثل هذا الجواب، ثم قال لي: يا أبا عمرو قد يقع لمُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل الغلط في أهل الشام، وذاك أنه أخذ كتبهم فنظر فيها، فربما ذكر الواحد منهم بكنيته، ويذكره في موضع آخر باسمه، ويتوهم أنهما اثنان، فأما مسلمٌ فقلما يقع له الغلط، لأنه كتب المسانيد ولم يكتب المقاطيع والمراسيل^(٤).

وعلى هذا المعنى تُخَرِّجُ عبارةُ أبي علي النيسابوري: «ما تحت أديم السماء كتاب أصبح من كتاب مسلم».

ولا يخفى أن البخاري كان آيةً في الحفظ والإتقان، والديانة والأمانة، فحفظه حُجَّةٌ

(١) شروط الأئمة لابن منده (ص ٧١-٧٢)، وتاريخ بغداد للخطيب (١٥/١٢٣)، والجامع له (٢/١٨٥).

(٢) النكت لابن حجر (١/٢٨٣)، وهدي الساري (ص ١٢)، والتدريب (٢/٣٠٣).

(٣) تاريخ بغداد (٢/٣٢٩).

(٤) تاريخ بغداد (١٥/١٢٣/١٢٤)، والسير (١٢/٥٦٥)، وعزاه البقاعي في النكت الوفية (١/١١٢) لتاريخ الحاكم.



وكتابه حجة، و لا ضير عليه أن تُعدَّ عليه أخطاؤه على قِلَّتِها، ولا ينقص ذلك من مكانته ومنزلة كتابه عند الجمهور.

❁ مزايا «صحيح مسلم»:

قال الحافظ في «مقدمة الفتح»: والذي يظهر لي من كلام أبي علي أنه إنما قدَّم «صحيح مسلم» لمعنى غير ما يرجع إلى ما نحن بصدد من الشرائط المطلوبة في الصحة، بل ذلك لأن مسلماً صنف كتابه في بلده بحضور أصوله في حياة كثير من مشايخه، فكان يتحرز في الألفاظ ويتحرى في السياق، ولا يتصدى لما تصدى له البخاري من استنباط الأحكام ليوب عليها، ولزم من ذلك تقطيعه للحديث في أبوابه، بل جمع مسلماً الطرق كلها في مكان واحد، واقتصر على الأحاديث دون الموقوفات فلم يعرج عليها إلا في بعض المواضع على سبيل الدور تبعاً لا مقصوداً^(١).

فدلنا بكلامه على ما تميز به «صحيح مسلم»، وهي ثلاثٌ ميزات:

الأولى: أنه يتحرز في الألفاظ، ويتحرى في السياق.

الثانية: أنه لا يقطع الحديث في الأبواب بل يجمع الأحاديث في باب واحد.

الثالثة: أنه يقتصر على الأحاديث المرفوعة دون الموقوفة.



(١) هدي الساري (ص ١٢)، وتدريب الراوي (٢/٣٠٨).

المبحث الثالث: تحقيق اسمي «الصحيحين»

عنوان الكتاب يزيد المعرفة والثقة به، ويبلغ في النفس مبلغاً كبيراً، إذ يرسم للقارئ الأسس التي بنى المؤلف الكتاب عليها^(١)، لأنه دليل على مضمونه، وعلامة بارزة تميزه عن غيره من الكتب. قال ابن فارس: العين والنون أصلان، أحدهما: يدل على ظهور الشيء وإعراضه، والآخر: يدل على الحبس، فالأول قول العرب: عَنَّا لنا كذا يَعْنُ عُنُوناً، إذا ظهر أمامك... إلى أن قال: ومن الباب: عنوان الكتاب، لأنه أبرز ما فيه وأظهره^(٢).

لذا كان للعلماء والأدباء وغيرهم من المصنفين عناية كبيرة باختيار عناوين مناسبة لكتبهم، وحرص شديد على أن تكون تلك العناوين غاية في الدقة، وجامعة مانعة، وربما اضطر المؤلف في بعض الأحيان إلى تغيير عنوان كتابه عدة مرات حتى يستقر على الاسم المناسب المرضي عنده، فكيف يحق بعد هذا، لأي محقق أو ناسخ مهما علا شأنه، أن يتهاون في تحقيق وضبط عنوان الكتاب، أو يمسسه بشيء من التغيير، وكتاب العالم، كما يقول ابن الجوزي رحمه الله: «وَلَدُهُ الْمُخَلَّد»^(٣).

ولا تغتر بما يكتب على ظهور المخطوطات من عناوين حتى تتحقق أنها من وضع المصنف نفسه، فكم من كتاب ألصق عليه النساخ اسماً يختلف عن اسمه الذي سماه به مصنفه، إما جهلاً، وإما كي يروج ويُبَاع بثمن أعلى من ثمنه^(٤)، أو غير ذلك من دواعي التزييف، وقد ينطمس العنوان أو يُفقد من الورقة الأولى، فيحتاج المحقق حينئذٍ إلى إعمال فكره، ووضع

(١) تحقيق اسمي الصحيحين لأبي غدة (ص ٣٣).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ١٩ / ٢٠).

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي (ص ٣٤).

(٤) توثيق النصوص وضبطها عند المحدثين لموفق بن عبد الله (ص ٨٥).



خبرته، للوصول إلى العنوان الصحيح للكتاب^(١).

ثم إن العنوان قد يقصر حيناً ويطول حيناً آخر إلى سطرٍ أو سطرين حسب ما تدعو إليه حاجة المؤلف، وليكون وافياً بمراده وشرطه في كتابه، كما فعل الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله.

فإنه سَمِيَ كتابه: «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه». وهذا هو الاسم الذي اختاره المؤلف على المشهور.

قال النووي: سماه مؤلفه أبو عبد الله البخاري «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه»^(٢).

وقال ابنُ الملقن: واسمه: «الجامع المسند الصحيح، المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسننه، وأيامه» كذا سماه هو أول كتابه^(٣).

وقد ورد اسمه هكذا عند أبي نصر الكلاباذي (ت ٣٩٨هـ) في أول كتابه: «رجال صحيح البخاري» (١/٢٣).

وعند أبي محمد ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ) في «فهرسته» (ص ٦٤).

وعند ابن خير الإشيلي (ت ٥٧٥هـ) في «فهرست ما رواه عن شيوخه» (ص ٩٤). وعند ابن الصلاح في «معرفة أنواع علم الحديث» (ص ١٦٧).

وعند النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» (١/١٤٢).

وعند العيني في «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١/٥).

(١) تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون (ص ٤٣).

(٢) شرح البخاري للنووي (١/٢١٣).

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٢/٢٦).

وهكذا سماه غير واحد من العلماء^(١).

وسماه القاضي عياض السبتي (ت ٥٤٤ هـ) في «مشارك الأنوار» (١/٩): الجامع المسند الصحيح المختصر من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وسماه الحافظ ابن حجر في «هدي الساري» (ص ٨): الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه^(٢). وهذا الخلاف يحتمل أن يكون سببه الاختصار الذي يتجوزه بعض أهل العلم عند ذكرهم للمصنفات، ويحتمل أنه لاختلاف نسخ البخاري كما هو معلوم، وهذا هو الظاهر.

وقال المحقق عبد الفتاح أبو غدة: الاسم الذي أورده الحافظ ابن حجر فيه قصور، والدقة والتمام فيما ذكره الآخرون، فعند الحافظ ابن حجر قدم لفظ (الصحيح) على (المسند) والأقوم تأخيرها كما جاء عند الآخرين، ونقص عنده لفظ (المختصر من أمور رسول الله) وجاء بدلاً عنه: (من حديث رسول الله)، وما عندهم أدق وأشمل.

(١) انظر برنامج التجيبي (ص ٦٨)، وإفادة النصيح لابن رشيد (ص ١٦)، وتحقيق اسمي الصحيحين لأبي غدة (ص ١٠-١١).

(٢) هكذا هو موجود في الجزء الثاني من نسخة للبخاري بالمكتبة الأحمديّة بفاس رواية «ابن الخطيئة، عن أبي ذر». قال الأستاذ المنوني: ومما يدل لأهمية هذه النسخة كأصل لابن الخطيئة نفسه أنه كتب على أول الجزء الثاني ما يلي: الجزء الثاني من الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. انظر «صحيح البخاري في الدراسات المغربية» (ص ٥١٩). وذكر الدكتور عبد الهادي التازي أن على ظهر نسخة الحافظ أبي علي الصديقي: كتاب الجامع الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. انظر «صحيح البخاري بخط الحافظ الصديقي» لعبد الهادي التازي (ص ٢٦).

وفي القطعة الموجودة من الصحيح رواية «أبي زيد المروزي» عن الفربري، وهي ضمن مجموعة المستشرق ألفونسو منجانا، كتب في الورقة الأولى ما صورته: الجزء الثاني من الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه. انظر: «دراسة عن أقدم نسخة من صحيح البخاري وشيء من مناهج العلماء وطرائقهم في تحقيق الصحيح» لأحمد ابن فارس السلوم، و«المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح» للمهلب بن أبي صفرة، تحقيق أحمد بن فارس السلوم (١/٨٦).



قال: والظاهر أن الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى، كتب هذا الاسم في حال شغل خاطر، فإنه إمام ضابطٌ حاذقٌ دقيقٌ جدًّا، وفي الذروة من الضبط والإتقان، لا يفوته مثل هذا، وإنما هو العارض الذي يعرض على الذهن فيشتته ويضعف ضبطه^(١).

أما صحيح الإمام مسلم بن الحجاج: فقد سماه مؤلفه: «المسند الصحيح»، هكذا وردت تسميته في «تاريخ بغداد» في ترجمة مسلم بن الحجاج أنه قال: صنف هذا «المسند الصحيح» من ثلاث مائة ألف حديث مسموعة^(٢).

وبهذا الاسم ذكره غير واحدٍ من العلماء.

واسمه المشهور هو: «المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم».

هكذا ورد عند ابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥هـ) في «فهرسته» (ص ٩٨).

وورد عند التجيبي (ت ٧٣٠هـ) في «برناجه» (ص ٨٣) باسم: المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وسماه القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. «مشارك الأنوار» (١ / ١٠).

وسماه الحافظ العلائي في «ثبته»: المسند الصحيح بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. «إثارة الفوائد» (١ / ١٤٠).

واشتهر عند كثيرين بـ «صحيح مسلم».

(١) تحقيق اسمي الصحيحين (ص ١١). ويحتمل أن الحافظ اعتمد على ما هو ثابت في بعض النسخ كما تقدم، انظر «روايات الجامع الصحيح ونسخه» (ص ٤٥ / ٤٦).

(٢) تاريخ بغداد (١٥ / ١٢٢).

المبحث الرابع: عددُ أحاديث «الصحيحين»

لقد كان لأهل الحديث العنايةُ التامةُ بنقله وجمعه، وتنخيل صحيحه من سقيمه، ورحلتهم في الأمصار وقطعهم المفازات والقفار لسماعه وكتبه، ولولا ذلك الاهتبال لضاع أكثره على جميعهم.

ومن مظاهر تلك العناية والرعاية بتراثهم العظيم إحصاؤهم لأبوابه، وعدُّهم لأحاديثه، فقد عدُّوا أحاديث: الموطأ، ومسند الإمام أحمد، وصحيحَي البخاري ومسلم، وكتبٍ أخرى.

ومن عدَّ أحاديث البخاري:

أبو محمد الحموي السرخسي (ت ٣٨١هـ) أحدُ رواة الجامع الصحيح عن محمد بن يوسف الفريزي^(١)، عن محمد بن إسماعيل البخاري، وهو من أوائل من عدَّ أبواب الجامع الصحيح للبخاري، وعدَّ ما في كل بابٍ من الأحاديث، فوجد أن أحاديثه بالمكرر: سبعة آلاف ومائتا حديث وخمسة وسبعون حديثاً (٧٢٧٥)، وأما بإسقاط المكرر فإنها: أربعة آلاف حديث (٤٠٠٠) لا غير^(٢).

وقد اعتمد عدَّه هذا كلُّ من جاء بعده، نظراً لكونه رَوَى الجامعَ الصحيحَ عن الفريزي الذي كان عنده أصلُ البخاري^(٣)، وكانت له به العنايةُ التامة.

ومن تبعه على هذا العدِّ الحافظ أبو الفضل بن طاهر المقدسي في كتابه: «جواب المتعنت»،

(١) بفتح الفاء وكسر ها. مشارق الأنوار (٢/ ١٦٧/ ١٦٩)، وإفادة النصيح (ص ١١).

(٢) عدد جميع حديث الجامع الصحيح للبخاري لأبي محمد الحموي السرخسي (ص ٢٧).

(٣) التعديل والتجريح لأبي الوليد الباجي (١/ ٣١٠)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١/ ٦٦)، وإفادة النصيح لابن رشيد (ص ١٨)، وفتح الباري لابن حجر (٤/ ٣٠٠).

ورواه بإسناده عن الحموي.

وأنشد أبو عبد الله بن عبد الحق لنفسه^(١):

جميعُ أحاديث الصحيح الذي روى الـ بخاري خمسٌ ثم سبعون للعد
وسبعة آلاف تُضاف وما مضى إلى مائتين عد ذاك أولو الجد

واعتمده أيضاً الحافظ أبو عمرو ابنُ الصلاح، فقال في «المقدمة»: «جملة ما في البخاري: سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثاً (٧٢٧٥) بالأحاديث المكررة، وبإسقاط المكررة، أربعة آلاف حديث (٤٠٠٠)»^(٢).

وتبعه أيضاً الإمام النووي في «الإرشاد»^(٣)، وفي «التقريب»^(٤)، لكنه في «شرح البخاري» قال: «جملة ما في صحيح البخاري من الأحاديث المسندة سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثاً بالأحاديث المكررة، وبحذف المكررة نحو أربعة آلاف».

ثم ذكرها مفصلةً نقلاً عن الحموي بإسناده الصحيح^(٥).

فأخرج بقوله: «الأحاديث المسندة»: الأحاديث المعلقة، وما أورده في التراجم والمتابعة، وبيان الاختلاف بغير إسناد موصل^(٦). ولم يجزم في المكرر كابن الصلاح بل قال: «نحو».

أما الحافظ ابنُ حجر فقد تعقب الحموي ومن تبعه واستدرك عليهم، وقد كان في الأول موافقاً لهم، ثم تبين له أن الحموي ما حرر العدَّ فرجع عن تقليده.

(١) هدي الساري (ص ٤٦٥).

(٢) معرفة أنواع علم الحديث لابن الصلاح (ص ١٦٣).

(٣) إرشاد طلاب الحقائق للنووي (ص ١٢٠ - ١٢١).

(٤) التقريب والتيسير للنووي (ص ٢٦).

(٥) شرح البخاري للنووي (١/ ٢١٩).

(٦) هدي الساري (ص ٤٦٥).



قال: لما شرعتُ في «مقدمة شرح البخاري» قلّدتُه - يعني الحموي - كما قلّده إلى «كتاب السّلم»، فوجدتُه قال: إن فيه ثلاثين حديثاً، أو نحوها، قال: فاستكثرُتها بالنسبة إلى الباب، فعددتها فوجدتها قد نقصت عما قال كثيراً، فرجعتُ عن تقليده^(١).

وما حرره الحافظ في «الفتح» و«مقدمته» هو كالآتي:

عدّة ما في البخاري بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات: سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعون حديثاً (٧٣٩٧)، بزيادة مائة واثنين وعشرين حديثاً (١٢٢) على ما ذكره.

و مجموع التعاليق: ألف وثلاث مائة وواحد وأربعون حديثاً (١٣٤١).

وجملة المتابعات والتنبيه على اختلاف الروايات: ثلاثمائة وواحد وأربعون حديثاً (٣٤١).

فجميع ما في الكتاب على هذا بالمكرر: تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثاً (٩٠٨٢). كذا قال، وصوابه: (٩٠٧٩).

أما غير المكرر: فمافيه من المتون الموصولة: ألفا حديث وستمائة حديث وحديثان (٢٦٠٢).

والتعليق التي لم يوصلها في موضع آخر من جامعته: مائة وتسعة وخمسون حديثاً (١٥٩). وقال مرة: (١٦٠)

فمجموع ما فيه من غير المكرر: ألفا حديث وسبعمائة وواحد وستون حديثاً (٢٧٦١)^(٢).

وفي جزء «ما لا يسع المحدث جهله» للميانشي: أن عدد أحاديث البخاري: سبعة آلاف حديث وستمائة حديث ونيف^(٣).

(١) النكت الوفية (١/١٣١).

(٢) هدي الساري (ص ٤٦٨/٤٦٩/٤٧٧)، وفتح الباري (١٣/٥٤٣)، وفتح المغيث للسخاوي (١/٥٩)، وفتح الباقي (١/٤٧/٤٨).

(٣) جزء ما لا يسع المحدث جهله للميانشي (ص ٢٦٨).

أما عِدَّةُ «صحيح مسلم»:

فقال أبو الفضل بن طاهر في «جواب المتعنت»: عدة أحاديث مسلم بإسقاط

المكرر: أربعة آلاف وستون حديثاً (٤٠٦٠) (١).

وقال أبو عمرو بن الصلاح في «صيانة صحيح مسلم»: رُوينا عن أبي قريش الحافظ قال: كنتُ عند أبي زرعة الرازي، فجاء مسلم بن الحجاج فسلم عليه وجلس ساعة، فتذاكرا، فلما أن قام قلتُ له: «هذا جمع أربعة آلاف حديث في الصحيح». فقال أبو زرعة: «فَلِمَنْ تَرَكَ الباقي؟»

قال ابن الصلاح: أراد والله أعلم، أن كتابه هذا أربعة آلاف حديث أصولٌ دون المكررات (٢).

ولم يذكر ابن الصلاح في «مقدمته» عدد أحاديث مسلم، واستدركها عليه من تبع أثره في المصطلح.

قال النووي في «التقريب»: ومسلمٌ بإسقاط المكرر، نحو أربعة آلاف. قال السيوطي: هذا مزيدٌ على ابن الصلاح (٣).

وقال البلقيني في «المحاسن»: ومسلمٌ بإسقاط المكرر، نحو من أربعة آلاف (٤).

وفي «تقييد» العراقي: وهو - أي كتاب مسلم - يزيد على عدة كتاب البخاري لكثرة طرقه.

قال: وقد رأيتُ عن أبي الفضل أحمد بن سلمة أنه: اثنا عشر ألف حديث (٥).

(١) عدد جميع حديث الجامع الصحيح للحموي (ص ٦٥).

(٢) صيانة صحيح مسلم (ص ١٠١)، وشرح مسلم للنووي (١/ ٢١).

(٣) التقريب والتيسير (ص ٢٦)، وتدريب الراوي (٢/ ٣٧١).

(٤) محاسن الاصطلاح (ص ١٦٣).

(٥) التقييد والإيضاح للعراقي (ص ١٥)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٦٦)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٥٨٩).



وقال الميانشي في «جزئه»: في مسلم ثمانية آلاف حديث (٨٠٠٠)^(١).

قال الزركشي: ولعل هذا أقرب^(٢).

وذكر الحافظ أبو بكر الجوزقي في كتابه «المتفق» أنه استخرج على جميع ما في «الصحيحين» حديثاً حديثاً، فكان مجموع ذلك: خمسة وعشرين ألف طريق وأربعمائة وثمانين طريقاً (٢٥٤٨٠)، قاله الحافظ ابن حجر^(٣).

وقام الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي بعد أحاديث «الصحيحين» فجاء حسابه هكذا:

في البخاري بالمكرر: (٧٥٦٣) حديثاً، وبدون المكرر: (٢٦٠٧) أحاديث.

في مسلم بدون مكرر: (٣٠٣٣) حديثاً.

والمتفق عليه منهما: (٢٠٠٦) أحاديث.

ويُشيد الأستاذ فؤاد بعمله في «كتاب مسلم» قائلاً: هو عملٌ ما سبقني إليه أحدٌ من جميع المشتغلين بهذا الصحيح، إذ كان جُلُّ جهدهم أن يُطلقوا عدداً ما ورقماً،

تخميناً وارتجالاً، لا يرتكز على أساس سليم^(٤).

لكن بالرجوع إلى خطة عمله نجده يتكئ على منهج المستشرقين من خلال كتابي «مفتاح كنوز السنة» و«المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي».

وكما لا يخفى على المختصين فإن مناهج المستشرقين التي تناولوا بها كتب السنة المشرفة لا تخلو من ضعفٍ وخللٍ لأنها تخالف ما أصَّله علماء الحديث وقعدوه من قوانين الضبط

(١) ما لا يسع المحدث جهله للميانشي (ص ٢٦٩).

(٢) النكت للزركشي (١/١٩١)، وفتح الباقي (١/٤٨).

(٣) النكت لابن حجر (١/٢٩٧).

(٤) صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (٥/٦٠١).



وتقييد السماع والرواية، والعناية بالتصحيح والتضبيب والتمريض وغير ذلك.

فكما ضيع أهل الكتاب تراثهم بالتفريط والتزوير والتبديل، يحاول بعضهم إعادة التجربة نفسها مع تراثنا الإسلامي العظيم ولكن هيهات هيهات.

يقول المحقق محمد عوامة: وترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي فيه خلل كبير سببه تعامله مع جماعة المستشرقين^(١).

وعمل الدكتور خلدون الأحذب إحصاءً لأحاديث المطبوع من «فتح الباري» بعد جمعه بدقة فبلغ عدّه: (٧٢٠٨) أحاديث^(٢).

وقام الدكتور أحمد بن فارس السلوم بتعداد أحاديث البخاري فبلغ عدّه: (٧٣١٩) حديثاً. يقول: تحرير أحاديث الجامع المسندة على التكرار أسهل من تعداد أحاديثه بدون تكرار، وذلك باعتماد الأسانيد، فكل إسناد يُعد حديثاً ولو كان المتن واحداً، وقد عدت جميع أحاديث الجامع على هذا القانون الذي اعتمده الحموي والمديني والحافظ فتحصل لي أنه: (٧٣١٩)^(٣).

سبب اختلافهم في عدد أحاديث البخاري:

قد يكون هذا الاختلاف بسبب اختلاف نسخ البخاري وزيادة بعضها على بعض.

قال العراقي: والمراد بهذا العدد - أي عدد أحاديث البخاري - الرواية المشهورة وهي: رواية الفربري، فأما رواية حماد بن شاذان فهي دونها بمائتي (٢٠٠) حديث، وأنقص الروايات رواية إبراهيم بن معقل فإنها تنقص عن رواية الفربري ثلاثمائة (٣٠٠) حديث^(٤). ووافقه

(١) حاشية تدريب الراوي تحقيق محمد عوامة (٣٧٢ / ٢).

(٢) الإمام البخاري وجامعه الصحيح لخلدون الأحذب (ص ٣٩٠).

(٣) مقدمة جزء: عدد جميع أحاديث الصحيح للحموي بتحقيق أحمد السلوم بن فارس (ص ٢١-٢٢).

(٤) التقييد والإيضاح (ص ١٥)، وشرح التبصرة والتذكرة (٤٧ / ١).

الزركشي^(١)، والأبناسي^(٢).

وتعقبه الحافظ ابن حجر بقوله: ظاهر كلامه أن النقص في هاتين الروایتين وقع من أصل التصنيف، وليس كذلك، بل «كتاب البخاري» في جميع الروايات الثلاثة: الفربري، وحماد بن شاكر، وإبراهيم بن معقل - في العدد سواء، وإنما حصل الاشتباه من جهة أن حماد بن شاكر وإبراهيم بن معقل لما سمعا الصحيح على البخاري فاتهما من أواخر الكتاب شيء، فروياه بالإجازة عنه.

قال: وقد نبه على ذلك الحافظ أبو الفضل ابن الطاهر، وكذا نبه الحافظ أبو علي الجياني في كتاب «تقييد المهمل»، على ما يتعلق بإبراهيم بن معقل فروى بسنده إليه قال: وأما من أول كتاب الأحكام إلى آخر الكتاب فأجازه لي البخاري.

قال أبو علي الجياني: وكذا فاته من حديث عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك في باب قوله تبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾. إلى آخر الباب.

وأما حماد بن شاكر، ففاته من أثناء كتاب الأحكام إلى آخر الكتاب.

فتبين أن النقص في رواية حماد بن شاكر وإبراهيم بن معقل إنما حصل من طريان الفوت لا من أصل التصنيف. فظهر أن العدة في الروايات كلها سواء^(٣).

قال زكريا الأنصاري: فالنقص إنما هو في السماع، لا في الكتاب^(٤).

وقال السيوطي في «البحر»: وقد وقع في «الصحيح» بالنسبة إلى هذه الروايات اختلافٌ وتفاوتٌ يسير، فما كان منه بزيادة حديثٍ كاملٍ أو نقصه فهو محمول على أنه فوتٌ حصل

(١) النكت على ابن الصلاح للزركشي (١/ ١٨٩).

(٢) الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح (١/ ٩٠).

(٣) النكت لابن حجر (١/ ٢٩٤/ ٢٩٦).

(٤) فتح الباقي (١/ ٤٧).



لمن سقط من روايته مع ثبوته في أصل المصنف^(١).

وروى أبو علي الجياني، عن أبي الفضل صالح بن محمد بن شاذان الأصبهاني، عن إبراهيم بن معقل: أن البخاري أجاز له آخر «الديوان» من أول «كتاب الأحكام» إلى آخر ما رواه النسفي من «الجامع»، لأن في رواية إبراهيم النسفي نقصان أوراق من آخر «الديوان» عن رواية الفربري، قد علّمت على الموضع في كتابي، وذلك في باب قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]. روى النسفي من هذا الباب تسعة أحاديث، آخرها بعض حديث عائشة في الإفك، ذكر منه البخاري كلمات استشهد بها، وهو التاسع من أحاديث الباب، خرجه عن حجاج، عن النميري، عن يونس، عن الزهري بإسناده عن شيوخه، عن عائشة. وروى الفربري زائداً عليه من أول حديث قتيبة، عن مغيرة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا أراد عبي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها» إلى آخر ما رواه الفربري عن البخاري من الديوان، وهو تسع أوراق من كتابي^(٢).

وقال الخطابي في «شرح البخاري»: وقد سمعنا معظم هذا الكتاب - أي صحيح البخاري - من رواية إبراهيم بن معقل النسفي، حدثناه خلف بن محمد الخيام قال: حدثنا إبراهيم بن معقل عنه، سمعنا سائر الكتاب إلا أحاديث من آخره من طريق محمد بن يوسف الفربري، حدثنيه محمد بن خالد بن الحسن قال: حدثنا الفربري عنه، ونحن نبين مواضع اختلاف الرواية في تلك الأحاديث إذا انتهينا إليها إن شاء الله^(٣).

ففي هذين النقلين عن الغساني والخطابي دليل على أن رواية إبراهيم بن معقل النسفي كان ينقصها أوراق من آخر الكتاب.

(١) البحر الذي زخر (٢/ ٥٩٣).

(٢) تقييد المهمل وتمييز المشكل للغساني (١/ ٦٢)، وفهرست ابن خير (ص ٩٨)، وإفادة النصيح (ص ١٩ - ٢١)، والنكت لابن حجر (١/ ٢٩٥).

(٣) أعلام الحديث للخطابي (١٠٥/ ١٠٦).



وهو شاهد لما قاله العراقي أن رواية الفربري أتم وأكمل من روايتي: حماد بن شاهر وإبراهيم بن معقل.

لكن الحافظ ينفي ذلك ويقول: إن الروايات الثلاثة متفقة في الكتابة، وإنما اختلفت في أن الفربري سمع الجميع، وإبراهيم وحماد فاتهما سماعُ القدر المذكور من أواخر الكتاب فقط^(١). والذي يظهر أن الخلاف لفظي، فمن لم يعتبر كيفية التحمل قال: إن رواية إبراهيم ابن معقل تامة لكونه أخذ أكثر الديوان عن البخاري «سماعاً»، والباقي «بالإجازة»، ومن نظر إلى النسخة المسموعة قال إنها ناقصة، وليس عندنا ما يدل على أن الجزء المجاز فيه كان مقروناً بالمناولة، والله أعلم.

وقد يكون ذلك الاختلافُ لأمرٍ آخر وهو أن البخاري يقطع الحديث الواحد ويسوق كلَّ طرفٍ منه في الباب المناسب له، فيحسبه العادُّ حديثين أو أكثر. وهذه من فوائد الحافظ ابن حجر، وكم له من فوائد ودرر.

قال رحمه الله: إن البخاري يذهب إلى جواز تقطيع الحديث إذا كان ما يفصله منه لا يتعلق بما قبله ولا بما بعده تعلقاً يُفْضِي إلى فساد المعنى، فصنّعه كذلك يوهّم من لا يحفظ الحديث أن المختصر غيرُ التام، لا سيما إذا كان ابتداء المختصر من أثناء التام كما وقع في هذا الحديث، فإن أوله هنا قوله صلى الله عليه وسلم: «أريت النار» إلى آخر ما ذكر منه، وأول التام عن ابن عباس قال: «خسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم» فذكر قصة صلاة الخسوف ثم خطبة النبي صلى الله عليه وسلم وفيها القدر المذكور هنا، فمن أراد عدَّ الأحاديث التي اشتمل عليها الكتاب يظن أن هذا الحديث حديثان أو أكثر لاختلاف الابتداء، وقد وقع في ذلك مَنْ حكى أن عدته بغير تكرار: أربعة آلاف أو نحوها كابن الصلاح، والشيخ محيي الدين، ومن بعدهما، وليس الأمر كذلك، بل عدته على التحرير:

(١) النكت الوفية للبقاعي (١/١٣١).



ألفا حديث وخمسمائة حديث وثلاثة عشر حديثاً كما بينت ذلك مفصلاً في المقدمة^(١).

أما الشيخ المحقق محمد عوامة فإنه يُرجع هذا الاختلاف إلى أمورٍ فنية، لا إلى زيادة ونقص في صلب الصحيح أبداً^(٢).

وهذا بالنسبة إلى النسخ المطبوعة صحيحٌ، لأنها جميعها طُبعت عن أصل النسخة اليونانية التي اعتمد صاحبها على رواية الفربري لا غير.

وأما الدكتور أحمد السلوم فيقول: إن رواية أبي ذر تزيد بحديثين، لأن الرواية عنده في موضعين علقهما البخاري بقوله فيهما: «قال فلان»، وردت على الوصل إذ وقع عنده: «قال لي».. وهذا موصول كما لا يخفى.

وتزيد «نسخة الصغاني» حديثاً واحداً سقط من كل نسخ البخاري، واستدركه

الصغاني من «نسخة الفربري» التي بخطه، إذ وجده ملحقاً بالهامش بخطه^(٣).

وقد وصف الحافظ ابن حجر «نسخة الصغاني» وبين أهميتها، فقال في «الفتح»: وقع في النسخة البغدادية التي صححها العلامة أبو محمد ابن الصغاني اللغوي بعد أن سمعها من أصحاب أبي الوقت وقابلها على عدة نسخ وجعل لها علامات عقب قوله: رواه موسى وعلي بن عبد الحميد، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت ما نصه: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا ثابت، عن أنس، وساق الحديث بتمامه.

وقال الصغاني في الهامش: هذا الحديث ساقط من النسخ كلها إلا في النسخة التي قرئت على الفربري صاحب البخاري وعليها خطه.

(١) فتح الباري (١/ ٨٤)، وتدريب الراوي بحاشية ابن العجمي (٢/ ٣٦٢).

(٢) حاشية تدريب الراوي بتحقيق محمد عوامة (٢/ ٣٦٤).

(٣) مقدمة جزء: عدد جميع أحاديث الصحيح للحموي بتحقيق أحمد السلوم (ص ٧-٨).



قلت - القائل ابن حجر: وكذا سقطت في جميع النسخ التي وقفتُ عليها والله تعالى أعلم بالصواب^(١).



(١) فتح الباري (١/١٥٣).

الفصل الثاني

مسألة التصحيح في العصور المتأخرة

قال ابن الصلاح: «إذا وجدنا فيما يُروى من أجزاء الحديث وغيرها حديثاً صحيح الإسناد، ولم نجده في أحد الصحيحين ولا منصوصاً على صحته في شيء من مصنفات أئمة الحديث المعتمدة المشهورة، فإننا لا نتجاسر على جزم الحكم بصحته، فقد تعذر في هذه الأعصار الاستقلال بإدراك الصحيح بمجرد اعتبار الأسانيد»^(١).

ووافقه بدر الدين ابن جماعة في «المنهل الروي»، فإنه بعد ما نقل كلامه عن التعذر قال: «مع غلبة الظن أنه لو صحَّ لما أهمله أئمة الأعصار المتقدمة، لشدة فحصهم واجتهادهم، فإن بلغ أحد في هذه الأعصار أهلية ذلك، والتمكن من معرفته، احتُمِل استقلاله»^(٢). وهذا الذي ذكره ابن جماعة هو ما عناه ابن الصلاح، وسيأتي تحقيقه قريباً.

وردَّ على ابن الصلاح قوله بتعذر التصحيح في الأعصار المتأخرة كلُّ من اقتفى أثره في المصطلح، وحملوا كلامه على إطلاقه، ورأوه قولاً مُبَايناً للصواب، مَبْنِياً على منع الاجتهاد في الحديث، كما منع الفقهاء الاجتهاد في الفقه، وهو قولٌ ساقطٌ ومردود.

قال النووي: والأظهر عندي جوازُه لمن تمكن وقويت معرفته^(٣).

وقال العراقي في «شرح ألفيته»: وما رجحه النووي هو الذي عليه عَمَلُ أهل الحديث^(٤).

(١) معرفة أنواع علم الحديث (ص ١٥٩ / ١٦٠).

(٢) المنهل الروي لابن جماعة (ص ٩٤ / ٩٥ - الفجي)، والبحر الذي زخر (٢ / ٨٥٠)، والتدريب (٢ / ٥٤٢)، ونقل عنه العراقي أنه لما تعقب كلام ابن الصلاح حول تصحيحات الحاكم. قال: إنه يُتَّبَع ويُحْكَم عليه بما يليق بحاله من الحسن أو الصحة أو الضعف. قال العراقي: وهذا هو الصواب. التقييد والإيضاح (ص ١٨)، ومقدمة ابن الصلاح (ص ١٦٤). والأجوبة الفاضلة (ص ١٥٢).

(٣) التقریب والتيسير (ص ٢٨)، وتدريب الراوي (٢ / ٥٤٣).

(٤) شرح التبصرة والتذكرة (١ / ٦٧)، والتقييد والإيضاح (ص ١٢).



وقال البلقيني: والمختار أن المتبحر في هذا الشأن له ذلك بطرقه التي تظهر له^(١).

وقال الزركشي: ما ذكره من أنه لا يحكم بصحته لضعف الأهلية في هذه الأزمنة لا نعرف له فيه سلفاً، والظاهر جوازه، ولعله بناه على جواز خلو العصر عن المجتهد المطلق، والصواب خلافه^(٢).

وقال الحافظ ابن حجر: كلامه يُشعر بالاختصار على ما يوجد منصوباً على صحته، وردّ ما جمع شروط الصحة إذا لم يوجد النصّ على صحته من الأئمة المتقدمين، فيلزم تصحيح ما ليس بصحيح، لأن كثيراً من الأحاديث التي صححها المتقدمون اطلع غيرهم من الأئمة فيها على علل تحطها عن رتبة الصحيح.

قال: وقد يخفى على الحافظ بعض العلل في الحديث فيحكم عليه بالصحة بمقتضى ما ظهر له، ويطلع عليها غيره فيرد بها الخبر.

وقال: فإذا روي حديث في كتاب من كتب الأئمة المشهورين ولم يعلله، وجمع إسناده شروط الصحة، ولم يطلع المحدث المطلع فيه على علة، ما المانع من الحكم بصحته ولو لم ينص على صحته أحد من المتقدمين، هذا لا ينافي فيه من له ذوق في هذا الفن^(٣).

وقد صحح جماعة من المتأخرين أحاديث لم نجد لمن تقدمهم فيها تصحيحاً.

فمن المعاصرين لابن الصلاح: أبو الحسن ابن القطان الفاسي، له كتاب «بيان الوهم والإيهام»، صحح فيه عدة أحاديث.

وابن المواق^(٤)، والضياء المقدسي، له كتاب «المختارة» التزم فيه الصحة، وذكر فيه

(١) محاسن الاصطلاح (ص ١٥٩).

(٢) النكت على ابن الصلاح للزركشي (١/ ١٥٨).

(٣) النكت على ابن الصلاح لابن حجر (١/ ٢٧٠ / ٢٧٢).

(٤) له كتاب: «المآخذ الحفال السامية عن مآخذ الإهمال في شرح ما تضمنه كتاب بيان الوهم والإيهام من =



أحاديث لم يُسبق إلى تصحيحها، والزكي المنذري^(١).

ثم الذين يلونهم: كالحافظ شرف الدين الدميّاطي^(٢)، وتقي الدين السبكي^(٣)، والحافظ المزني^(٤)، والحافظ الذهبي، والحافظ ابن حجر، والسخاوي، والسيوطي وغيرهم^(٥).

ومن عصرنا شيخ مشايخنا الحافظ أحمد بن الصديق المغربي صحح عدداً من الأحاديث في أجزاء مفردة.

تنبيه: قد حسن ابن الصلاح نفسه حديث: «كُلُّ كلامٍ لا يُبدأ فيه بالحمد لله فهو أجزم». وفي رواية: «أقطع»^(٦). وجوابه فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

= الإخلال والإغفال وما انضاف إليه من تميم وإكمال، تعقب فيه كتاب شيخه ابن القطان الفاسي. وله: «بغية النقاد النقلة فيما أحل به كتاب البيان وأغفله أو ألم به فما تممه ولا كمّله»، تعقب فيه أو هام ابن القطان وعبد الحق الإشبيلي.

(١) للحافظ زكي الدين المنذري «جزء غفران ما تقدم من الذنوب وما تأخر»، صحح فيه حديث بحر بن نصر، عن ابن وهب، عن مالك ويونس، عن الزهري، عن سعيد وأبي سلمة، عن أبي هريرة في غفران ما تقدم من الذنوب وما تأخر. وقال بعده: بحر بن نصر ثقة، وابن وهب ومن فوقه محتج بهم في الصحيحين اهـ. واعترضه الحافظ ابن حجر بقوله: لا يلزم من كون رجال الإسناد من رجال الصحيح أن يكون الحديث الوارد به صحيحاً، لاحتمال أن يكون فيه شذوذ أو علة، وقد وجد هذا الاحتمال هنا، فإنها رواية شاذة وقد بينت ذلك بطرقه والكلام عليه في جزء مفرد. النكت لابن حجر (١/ ٢٧٤).

(٢) صحح حديث جابر مرفوعاً: «ماء زمزم لما شرب له». في جزء جمعه في ذلك. وانظر المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح للدميّاّطي رقم (٨٩٢).

(٣) له كتاب: «شفاء السقام في زيارة خير الأنام»، صحح فيه حديث ابن عمر مرفوعاً: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

(٤) حسن حديث: «طلب العلم فريض على كل مسلم». انظر التذكرة في الأحاديث المشتهرة للزركشي (ص ٤٣)، والمقاصد الحسنة (ص ٢٧٦)، والتنقيح للسيوطي (ص ١٨).

(٥) حاشية الأجوبة الفاضلة لأبي غدة (ص ١٥٦).

(٦) شرح مشكل الوسيط لابن الصلاح (١/ ٥).

❁ توضيح مذهب ابن الصلاح في مسألة التصحيح:

ما ذهب إليه ابن الصلاح من منع التصحيح في الأزمنة المتأخرة لضعف الأهلية ليس على إطلاقه، كما فهمه المعقبون لكلماته، وإنما هو أغلبي، لقوله: «وقد فُقدت شروط الأهلية في غالب أهل زماننا إلخ».

ولمعرفة مراد ابن الصلاح لأبد من توضيح بعض الأمور وهي كالتالي:

الأول: أن ابن الصلاح قال ذلك لما عاينه عند شيوخ زمانه وبلغه عن كثير من الأعصار قبله، من قلة اهتمامهم بما يروونه من الأحاديث، والتوسع في السماع، والتخفيف من الشروط التي وضعها أهل القرون الأولى حول العدالة والضبط.

ويرى أن الرواية بالأسانيد المتصلة في عصره ليس المقصود منها إثبات ما يروى بها، إذ لا يخلو إسناده عن شيخ لا يدري ما يرويه، ولا يضبط ما في كتابه ضبطاً يصلح لأن يعتمد عليه في ثبوته، وإنما المقصود منها إبقاء سلسلة الإسناد التي خُصت بها هذه الأمة زادها الله كرامة^(١).

وسبقه إلى ذلك الحاكم أبو عبد الله (ت ٤٠٥ هـ)، وتلميذه البيهقي (ت ٤٥٨ هـ).

فالحاكم في كتابه «المعرفة» ينصح طالب الحديث أن يبحث عن أحوال المحدث أولاً، ثم يتعرف سنده هل يحتمل سماعه من شيوخه الذين يحدث عنهم؟ لأنه أدرك من المشايخ جماعة يخبرون بسنن يقصر عن لقاء شيوخ حدثوا عنهم، ثم يخبر عن جماعة من المشايخ من أهل زمانه يشتركون في حديثهم بها، وجماعة يكتبون سماعاتهم بخطوطهم في كُتب عتيقة في الوقت فيحدثون بها^(٢).

(١) صيانة صحيح مسلم (ص ١١٧).

(٢) معرفة علوم الحديث للحاكم (ص ١٦). ومجرد امتلاك النسخ الحديثية بالوجادة دون إجازة، أو بالشراء أو الهبة لا يُجيز روايتها عن صاحبها، كما هو مقرر في علوم الحديث. انظر مقدمة ابن الصلاح (ص ٣٥٨)، والإلماع (ص ١١٧).



وأما البيهقي، فإنه يرى أن توسّع مَنْ توسّع في السّماع عن بعض محدثي زمانه، الذين لا يحفظون حديثهم، ولا يُحسنون قراءته من كُتُبهم، ولا يعرفون ما يُقرأ عليهم، بعد أن تكون القراءة عليهم من أصل سماعه، هو أن الأحاديث قد دُوت وكُتبت في الجوامع التي جمعها أئمة أهل العلم بالحديث، ولا يجوز أن يذهب شيء منها على جميعهم، وإن جاز أن تذهب على بعضهم، لضمان صاحب الشريعة حفظها.

قال: فمن جاء اليومَ بحديثٍ لا يوجد عند جميعهم، لم يُقبل منه، ومن جاء بحديثٍ هو معروفٌ عندهم، فالذي يرويه اليوم لا ينفرد بروايته، والحجة قائمة بحديثه برواية غيره^(١).

فالإكتفاء عند المتأخرين في أهلية الراوي، أن يكون مُسلماً، بالغاً، عاقلاً، غير متظاهر بالفسق وما يخرم المروءة، وأن يكون سماعه مُثبتاً بخط غير مُتهم، وبروايته من أصلٍ موافقٍ لأصل شيخه، لأن جُلَّ اهتمامهم كان موجهاً إلى رواية النسخ والأجزاء وغيرها من المدونات الحديثية، وتقييدها ومقابلتها وحفظها من التصحيف والتحريف والتزوير، فاكْتَفَى في الناقل لتلك المصنفات الستر والصيانة ولو لم يُنص على توثيقه، مع معرفة حقه في الرواية بأي نوعٍ من أنواع التحمل^(٢).

ولو لَيِّنَ هذا البابُ - كما يقول الذهبي - لم يسلم منه إلا القليل، لأن أكثرهم لا يدرون ما يروون، ولا يعرفون هذا الشأن، إنما سمعوا في الصغر، واحتيج إلى علو سندهم في الكبر^(٣).

فكان جُلُّ اعتمادهم على كُتُبهم لا على ما رَوَوْهُ وتحمّلوه، لأن منه ما لا يُعتدُّ به عند أهل الحديث لفقد شرطٍ أو أكثر من شروط التحمّل والأداء، وهذا ما عناه ابنُ الصلاح بقوله: «لأنه ما من إسناده من ذلك إلا ونجد في رجاله من اعتمد في روايته على ما في كتابه، عرياً عما

(١) مناقب الشافعي للبيهقي (٣٢١/٢).

(٢) عناية المحدثين بتوثيق المرويات لأحمد محمد نور سيف (ص ٩).

(٣) ميزان الاعتدال (١١٥/١).



يُشترط في الصحيح من الحفظ والضبط والإتقان»^(١).

أما المتقدمون فقد كان اهتمامهم منصباً على نقل الآثار، والبحث عن أحوال الرجال، وسبر مروياتهم، واعتبارها بروايات الثقات المتقنين، فعرفوا بذلك الثقات والمجروحين، وميزوا بين الصحيح والسقيم.

واعتبر الذهبيُّ رأس «سنة ثلاثمائة» الحدَّ الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين^(٢).

أما غيره فيرى أن انتهاء عصر الرواية هو «القرن الخامس»، وهو زمنُ أبي نعيم، وابن منده، والبيهقي، وتقدم نص كلامه: «فمن جاء اليومَ بحديثٍ لا يوجد عند جميعهم، لم يُقبل منه»، وهو الزمن الذي انقطعت فيه رواية الحديث بالسند من المحدث من غير واسطة أجزاء أو كتب قبله^(٣).

فلما لاحظَ ابنُ الصلاح هذا التقصيرَ بنفسه، وسمعه من أئمة هذا الشأن قبل عصره، خشي أن لا تقع أحكام المتأخرين الموقعَ الصائبَ كالذي كان عليه أولئك الأعلام، فأبدى تشككه في صلاحية المتأخرين لهذه المهمة الجليلة^(٤)، ورأى سدَّ هذا الباب لئلا يدخل منه بعضُ المموهين الذين لا يميزون بين الصحيح والسقيم، وهم مع ذلك يدَّعون أنهم من الجهابذة في هذا الفن، وكثيراً ما راج أمرهم بين الجمهور^(٥)، فلذلك منع التصحيح بمجرد اعتبار الأسانيد.

ويُضيف ابن الصلاح: «وسبيل من أراد معرفة الصحيح والحسن أن يرجع إلى أصلٍ قد قابله هو أو ثقةٌ غيره بأصول صحيحةٍ متعددةٍ، مرويةٍ بروايات متنوعة، ليحصل له بذلك -

(١) معرفة أنواع علم الحديث (ص ١٦٠).

(٢) ميزان الاعتدال (١/ ١١٥).

(٣) حاشية الأجوبة الفاضلة لأبي غدة (ص ١٤٩ / ١٥٠).

(٤) منهج النقد في علوم الحديث لنور الدين عتر (ص ٢٨١).

(٥) توجيه النظر لطاهر الجزائري (١/ ٣٨٠).



مع اشتهاار هذه الكتب وبُعْدِها عن أن تُقصد بالتبديل والتحريف - الثقةُ بصحة ما اتفقت عليه تلك الأصول»^(١).

فنبّه رحمه الله على أن الرواية استقرت بعد عصر الرواية على الكتب المعروفة وصارت الرواية في الحقيقة رواية للكتب فقط، لأن المقصود بقاء سلسلة الإسناد^(٢).

ويُفهم من قوله: «إذا وجدنا فيما يُروى من أجزاء الحديث وغيرها»، أنه قصد بكلامه الأحاديث التي تُروى في أجزاء لا يتحرى أصحابها الدقة العالية، أما الأحاديث المروية في دواوين السنة المشهورة كالسُننِ والمسانيد والمعاجم فهذه غير مقصودة بكلامه قطعاً، لأنه نفسه حسن حديث «البداءة بحمد الله» وهو في السُنن، وغيره من الأحاديث كما تقدم.

الثاني: أنه منع التصحيح للحديث الذي ليس له إلا طريق واحد، وظاهره الصحة، ولم يسبق لأحد من المتقدمين تصحيحه.

قال السيوطي في «التنقيح»^(٣): والتحقيق عندي أنه لا اعتراض على ابن الصلاح، ولا مخالفة بينه وبين من صحح في عصره أو بعده.

وتقرير ذلك أن الصحيح قسمان: صحيح لذاته، وصحيح لغيره، كما هو مقرر في كتاب ابن الصلاح وغيره.

والذي منعه ابن الصلاح إنما هو القسم الأول دون الثاني، كما تعطيه عبارته، وذلك أن يوجد في جزء من الأجزاء حديثٌ بسندٍ من طريق واحد لم تتعدد طرقه، ويكون ظاهر ذلك الإسناد الصحة، لاتصاله وثقة رجاله، فيريد الإنسان أن يحكم على هذا الحديث بالصحة لذاته بمجرد هذا الظاهر، ولم يوجد لأحد من أئمة الحديث الحكم عليه بالصحة، فهذا

(١) مقدمة ابن الصلاح (ص ١٧٣).

(٢) الباعث الحثيث لأحمد شاكر (١/ ٣٢١ / ٣٢٢).

(٣) التنقيح في مسألة التصحيح للسيوطي (ص ١٩-٢٣).



ممنوع قطعاً، لأن مجرد ذلك لا يُكتفى به في الحكم بالصحة، بل لا بد من فقد الشذوذ والعلة، والوقوف على ذلك الآن متعسر، بل متعذر، لأن الاطلاع على العلل الخفية إنما كان للأئمة المتقدمين، لقرب أعصارهم من عصر النبي صلى الله عليه وسلم، فكان الواحد منهم تكون شيوخه التابعين، أو أتباع التابعين، أو الطبقة الرابعة، فكان الوقوف إذ ذاك على العلل متيسر للحافظ العارف.

وأما الأزمان المتأخرة فقد طالت فيها الأسانيد، وتعذر الوقوف على العلل إلا بالنقل من الكتب المصنفة في العلل، فإذا وجد الإنسان في جزء من الأجزاء حديثاً بسند واحد ظاهره الصحة لاتصاله وثقة رجاله، لم يمكنه الحكم عليه بالصحة لذاته، لاحتمال أن يكون له علة خفية لم يطلع عليها لتعذر الإحاطة بالعلل في هذه الأزمان.

أما القسم الثاني فلا يمنعه ابنُ الصلاح ولا غيره، وعليه يحمل صنيع من كان في عصره ومن جاء بعده.

قال: فإني استقرأت ما صححه هؤلاء فوجدته من قسم الصحيح لغيره لا لذاته.

فعمل هؤلاء المصححون بهذه القاعدة، فصححوا الأحاديث التي صححوها لتعدد طرقها، عملاً بالقاعدة المذكورة.

فهم في ذلك تابعون للأئمة فيما أصلوه، وعاملون بما أوصوا به، فلا ينسب إليهم منافاة ولا مخالفة.

فائدة: قال السيوطي: إن ابن الصلاح سَدَّ بابَ التصحيح والتحسين والتضعيف على أهل هذه الأزمان لضعف أهليتهم^(١).

الثالث: أنه يمنع الجزم بالصحة، أما أن يُقال: هذا صحيحٌ فيما أظنُّ وما أشبه ذلك مما

(١) تدريب الراوي (٢/٥٥٨).

يشعر بالتردد فلا يمنعه (١).

والحاصل: أن الحديث إذا كان في جزءٍ من الأجزاء الغريبة أو في كتابٍ من الكتب التي ليس لمصنفيها عنايةٌ بالرواية والدراية، ولا معرفةٌ بشروطها وضوابطها حسب ما هو مسطرٌ في كتب علوم الحديث، وذلك كالأحاديث المروية في كتب الأدب والغريب والتفاسير ونحوها، وكان الحديثُ مع ذلك ظاهره الصحة والسلامة من العلة، ولم يسبق لأحدٍ من أئمة الحديث المتقدمين تصحيحٌ له، فالحكم عليه بالصحة لمجرد سلامة ظاهره غيرُ مقبول، لاحتمال وجود علةٍ خفيةٍ لم تظهر لنا وظهرت للأئمة الحفاظ المتقدمين الذين حفظوا السنن ودَوَّنوها، وميَّزوا العلل واستخرجوها، فرغبتهم عن ذلك الحديث وعدم ذكرهم له في مصنفاتهم المشهورة المتداولة بين أهل الحديث، وعدم اشتغالهم بروايته دليلٌ على سقوطه عندهم.

أما سلامة ظاهره فترجع إلى التخفيف الذي أخذ به المتأخرون في رواية الأخبار وتناقلها من جيلٍ إلى جيلٍ، رغبة منهم في بقاء خصيصة الإسناد.

فابن الصلاح اشترط أموراً ثلاثة إذا اجتمعت في حديثٍ ما تعذر الحكم عليه بالتصحيح أو التحسين، وهي:

أولاً: أن يكون الحديثُ في كتبٍ مغمورةٍ غير مشهورة بالرواية والمقابلة والضبط والإتقان. وهذا معنى قوله: «إذا وجدنا فيما يُروى من أجزاء الحديث وغيرها».

ثانياً: أن يكون التصحيحُ بالنظر إلى ظاهر السند دون اعتبار الطرق والبحث عن المتابعات والشواهد للتأكد من سلامته من الشذوذ والعلة. وإليه الإشارة بقوله: «فقد تعذر في هذه الأعصار الاستقلال بإدراك الصحيح بمجرد اعتبار الأسانيد».

ثالثاً: أن يصدر التصحيحُ من غير أهله وهو المعبر عنه بقوله: «في هذه الأعصار» وقوله:

(١) النكت الوفية (١/ ١٧٢).



«شيوخ زماننا»، لأنه كان يرى فَقَدَ الأهلية عند غالب شيوخ زمانه، وهو شاهدٌ عيانٌ صادقٌ فيما يقول، ناصحٌ لمن يأتي بعده.

قال الحافظ مُغلَطَاي بنُ قَلِيج: وهو - أي منعُ التصحيح - غيرٌ جيدٌ بالنسبة للمحدث، أما بالنسبة للفقهاء فنعم^(١).



(١) إصلاح كتاب ابن الصلاح لمغلطاي (٢/٥٤).

الفصل الثالث

المبحث الأول:

هل استوعب الشيخان في كتابيهما الصحيح كله؟

اعلم أن الشيخين لم يلتزما بإخراج ما صحَّ عندهما من الحديث في كتابيهما، فضلاً عن استيعاب الصحيح كله، خلافاً لما ظنه بعضهم، وسيأتي ذكر ذلك قريباً.

قال الحاكم (ت ٤٠٥ هـ) في مقدمة «المستدرک»: ولم يحكما، ولا واحداً منهما، أنه لم يصح من الحديث غير ما أخرجه.

وقال في «المدخل إلى الصحيح»: إن الفارس من فرسان أهل الصنعة يمكنه أن يزيد على شرط البخاري من الأصول، لتركه كل ما لم يتعلق بالأبواب التي بنى كتابه الصحيح عليها، فإذا كان الحال على ما وصفنا بأن للمتأمل من أهل الصنعة أن كتابي البخاري ومسلم لا يشتملان على كل ما يصح من الحديث، وأنهما لم يحكما أن من لم يخرجاه في كتابيهما مجروح أو غير صدوق^(١).

وقال البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) في «المدخل»: وقد بقيت أحاديث صحاح لم يخرجها، وليس في تركهما إياها دليل على ضعفها.

قال: وعذر البخاري كي لا يطول الكتاب فيمُل، فإنه قال: وتركْتُ من الصحاح لحال الطول.

وأما مسلم فإنه قسم الأخبار ثلاثة أقسام، فأخرج الأول وهي الأخبار التي هي أسلم من العيوب من غيرها وأنقى، ومن عزمه أن يخرج القسمين الآخرين فأدركته المنية قبل إخراجهما^(٢). وسيأتي تحرير هذه المسألة في محلها إن شاء الله.

(١) المدخل إلى الصحيح للحاكم (١/١٤١/١٤٢).

(٢) المدخل للبيهقي (١/٣٧١)، والمدخل إلى الإكليل للحاكم (ص ٧٨)، ونكت الزركشي (١/١٧٣).



وقال الحازمي (ت ٥٨٤ هـ) في «شروط الأئمة»: أما البخاري فكما أنه لم يخرج عن كل من صح حديثه ولم ينسب إلى شيء من جهات الجرح، وهُم خلقٌ كثير يبلغ عددهم نيفاً وثلاثين ألفاً، ومن خرج لهم في جامعه دون ألفين، كذا لم يخرج كل ما صح من الحديث^(١).

وقال ابن الصلاح (ت ٦٤٣ هـ) في «المقدمة»: لم يستوعب الصحيح في صحيحيهما، ولا التزما ذلك^(٢).

وقال النووي في «شرح مسلم»: إن البخاري ومسلماً لم يلتزما استيعاب الصحيح، بل صح عنهما تصريحهما بأنهما لم يستوعبا، وإنما قصدا جمع جُمْلٍ من الصحيح كما يقصد المصنف في الفقه جمع جملة من مسائله لا أنه يحصر جميع مسائله، لكنهما إذا كان الحديث الذي تركاه أو تركه أحدهما مع صحة إسناده في الظاهر أصلاً في بابه ولم يخرجاً له نظيراً ولا ما يقوم مقامه فالظاهر من حالهما أنهما اطلعا فيه على علة إن كان روياه، ويحتمل أنهما تركاه نسياناً، أو إثاراً لترك الإطالة، أو رأياً غيره مما ذكرناه يسد مسده، أو لغير ذلك والله أعلم^(٣).

وقال العلائي في «رفع الإشكال»: اتفق الأئمة على أن البخاري لم يستوعب جميع الأحاديث الصحاح ولا كل الرواة الثقات في كتابه الصحيح^(٤).

ثم إن البخاري جمع كتابه تلبية لطلب شيخه إسحاق بن راهويه لما قال لهم: لو جمعتم «كتاباً مختصراً» لصحيح سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم. قال البخاري: فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح.

فظهر بهذا أن قصده كان وضع مختصر في الحديث، وأنه لم يقصد الاستيعاب لا في

(١) شروط الأئمة الخمسة للحازمي (ص ١٥٧ / ١٥٨).

(٢) معرفة أنواع علم الحديث (ص ١٦٢).

(٣) شرح مسلم للنووي (١ / ٢٤)، وإرشاد طلاب الحقائق (ص ١١٩).

(٤) رفع الإشكال للعلائي (ص ٤٩).

الرجال، ولا في الحديث^(١).

هذه نصوص الأئمة في هذه المسألة، وكلُّها مجمعة على أن الشيخين لم يستوعبا الصحيح كله.

بل قد صرح كلُّ منهما أنه لم يُخرج في كتابه كُلاً ما صحَّ عنده من الحديث، وليس بعد كلامهما كلام:

قال البخاري: «ما أدخلتُ في كتاب الجامع إلا ما صحَّ، وتركتُ من الصحاح لحال الطول»^(٢).

وثبت عنه أنه قال: «أخرجت هذا الكتاب - يعني الصحيح - من زهاء ستمائة ألف حديث»^(٣). وقال أيضاً: «أحفظ مئة ألف حديث صحيح، وأحفظ مئتي ألف حديث غير صحيح»^(٤). وعدة البخاري سبعة آلاف ومائتا حديث وخمسة وسبعون حديثاً، كما تقدم، فأين الباقي؟ والجواب: أنه تركها لكي لا يطول كتابه فيمَل.

قال الإسماعيلي: لأنه لو أخرج كلَّ صحيحٍ عنده لجمع في الباب الواحد حديث جماعة من الصحابة، ولذكر طريق كلِّ واحدٍ منهم إذا صحت، فيصير كتاباً كبيراً جداً^(٥).

(١) شروط الأئمة الخمسة للحازمي (ص ١٦٣).

(٢) الكامل لابن عدي (١/ ١٣١)، وأسماء من روى عنهم البخاري في الجامع الصحيح (ص ٦٢)، وتاريخ بغداد (٢/ ٣٢٧)، والمدخل للبيهقي (١/ ٣٧١)، والتعديل والتجريح للباجي (١/ ٣٠٩/ ٣١٠)، وشروط الأئمة الستة لابن طاهر (ص ٩١-٩٢)، وشروط الأئمة الخمسة للحازمي (ص ١٦٠)، ومقدمة ابن الصلاح (ص ١٦٢).

(٣) تاريخ بغداد (٢/ ٣٢٧)، وتهذيب الكمال (٢٤/ ٤٤٢)، والسير (١٢/ ٤٠٢)، وطبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٢٢١) وزاد: «وجعلته حجة فيما بيني وبين الله».

(٤) الكامل لابن عدي (١/ ١٣١)، والإرشاد للخليلي (٣/ ٩٦٢)، وتاريخ بغداد (٢/ ٣٤٦)، وشروط الأئمة الخمسة (ص ١٦٠).

(٥) هدي الساري (ص ٧).



وقال أبو بكر بنُ أخت أبي النضر: قلتُ لمسلم: حديثُ أبي هريرة: «وإذا قرأ فأنصتوا»، هل هو صحيحٌ؟ فقال: هو عندي صحيحٌ. قلتُ: لمَ لم تَضَعْهُ ههنا - يعني في صحيحه؟ قال: «ليس كلُّ شيءٍ عندي صحيحٌ وضعته ههنا، إنما وضعتُ ههنا ما أجمعوا عليه»^(١).

ما المراد بقوله: «ما أجمعوا عليه»؟

استُشكل قوله: «ما أجمعوا عليه»، فإن أراد بالإجماع إجماعهم على كلِّ حديث وضعه في كتابه، رُدَّ بأنه قد وضع فيه أحاديثٌ اختلفوا في صحتها، لكونها من حديثٍ مَنْ اختلفوا في صحة حديثه، ولم يُجمعوا عليه.

وقد أجاب ابنُ الصلاح عن هذا الإشكال بجوابين:

أحدهما: أنه أراد بهذا الكلام، أنه ما وَضَعَ في كتابه إلا الأحاديث التي وُجد عنده فيها شرائطُ المجمع عليه، وإن لم يظهر اجتماعها في بعضها عند بعضهم.

وهذا الجواب ذكره في «المقدمة»، وأعادته في «صيانة صحيح مسلم»^(٢).

والثاني: أنه أراد أنه ما وَضَعَ فيه ما اختلفت الثقاتُ فيه في نفس الحديث متناً أو إسناداً، ولم يُرد ما كان اختلافهم إنما هو في توثيق بعض رواته.

قال ابن الصلاح: وهذا هو الظاهر من كلامه، فإنه ذكر ذلك لما سُئل عن حديث أبي هريرة: «وإذا قرأ فأنصتوا» هل هو صحيح؟ فقال: هو عندي صحيح. فقليل له: لم لم تضعه هاهنا؟ فأجاب بالكلام المذكور.

وفي هذا الجواب نظر، لأن في كتابه أحاديثٌ اختلفوا في إسنادها أو متنها، وقد استدركت عليه وعللت.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ١٢٣)، وشروط الأئمة الستة لابن طاهر (ص ٩٢).

(٢) معرفة أنواع علم الحديث (ص ١٦٢)، وصيانة صحيح مسلم (ص ٧٥)، ونكت الزركشي (١/ ١٧٥).



وقد حاول ابنُ الصلاح رحمه الله أن يحل هذا الإشكال فعزا ذلك لذهول المصنف عن هذا الشرط، أو لسببٍ آخر.

أما ذهوله عن شرطه فمستبعدٌ جدًّا، مع تحريه وإتقانه وانتقائه لأحاديث كتابه، وعرضه على شيوخه، وأنه لم يضع فيه حديثاً إلا بحُجة:

قال مكي بن عبدان: سمعتُ مسلماً يقول: «عرضتُ كتابي هذا «المسند» على أبي زرعة الرازي، فكلُّ ما أشار أن له عِلَّةً تركته، وكلُّ ما قال: إنه صحيحٌ وليس له علةٌ أخرجته»^(١).

وقوله: «فكلُّ ما أشار أن له عِلَّةً تركته»، لعله أراد موافقةً خاصة، وهي التي ظهر له فيها صوابه، وإنما قلنا موافقة خاصة، لأن مسلماً لم يكن مقلداً لأبي زرعة ولا لغيره في الحكم على الأحاديث، بل كان مجتهداً، ومن شأن المجتهد أن يخالف غيره تارة ويوافقه تارة أخرى، وبهذا يُجمع بين قوله هذا وبين إنكار أبي زرعة عليه إخراج أحاديث أسباط بن نصر، وقطن ابن نسير، وأحمد بن عيسى، كما سيأتي في محله.

وعنه أنه قال: ما وضعتُ شيئاً في هذا «المسند» إلا بحُجة، وما أسقطتُ منه شيئاً إلا بحُجة^(٢).

وقد نقل النووي كلام ابن الصلاح كالمُقَرَّر له، ولم يتعقبه بشيء^(٣).

لكنه أجاب عن الإشكال بجوابٍ آخر، وهو جوابٌ جيد^(٤)، فقال: قد يُنكر هذا الكلام، ويُقال: قد وُضع أحاديث كثيرةٌ غير مجمعٍ عليها؟

(١) تقييد المهمل للغساني (١/٦٧)، وصيانة صحيح مسلم لابن الصلاح (ص ٦٧)، شرح مسلم للنووي (١/١٥)، وهدي الساري لابن حجر (ص ٣٤٨).

(٢) صيانة صحيح مسلم (ص ٦٨).

(٣) شرح مسلم للنووي (١/١٦).

(٤) قال المحقق محمد عوامة: وهو أقرب من جواب ابن الصلاح. انظر حاشية تدريب الراوي (٢/٣٤٤).



وجوابه: أنها عند مُسْلِمٍ بصفة المجمع عليه، ولا يلزم تقليد غيره في ذلك^(١).

ولعل هذا هو ما أراده ابنُ الصلاح بقوله: أو لسببٍ آخر.

وهو من أحسن الأجوبة في معنى قول مسلم: «ما أجمعوا عليه»: أي ما وُجد فيه شرائطُ الصحيح المجمع عليه بحسب نظره واطلاعه، وإن خالفوه في بعضها^(٢).

فإذا قال من يعترض على الشيخين: قد خُرج في «الصحيح» عن فلان، وقد قيل فيه كذا وكذا؟ قيل له: هو عند من احتجَّ به في «صحيحه» عدلٌ ضابط.

ويحتمل أن يكون مراده بـ «ما أجمعوا عليه» ما ذكره في الأصول دون الشواهد والمتابعات، فإن الأصول التي ذكرها في أبوابها متفق على صحة متونها.

وأما «المجمعون» الذين قصدتهم بكلامه:

فقيل: من تقدمه من أئمة الحديث، وهذا بعيدٌ جداً.

وقيل: أراد جميع من لقيهم من أهل العلم بالحديث، وهو بعيدٌ أيضاً.

وقيل: أراد جماعةً خاصةً من شيوخه وهذا أقرب.

وقال الميانشي في «جزئه»: قوله «ما أجمعوا على صحته» يعني أئمة الحديث كمالك،

والثوري، وشعبة، وأحمد بن حنبل، وابن مهدي وغيرهم^(٣). وفيه بُعد.

وقال مُغلطاي: رأيتُ في بعض التواريخ الحديثية، ولا يحضرني الآن ذكره، أنه أراد

إجماع أربعة: أحمد بن حنبل، ويحيى بن يحيى النيسابوري، وعثمان بن أبي شيبة، وسعيد بن

(١) شرح مسلم للنووي (٤/ ١٢٣).

(٢) المنهل الروي (ص ٨٥ - الفجي)، وتوضيح الأفكار (١/ ٥١).

(٣) ما لا يسع المحدث جهله (ص ٢٦٧).

منصور الخراساني^(١).

وقال القرطبي: يعني به من لقيه من أهل النقد والعلم بالحديث^(٢).

ومما يدل على أنهما لم يستوعبا الصحيح كله، أن كل واحدٍ منهما قد صحح أحاديث سُئل عنها، وليست في كتابه.

قال ابن كثير: ثم إن البخاري ومسلماً لم يلتزما بإخراج جميع ما يُحكم بصحته من الأحاديث، فإنهما قد صحّحا أحاديثَ ليست في كتابيهما، كما ينقل الترمذي وغيره عن البخاري تصحيحَ أحاديثَ ليست عنده، بل في السنن وغيرها^(٣).

والحاصل: أن من خلال ما تقدم يظهر المقصد الأساسي من جمع الكتابين، وهو جمع جُمْل من الأحاديث الصحيحة التي تستجيب لشرط الشيخين، ولم يقصدا جمع كل ما هو صحيحٌ عندهما، ولذلك سُمي البخاري كتابه: «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه».

فسماه بـ«الجامع» لأنه جامعٌ لأقسام الحديث الثمانية وهي: العقائد، والأحكام، والتفسير، والسير، والمناقب، والآداب، والفتن، والأشراط.

قال عبد العزيز الدهلوي في «العجالة النافعة»: والجامع في اصطلاح المحدثين ما يوجد فيه جميع أقسام الحديث أي: أحاديث «العقائد»، و«الأحكام»، و«الرقاق»، و«الآداب»، و«التفسير»، و«السير»، و«الفتن»، و«المناقب والمثالب»، وقد صنف أهل العلم في كل فن من هذه الفنون الثمانية تصانيف مفردة.

(١) إصلاح كتاب ابن الصلاح لمغلطاي (٢/٦٦)، والنكت للزركشي (١/١٧٨)، ومحاسن الاصطلاح (ص ١٦٢).

(٢) المفهم للقرطبي (١/١٠٠).

(٣) اختصار علوم الحديث لابن كثير (١/١٠٦).

فالجوامع ما يوجد فيه أنموذج كل فن من هذه الفنون المذكورة، كالجوامع الصحيح
للبخاري، والجوامع للترمذي.

أما صحيح مسلم فليس بجوامع لقلة التفسير فيه^(١).

وسماه «المختصر» لأنه اقتصر فيه على بعض ما صح عنده من الحديث مما هو على شرط
الكتاب، كما تقدم.

قال الشيخ عبد الحق الهاشمي في «قمر الأقمار» (ص ٩): إنما سماه «جامعاً» لأنه جمع فيه
الفنون الثمانية: فن الحديث، وفن العقائد، وفن الفقه، وفن السيرة، وفن الرقاق وغيرها.

وسماه «مسنداً» لأنه أورد فيه الأحاديث المسندة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وما
أورد فيه عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم ومن المعلقات، فإنما هو بالتبع، وليس على
شرط الكتاب.

وسماه «صحيحاً» لأنه أورد فيه ما صح عنده.

وسماه «مختصراً» لأنه خرج من ستمائة ألف حديث واختصره. اهـ

فائدة: إذا ثبت أنهما لم يلتزما استيعاب الصحيح كله، فلا وجه لإلزامهما إخراج ما لم
يخرجاه من الأحاديث مع كونه على شرطيهما.

قال النووي: ألزم الإمام الحافظ أبو الحسن الدارقطني وغيره البخاري ومسلماً إخراج
أحاديث تركا إخراجها مع أن أسانيدهما أسانيد قد أخرج لرواتها في صحيحيهما بها.

وذكر الدارقطني وغيره أن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم رووا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورؤيت أحاديثهم من وجوه صحاح لا مطعن في ناقلها ولم يخرجا من
أحاديثهم شيئاً فيلزمهما إخراجها على مذهبيهما.

(١) مقدمة تحفة الأحوذى (١/٦٦)، والعرف الشذي للكشميري (١/٣٢).



وذكر البيهقي أنها اتفقا على أحاديث من «صحيفة همام بن منبه»، وأن كل واحدٍ منهما انفرد عن الآخر بأحاديث منها، مع أن الإسناد واحدٌ.

وصنف الدارقطني، وأبو ذر الهروي في هذا النوع الذي ألزموهما.

قال النووي: وهذا الإلزام ليس بلازم في الحقيقة، فإنهما لم يلتزما استيعاب الصحيح، بل صح عنهما تصرُّيُهما بأنهما لم يستوعبا^(١).

وكذلك إلزام الحاكم لهما أحاديث على شرطهما لم يخرجها ليس بلازم^(٢).

تنبيه: لم يصب من زعم أن البخاري أورد في «جامعه» كلَّ ما صحَّ عنده من الأحاديث. وقد وُجد معنى هذا الكلام: عند الخطابي، وابن عبد البر.

قال الخطابي (ت ٣٨٨هـ): وغرض صاحب هذا الكتاب إنما هو ذكر ما صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث في جليل من العلم أو دقيق، ولذلك أدخل فيه كل حديث صحَّ عنده في تفسير القرآن، وذكر التوحيد والصفات، ودلائل النبوة ومبدأ الوحي وشأن المبعث، وأيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وحروبه ومغازيه، وأخبار القيامة والحشر، والحساب، والشفاعة وصفة الجنة والنار، وما ورد منها في ذكر القرون الماضية، وما جاء من الأخبار في المواعظ والزهد والرقاق، إلى ما أودعه بعد من الأحاديث في الفقه والأحكام والسنن، والآداب، ومحاسن الأخلاق، وسائر ما يدخل في معناها من أمور الدين^(٣).

وفي «التمهيد» لابن عبد البر: سأل أبو عيسى الترمذي محمد بن إسماعيل البخاري عن حديث: «هو الطهور ماؤه..» فقال: هو عندي حديث صحيح.

(١) شرح مسلم للنووي (٢٤ / ١).

(٢) نكت الزركشي (١٧٤ / ١).

(٣) أعلام الحديث للخطابي (١٠٢ / ١).



قال أبو عمر (ت ٤٦٣ هـ): لا أدري ما هذا من البخاري رحمه الله؟ ولو كان عنده صحيحاً لأخرجه في مصنفه الصحيح عنده.

وتعقبه ابن دقيق العيد في «شرح الإمام» بأنه لو كان صحيحاً، لأخرجه في مصنفه الصحيح عنده، فهذا غير لازم، لأنّ صاحبي «الصحيحين» لم يلتزما إخراج كل صحيح عندهما^(١).

وتعقبه أيضاً الحافظ ابن حجر في «التلخيص»، فقال: وهذا مردودٌ، لأنه لم يلتزم الاستيعاب^(٢).

تنبيه: ما في «الصحيحين» من المعلقات، مما يتقاعد عن شرط الصحيح مما هو موجودٌ في تراجم الأبواب دون مقاصد الكتاب وموضوعه، ليس داخلياً في شرطها قطعاً، لذلك لم يورده الحميدي في الجمع بين «الصحيحين»^(٣).

قال البقاعي: أما البخاري فلم يورد المعلقات مورد المسانيد، فهي عنده ليست مقصودة بالذات، بدليل أنه سمى كتابه: «الجامع المسند الصحيح»، فما رأينا فيه مما ليس بمسند علمنا أنه لم يرد بذكره كونه صحيحاً، بل قصد أمراً آخر، ومقاصده في ذلك مختلفة تُعرف بكثرة ممارسة كلامه^(٤).



(١) شرح الإمام لابن دقيق العيد (١/٧٣).

(٢) التلخيص الحبير لابن حجر (١/١١٨).

(٣) معرفة أنواع علم الحديث (ص ١٦٩).

(٤) النكت الوفية (١/١١١).

المبحث الثاني:

هل نص البخاري ومسلم على شرطيهما؟

ذكر بعض الأئمة، منهم أبو الفضل المقدسي، وعبد العظيم المنذري، أن الشيخين لم يُنقل عن واحدٍ منهما شرطٌ اشترطه في كتابه ولا في غيره، وإنما عُرِفَ ذلك بالتَّبَع والاستقراء لكتابيهما وطريقتيهما.

قال الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧هـ):

اعلم أن البخاري ومسلماً ومن ذكرنا بعدهم - يعني باقي الستة - لم يُنقل عن واحدٍ منهم أنه قال: شرطتُ أن أخرج في كتابي ما يكون على الشرط الفلاني، وإنما يُعرف ذلك من سَبَر كتبهم، فيُعلم بذلك شرط كل رجلٍ منهم^(١).

وقال الحافظ عبد العظيم المنذري (ت ٦٥٦هـ): وأما شرط «الصحيحين» فقد ذكر الأئمة أن البخاري ومسلماً لم يُنقل عن واحدٍ منهما أنه قال: شرطتُ أن أخرج في كتابي ما يكون على الشرط الفلاني، وإنما عُرِفَ ذلك من سَبَر «كتابيهما»، واعتبر مما خرَّجَاه، وللأئمة في ذلك أجوبة^(٢).

وقال النووي: إن المراد بقولهم: على شرطهما أن يكون رجالُ إسناده في كتابيهما، لأنه ليس لهما شرطٌ في كتابيهما ولا في غيرهما^(٣).

وقال السخاوي: اعلم أنه لم يصرح أحدٌ من الشيخين بشرطه في كتابه ولا في غيره، كما جزم به غيرٌ واحد، منهم النووي، وإنما عُرِفَ بالسَّبَر لكتابيهما، ولذا اختلف الأئمة في ذلك^(٤).

(١) شروط الأئمة الستة لأبي الفضل بن طاهر (ص ٨٥).

(٢) جواب الحافظ عبد العظيم المنذري عن أسئلة في الجرح والتعديل (ص ٩٠).

(٣) إرشاد طلاب الحقائق للنووي (ص ١٢٤)، التبصرة والتذكرة للعراقي (١/٦٦).

(٤) فتح المغيث للسخاوي (١/٨١/٨٢).



وقال شيخ مشايخنا الحافظ أحمد الغماري: ثم أين هو شرط البخاري ومسلم منصوباً عليه مقررّاً حتى يتبعه الحاكم؟^(١).

وظاهر كلامهم عدم التصريح عند الجميع، وليس كذلك.

فقد صرح مسلمٌ بشرطه في خطبة كتابه «الصحيح»^(٢)، كما جزم به الحازمي في «شروط الأئمة الخمسة»^(٣).

وأما أبو داود فقد ذكر شرطه في «رسالته» المشهورة التي وجهها إلى أهل مكة.

وأما الترمذي فإن شرطه في «جامعه» ومنهجه فيه يؤخذ من كتابه «العلل الصغير». قاله الشيخ المحقق عبد الفتاح أبو غدة^(٤).



(١) در الغمام الرقيق لعبد الله التليدي (ص ٦٢).

(٢) مقدمة صحيح مسلم (١/٤/٦). حيث قسم أحاديثه إلى ثلاثة أقسام: الأول: ما رواه الحفاظ المتقنون. والثاني: ما رواه المستورون المتوسطون في الحفظ والإتقان. والثالث: ما رواه الضعفاء والمتروكون، وأنه إذا فرع من القسم الأول أتبعه الثاني، وأما الثالث فلا يعرج عليه. شرح مسلم للنووي (١/٢٣).

(٣) شروط الأئمة الخمسة للحازمي (ص ١٦٤).

(٤) حاشية شروط الأئمة الستة (ص ٨٦).

الفصل الرابع

تعريف الحاكم لشرط الشيخين ومناقشته

للحاكم أبي عبد الله (ت ٤٠٥ هـ) تعريفٌ خاصٌ للحديث الصحيح حصل حوله جدلٌ كثير، ذَكَرَ ضِمْنَهُ شرطَ البخاري ومسلم، ويُعتبر الحاكم أبو عبد الله أول من أثار مسألة التصحيح على شرط الشيخين في كتابه «المستدرک» الذي جمع فيه من الحديث الصحيح الزائد على ما في «الصحيحين» مما لم يذكره وهو على شرطهما أو شرط أحدهما أو ليس على شرط واحدٍ منهما، ورغم أن شيخه الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ)، قد سبقه إلى تتبع «الصحيحين» والاستدراك عليهما في كتابه «الإلزامات والتتبع»، إلا أن كتابه لم يشتهر كاشتهار «المستدرک» ولا اهتم به العلماء كاهتمامهم بكتاب الحاكم.

ونحن نسوق إليك ما ذكره الحاكم في كتابه «الإكليل» من كلام حول شرط الشيخين، ثم ننقل ما أثاره كلامه من وجوه الاعتراض.

قال الحاكم أبو عبد الله في كتاب «المدخل إلى الإكليل»: الصحيحُ من الحديث عشرة أقسام، خمسةٌ متفقٌ عليها، وخمسةٌ مختلفٌ فيها:

فالقسم الأول: من المتفق عليها - اختيار البخاري ومسلم - وهو الدرجة الأولى من الصحيح، ومثاله: الحديث الذي يرويه الصحابي المشهور بالرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وله راويان ثقتان، ثم يرويه عنه التابعي المشهور بالرواية عن الصحابة، وله راويان ثقتان، ثم يرويه عنه من أتباع التابعين الحافظ المتقن المشهور، وله رواة ثقات من الطبقة الرابعة، ثم يكون شيخ البخاري أو مسلم حافظاً متقناً مشهوراً بالعدالة في روايته، فهذه الدرجة الأولى من الصحيح.

والأحاديثُ المرويةُ بهذه الشريطة لا يبلغ عددها عشرة آلاف حديث.

والثاني: الحديثُ الذي رواه الثقاتُ الحفاظُ إلى الصحابي، وليس لهذا الصحابي إلا



راوٍ واحد.

والثالث: أخبارُ جماعةٍ من ثقاتِ التابعين عن الصحابة، إلا أنه ليس لكل واحد منهم إلا الراوي الواحد.

والرابع: الأحاديثُ الأفرادُ الغرائبُ التي يرويها الثقاتُ العدول، تفرد بها ثقةٌ من الثقات، وليس لها طرقٌ مخرجةٌ في الكتب.

والخامس: أحاديثُ جماعةٍ من الأئمة عن آبائهم عن أجدادهم، ولم يتواتر الرواية عن آبائهم وأجدادهم إلا عنهم.

قال: وهذه الأقسامُ الأربعةُ الأخيرة ليس في «الصحيحين» منها شيء^(١).

وله تعريفٌ آخر للحديث الصحيح ذكره في كتابه «المعرفة» قال: وصِفَةُ الحديث الصحيح أن يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابيٌّ زائلٌ عنه اسم الجهالة، وهو أن يروي عنه تابعيان عدلان، ثم يتداوله أهلُ الحديث بالقبول إلى وقتنا هذا كالشهادة على الشهادة^(٢).

فعَمَّم في «علوم الحديث» شَرَطَ الصحيح من حيث هو، وخصَّص ذلك في «المدخل» بشرط الشيخين^(٣).

وقوله: «كالشهادة على الشهادة»: يحتمل أنه أراد به تشبيه الرواية بالشهادة في جميع الوجوه، ومنه التعدد، أو أنه أراد تشبيهاً خاصاً في بعض الوجوه، كالاتصال واللقاء والمشافهة.

(١) المدخل إلى الإكليل للحاكم (ص ٧٣ / ١٠٧).

(٢) معرفة علوم الحديث للحاكم (ص ٦٢).

(٣) تدريب الراوي (٢ / ٤٧٠)، أخذه من النكت لابن حجر (١ / ٢٤٠).



تنبيه: لم ينفرد الحاكم بهذا القول بل سبقه إليه الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده (ت ٣٩٥هـ) فقد قال: مِنْ حُكْمِ الصَّحَابِيِّ أَنَّهُ إِذَا رَوَى عَنْهُ تَابِعِي وَاحِدٌ، وَإِنْ كَانَ مَشْهُورًا، مِثْلَ الشَّعْبِيِّ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ، يُنْسَبُ إِلَى الْجَهَالَةِ، فَإِذَا رَوَى عَنْهُ رَجُلَانِ صَارَ مَشْهُورًا وَاحْتُجَّ بِهِ، وَعَلَى هَذَا بَنَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ كِتَابَيْهِمَا، إِلَّا أَحْرَفَا تَبِينَ أَمْرَهَا^(١).

وقد وجدنا الحاكم في كتابه «المستدرک» يُعَلِّلُ عَدَمَ إِخْرَاجِ الشَّيْخَيْنِ لِحَدِيثِ مَا، بِأَنَّ صَحَابِيَّهٗ لَمْ يَرَوْا عَنْهُ إِلَّا رَاوٍ وَاحِدًا. وهذه بعض الأمثلة:

[حديث رقم (٦٥)]: عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا قَشْفُ الْهَيْئَةِ، قَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ مَالٍ؟» الْحَدِيثُ.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.. ولم يخرجاه، لأن مالك بن نضلة الجشمي ليس له راوٍ غير ابنه أبي الأحوص^(٢).

[حديث رقم (٩٧)]: عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ كُرْزِ بْنِ عُلْقَمَةَ، قَالَ: قَالَ أَعْرَابِي: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لِلْإِسْلَامِ مِنْ مَنْتَهَى؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» الْحَدِيثُ.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح، وليس له علة، ولم يخرجاه لتفرد عروة بالرواية

(١) شروط الأئمة الستة لابن طاهر (ص ٩٩)، وظاهر كلامه أن الصحابي الذي لم يرو عنه إلا واحد يُنسب إلى الجهالة، ولا يُحتج بحديثه. وليس كذلك، لأن الصحابة كلهم عدول، فلا يضر الجهل بأعيانهم. قال العراقي: لا شك أن الصحابة الذين ثبتت صحبتهم كلهم عدول، ولكن الشأن في أنه هل ثبتت الصحبة برواية واحد عنه أم لا تثبت إلا برواية اثنين عنه؟ هذا محل نظر واختلاف بين أهل العلم، والحق أنه إن كان معروفاً بذكره في الغزوات، أو في من وفد من الصحابة، أو نحو ذلك، فإنه ثبتت صحبته وإن لم يرو عنه إلا راوٍ واحد. التقييد والإيضاح (ص ١٢٥).

(٢) المستدرک (١/ ٧٧).



عن كرز بن علقمة، وكرز بن علقمة صحابي مخرج حديثه في مسانيد الأئمة^(١).

[حديث رقم (١٢٦)]: عن أبي إسحاق، عن مطر بن عكاس العبدى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما جعل الله أجل رجل بأرض إلا جعلت له فيها حاجة».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد اتفقا جميعاً على إخراج جماعة من الصحابة ليس لكل واحدٍ منهم إلا راوٍ واحد^(٢)».

[حديث رقم (٨٦٣)]: عن الحارث الأشعري، أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم، قال: «إن الله تبارك وتعالى أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات» الحديث.

قال الحاكم: وقد أخرج الشيخان برواية هذا الحديث عن آخرهم، ولم نجد للحارث الأشعري راوياً غير ممطور أبي سلام فتركاه، وقد تكلمت على هذا النحو في غير موضع فأغنى عن إعادته، والحديث على شرط الأئمة صحيح محفوظ^(٣).

[حديث رقم (١٧٠١)]: عن الشعبي، عن عروة بن مضر الطائي، قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقفٌ بجمع، فقلت: يا رسول الله جئتك من جبل طيى. الحديث.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط كافة أئمة الحديث، وهي قاعدة من قواعد الإسلام، وقد أمسك عن إخرجه الشيخان محمد بن إسماعيل ومسلم بن الحجاج على أصلهما، لأن عروة بن مضر لم يحدث عنه غير عامر الشعبي، وقد وجدنا عروة بن الزبير بن العوام حدث عنه^(٤).

(١) المستدرك (١/٨٩).

(٢) المستدرك (١/١٠٢).

(٣) المستدرك (١/٣٦٢).

(٤) المستدرك (١/٦٣٤ / ٦٣٥).

❁ كيف تلقى الأئمة كلام الحاكم؟

تلقى بعضُ الأئمة كلام الحاكم بالقبول، واستروحوا إليه، ونقلوه في مصنفاتهم من غير تحقيق.

واعترض عليه آخرون، وقالوا إن ما ادَّعاه شرطاً للصحيحين منقوضٌ بما فيهما من الغرائب والأفراد، وأن الأقسامَ الأربعة التي زعم أن الشيخين لم يخرجها منها حديثاً، كلُّ قسمٍ منها موجودٌ في كتابيهما، يعلم ذلك من له ممارسة للصحيحين.

ومنهم من اعتذر عنه، وحمل كلامه على وجهٍ مقبول، وتأويلٍ حسنٍ، تحسیناً للظن بهذا الإمام، فإنه كان عالماً بهذا الفن، خبيراً بغوامضه، عارفاً بأسراره، وما قال هذا القول وحكَمَ على الكتابين بهذا الحكم إلا بعد التفتيش والاختبار والتيقن لما حكم به عليهما.

قال ابن الأثير: وحسن الظن بالعلماء أحسن، والتوصل في تصديق أقوالهم أولى^(١).

فَمِنْ المتابعين للحاكم والمنتصرين له:

تلميذه البيهقي (ت ٤٥٨ هـ): فإنه بعد أن ساق في «سننه» حديث بهز بن حكيم بن معاوية، عن أبيه، عن جده: «في كل أربعين من الإبل السائمة ابنة لبون» قال: هذا حديثٌ قد أخرجه أبو داود في كتاب «السنن»، فأما البخاري ومسلم فإنهما لم يخرجاه جرياً على عادتهما في أن الصحابي أو التابعي إذا لم يكن له إلا راوٍ واحدٌ لم يخرجاه حديثه في «الصحيحين»، ومعاوية بن حيدة القشيري لم يثبت عندهما روايةٌ ثقة عنه غير ابنه، فلم يخرجاه حديثه في الصحيح^(٢).

وقال في رسالته للجويني: والذي عندنا من مذهب كثيرٍ من الحفاظ، وعليه يدل مذهب الإمامين: أبي عبد الله البخاري، وأبي الحسين النيسابوري أنهما إنما يشترطان أن يكون للصحابي الذي يروي الحديث راويان فأكثر، ليخرج بذلك عن حد الجهالة، وهكذا

(١) جامع الأصول (١/١٦٢).

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (٤/١٠٥).

مَنْ دُونَهُ.

ثم إن انفرد أحد الراويين عنه بحديث، وانفرد الآخر بحديث آخر، أو بحكاية، أو جرى له ذكرٌ في حديث آخر، قُبِلَ.

وإنما التوقف - أي عندهما - في رواية صحابي أو تابعي لا يكون له إلا راوٍ واحد، كصفوان بن عَسَّال، لم يرو عنه من الثقات إلا زر بن حُبَيْش، وكعروة بن مُضَرَس، وهو صحابي، لم يرو عنه من الثقات إلا عامر الشعبي^(١).

والقاضي أبو بكر ابنُ العربي (ت ٥٤٣هـ): ذكر في شرحه على الترمذي حديث: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته». فقال: هو حديثٌ مشهور، رواه عن النبي صلى الله عليه و سلم جماعةٌ من الصحابة .. وقد قال البخاري: هو صحيح. ولكن لم يخرج له لأنه رواه واحدٌ عن واحد^(٢).

وقال في شرح البخاري: عن حديث «إنما الأعمال بالنيات»: انفرد به عمر، وقد جاء من طريق أبي سعيد، رواه البزار بإسناد ضعيف.

قال: وحديث عمر وإن كان طريقه واحداً، وإنما بنى البخاري كتابه على حديث يرويه أكثر من واحد، فهذا الحديث ليس من ذلك الفن، لأن عمر قاله على المنبر بمحضر الأعيان من الصحابة، فصار كالمجمع عليه، فكأن عمر ذكرهم لا أخبرهم^(٣).

وتُعقَّب: بأنه لا يلزم من كونهم سكتوا عنه، أن يكونوا سمعوه من غيره، وبأن هذا لو سُلم في عمر، مُنِع في تفرد علقمة ابن وقاص الليثي، ثم تفرد محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة، ثم تفرد يحيى بن سعيد به عن محمد علي ما هو الصحيح المعروف عند المحدثين، وقد

(١) رسالة البيهقي للجويني (ص ٨٤-٨٥).

(٢) عارضة الأخوذي (١/ ٨٧).

(٣) تدريب الراوي (٢/ ١٧٣ / ١٧٤).



وردت لهم متابعات لا يعتبر بها.

قال ابن رُشيد في كتاب «ترجمان التراجم»: ولقد كان يكفي القاضي في بطلان ما ادعى أنه شرط البخاري، أول حديث مذكور فيه.

زاد البقاعي: وآخر حديث مذكور فيه، وهو: «كلمتان خفيفتان على اللسان»، فإن أبا هريرة تفرد به عن النبي صلى الله عليه وسلم، وتفرد به عنه أبو زرعة، وتفرد عنه عمارة بن القعقاع، وتفرد به عنه محمد بن فضيل، وعنه انتشار، فرواه عنه ابن إشكاب وغيره، أفاده الحافظ في «الفتح»^(١).

لكن القاضي ابن العربي، بعد أن وافقهم، عاد فردّ ما اشترطوه وأبطله.

فقال في «شرح الموطأ»: كان مذهب الشيخين أن الحديث لا يثبت حتى يرويه اثنان. قال: وهو مذهب باطل، بل رواية الواحد عن الواحد صحيحة إلى النبي صلى الله عليه وسلم^(٢).

ومجد الدين ابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦ هـ):

فإنه نقل في مقدمة كتابه «جامع الأصول» التقسيم الذي تقدم عن الحاكم.

ثم أورد قول الناقض: إن هذا الشرط غير مطّرد في كتابي البخاري ومسلم، فإنهما قد أخرجاً فيهما أحاديث على غير هذا الشرط.

وأجاب عنه: بأن الحاكم مُثَبِّتٌ، وهذا نافي، والمثبت يقدم على النافي، وكيف يجوز له أن يقضي بانتفاء هذا الحكم بكونه لم يجده، ولعل غيره قد وجدته ولم يبلغه وبلغ سواه؟

(١) نزهة النظر (ص ٤٤)، وفتح الباري (١٣ / ٥٤٠)، والنكت الوفية (٢ / ٤٤٢).

(٢) تدريب الراوي (٢ / ١٧٢ / ١٧٣).

ثم ذكر لقول الحاكم تأويلين:

أحدهما: أن يكون الحديث قد رواه عن الصحابي المشهور بالرواية راويان، ورواه عن ذينك الراويين أربعة، عن كل راو راويان، وكذلك إلى البخاري ومسلم.

والثاني: أن يكون للصحابي راويان، ويروي الحديث عنه أحدهما، ثم يكون لهذا الراوي راويان، ويروي الحديث عنه أحدهما، وكذلك لكل واحد ممن يروي ذلك الحديث راويان، فيكون الغرض من هذا الشرط تزكية الرواة، واشتعار ذلك الحديث بصدوره عن قوم مشهورين بالحديث، والنقل عن المشهورين بالحديث والرواة، لا أنه صادر عن غير مشهور بالرواية والرواة والأصحاب^(١).

وابن القطان الفاسي (ت ٦٢٨هـ): قال في كتابه «بيان الوهم والإيهام»: إن البخاري ومسلماً، لم يخرجوا عن رجلٍ لم يرو عنه إلا واحد، بل لا بد أن يكون كلُّ من يخرجان عنه، قد روى عنه اثنان فأكثر، فلذلك لم يخرجوا حديث عروة بن مُضَرَّس، وقيس بن أبي غَرْزَة، وأمثالهما من الصحابة الذين أحاديثهم صحيحة، ولكنها ليست على شرطهما^(٢).

ومن اشترط العدد في الصحيح

أبو حفص المياشي (ت ٥٨١هـ): قال في كتاب «ما لا يسع المحدث جهله»: الذي شرطه الشيخان في صحيحيهما أنهما لا يدخلان في كتابيهما إلا ما صح عندهما، وذلك ما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم اثنان من الصحابة فصاعداً، وما نقله عن كل واحد من الصحابة أربعة من التابعين فأكثر، وأن يكون عن كل واحد من التابعين أكثر من أربعة^(٣).

ورد الحافظ عليه: بأن هذا كلامٌ مَنْ لم يُمارس «الصحيحين» أدنى ممارسة، فلو قال قائلٌ:

(١) جامع الأصول لابن الأثير (١/ ١٦٠ / ١٦٣).

(٢) بيان الوهم والإيهام لابن القطان (٥ / ٥١٤).

(٣) ما لا يسع المحدث جهله (ص ٢٦٦ / ٢٦٧).



ليس من الكتابين حديثٌ واحدٌ بهذه الصفة لما أبعد^(١).

وقال في «النكت»: فهذا الذي قاله الميانجي مُستغنٍ بحكايته عن الرد عليه، فإنهما لم يشترطاً ذلك ولا واحدٌ منهما، وكم في «الصحيحين» من حديثٍ لم يروه إلا صحابي واحد، وكم فيهما من حديثٍ لم يروه إلا تابعي واحد.

قال: وقد صرح مسلم في «صحيحه» ببعض ذلك، وإنما حكيت كلام الميانجي هنا لأتعبه لئلا يغتر به^(٢).

أما المعارضون للحاكم والناقضون عليه:

فأولهم شيخه أبو الحسن الدارقطني (ت ٣٨٥هـ): ذكر الحاكم في «المستدرک»^(٣) حديث: أسامة بن شريك يرفعه: «يا أيها الناس من الأعراب وضع الله الحرج إلا من اقترض لأخيه عرضاً فذلك الذي حرج وهلك» ثم قال: قال لي أبو الحسن علي بن عمر الحافظ رحمه الله - يعني الدارقطني - : لم أسقطاً - أي الشيخان - حديث أسامة بن شريك من الكتابين؟ قلت: لأنهما لم يجدا لأسامة بن شريك راوياً غير زياد بن علاقة. فحدثني أبو الحسن رضي الله عنه، وكتبه لي بخطه، قال: قد أخرج البخاري^(٤) رحمه الله عن يحيى بن حماد، عن أبي عوانة، عن بيان بن بشر، عن قيس بن أبي حازم، عن مرداس الأسلمي رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يذهب الصالحون أسلاًفاً» الحديث. وليس لمرداس راوٍ غير قيس.

«وقد أخرج البخاري حديثين^(٥) عن زهرة بن معبد، عن جده عبد الله بن هشام بن

(١) البحر الذي زخر (١/٣٧٥).

(٢) النكت لابن حجر (١/٢٤١).

(٣) المستدرک (٤/٤٤٤).

(٤) رواه البخاري رقم (٦٤٣٤).

(٥) رواهما البخاري رقم (٢٥٠١) و(٣٦٩٤).



زهرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وليس لعبد الله راو غير زهرة».

«وقد اتفقا^(١) جميعاً على إخراج حديث قيس بن أبي حازم، عن عدي بن عميرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من استعملناه على عمل» وليس لعدي بن عميرة راو غير قيس.

«وقد اتفقا^(٢) جميعاً على حديث مجزأة بن زاهر الأسلمي، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن لحوم الحمر الأهلية، وليس لزاهر راو غير مجزأة». «وأخرج البخاري حديث الحسن، عن عمرو بن تغلب، وليس لعمرو راو غير الحسن».

«وحديث زياد بن علاقة، عن أسامة بن شريك أصح وأشهر وأكثر رواة من هذه الأحاديث».

وعبد الغني بن سعيد الأزدي (ت ٤٠٩ هـ)، وابن دقيق العيد (ت ٧٠٢ هـ): للحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي كتاب «كشف الأوهام التي في مدخل الحاكم» أبطل فيه ذلك. ذكره ابن دقيق العيد في «الإمام» وقال: إن هذه الدعوى لم تثبت^(٣).

وأبو الفضل ابن طاهر المقدسي (٥٠٧ هـ): له كتاب «شروط الأئمة الستة» ساق فيه كلام الحاكم بسنده، وأجاب عنه بأن البخاري ومسلماً لم يشترطا هذا الشرط، ولا نُقل عن واحدٍ منهما أنه قال ذلك، والحاكم قدّر هذا التقدير، وشرط لهما هذا الشرط على ما ظن.

(١) أخرجه مسلم فقط رقم (١٤٦٥). حاشية التدريب (٢/ ٤٧١).

(٢) أخرجه البخاري فقط رقم (٤١٧٣). حاشية التدريب (٢/ ٤٧١).

(٣) نكت الزركشي (١/ ٢٦١)، والبحر الذي زخر (٢/ ٦٨٨)، وقد طبع كتاب «أوهام الحاكم في المدخل»، وليس في المطبوع منه ما نقله ابن دقيق العيد. ومما يدل على تواضع الحاكم وإنصافه رجوعه إلى الحق وقبوله. قال ابن كثير في ترجمة «عبد الغني بن سعيد»: وقد صنف الحافظ عبد الغني هذا كتاباً فيه أوهام الحاكم، فلما وقف عليه الحاكم جعل يقرؤه على الناس، ويعترف لعبد الغني بالفضل، ويشكره على ذلك، ويرجع إلى ما أصاب فيه من الرد عليه، رحمهما الله. البداية والنهاية (١٥/ ٥٧٨ هجر).



قال: ولعمري إنه شرطٌ حسنٌ لو كان موجوداً في كتابيهما، إلا أنا وجدنا هذه القاعدة التي أسسها الحاكم منتقضة في الكتابين معاً. ثم ذكر أمثلة تنقض ما جعله الحاكم شرطاً لهما^(١).

وعبد الرحمن ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ): قال في مقدمة كتابه «الموضوعات»: واعلم أن الذي ذكره الحاكم من اشتراط عدلين عن عدلين ليس بصحيح، فإنهما ما اشترطا هذا، وإنما ظنه الحاكم وقدره في نفسه وظنه غلط، وإنما قد يتفق مثل هذا، وقوله: تركا رواية من ليس له غير راو واحد غلط أيضاً. ثم ذكر نحواً مما عند ابن طاهر ولم يعزه إليه^(٢).

وأبو بكر الحازمي (ت ٥٨٤هـ): له كتاب «شروط الأئمة الخمسة» نقل فيه كلام الحاكم في «المدخل» ثم تعقبه بقوله: لم يصب في قسم من الأقسام، ولو رُوجع وطُوب بالدليل، وكُلّف البحث والسبر عن مخارج الأحاديث المخرجة في الكتابين لاستوعر السبيل، ولم يتضح له فيه دليل إلا في قدرٍ من ذلك قليل.

ومنشأ ذلك إما إثارة الدعة وترك الدأب، وإما حسنُ الظن بالمتقدم.

قال: وهذا حكم من لم يُمعن الغوص في خبايا الصحيح، ولو استقرأ الكتاب حق استقرائه لوجد جملة من الكتاب ناقضة عليه دعواه، فإن ما جعله شرطاً للبخاري ومسلم غير صحيح طرداً وعكساً، بل لو عكس القضية وحكمَ كان أسلم له، قال: وقد صرح بنحو ما قلتُ محمد بنُ حبان البستي، فإنه قال^(٣): فأما الأخبار فإنها كلها أخبار آحاد، لأنه ليس يوجد عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر من رواية عدلين، روى أحدهما عن عدلين، وكل واحدٍ منهما عن عدلين، حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) شروط الأئمة الستة لابن طاهر (ص ٩٦ / ٩٧).

(٢) الموضوعات لابن الجوزي (١ / ١١).

(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١ / ١٥٦). قال الحافظ في شرح النخبة (ص ٤٥): إن أراد به أن رواية اثنين فقط عن اثنين فقط لا توجد أصلاً فيمكن أن يُسلم، وأما صورة العزيز التي حررناها فموجودة بأن لا يرويه أقل من اثنين عن أقل من اثنين.



فلما استحال هذا وبطل، ثبت أن الأخبار كلها أخبار آحاد، وأن من تنكب عن قبول أخبار الآحاد، فقد عمد إلى ترك السُّنن كلها، لعدم وجود السُّنن إلا من رواية الآحاد^(١).

ثم نقض عليه ما ادعاه بنحو ما لابن طاهر دون العزو إليه^(٢).

وعثمان بن الصلاح (ت ٥٧٧هـ): قال في «المقدمة»: ثم إن الحاكم أبا عبد الله حَكَمَ في «المدخل إلى كتاب الإكليل» بأن أحداً من هذا القبيل - أي من لم يرو عنه إلا راوٍ واحد - لم يخرج عنه البخاري، ومسلم في صحيحيهما، وأنكر ذلك عليه، ونُقِضَ عليه بإخراج البخاري في «صحيحه» حديث قيس بن أبي حازم عن مرداس الأسلمي: «يذهب الصالحون الأول فالأول» ولا راوي له غير قيس. إلخ كلامه^(٣).

وأبو العباس القرطبي (ت ٦٥٦هـ): قال في «المفهم»: وأما ما ادَّعاه الحاكم عليهما من الشرط الذي قدمنا حكايته عنهما، فشيء لم يصح نقله عنهما، ولا سَلَّمَ له النقاد ذلك^(٤).

ومحيي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ): قال في «شرح مسلم»: وأما قول الحاكم: إن من لم يرو عنه إلا راوٍ واحد فليس هو من شرط البخاري ومسلم، فمردودٌ، غَلَطَ الأئمةُ فيه^(٥).

وبدر الدين ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ): قال في «المنهل الروي»: وأما قول الحاكم لم يخرج البخاري ومسلم في الصحيح عن أحدٍ من هذا القبيل، فقد غَلَطَ بعضهم إلخ كلامه^(٦).

(١) شروط الأئمة الخمسة للحازمي (ص ١٢٢ / ١٢٩ / ١٣٣).

(٢) قال العلامة الكوثري: كان من واجبه أن ينوه بفضل ابن طاهر لأنه على نور بيانه أبان الحق في كتابه. حاشية شروط الأئمة الستة (ص ٩٧).

(٣) معرفة أنواع علم الحديث (ص ٥٥٤ / ٥٥٥).

(٤) المفهم للقرطبي (١ / ٩٨).

(٥) شرح مسلم للنووي (١ / ٢٨).

(٦) المنهل الروي (ص ٧٦ - رمضان).



وشمس الدين الذهبي (٧٤٨هـ): قال في «السير»: ما قاله الحاكم هي مجرد دعوى^(١).

وبدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ): قال في «النكت على ابن الصلاح»: قد رد على الحاكم الأئمة في ذلك^(٢).

وممن رد عليه أيضاً: الأبناسي (ت ٨٠٢هـ)^(٣)، وزين الدين العراقي (ت ٨٠٦هـ)^(٤)، والحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ)^(٥)، والسخاوي (ت ٩٠٢هـ)^(٦)، والسيوطي (ت ٩١١هـ)^(٧).

هذا كلام الأئمة المحققين المرجوع إليهم في بيان مُشكلاته وحل مُغلقاته، كُلُّهم فهموا من كلامه أن الشيخين لا يخرجان لمن لم يرو عنه إلا راوٍ واحد، ولذلك غلَّطوه، ونقضوا عليه قوله.

❁ نقض كلام الحاكم والتعقب عليه:

وما ذكره الحاكم في «المدخل» أنه شرطُ الشيخين، إما أن يكون قاله عن سبَرٍ واستقراءٍ لأحاديث الكتابين، أو قاله ظناً وتحميناً. والأول باطلٌ بأول حديثٍ في البخاري، فلم يبق إلا الثاني، ولهذا قال ابن طاهر: والحاكم قدَّر هذا التقدير، وشرَّطَ لهما هذا الشرط على ما ظنَّ. وتردد الحازمي فقال: إن منشأ ذلك إما إثارة الدَّعة وترك الدَّأب، وإما حُسْنُ الظنِّ بالمتقدم.

(١) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٥٧٤).

(٢) نكت الزركشي (١ / ٢٦١).

(٣) الشذا الفياح (٢ / ٥٧٤).

(٤) شرح التبصرة والتذكرة (٣ / ١٠٥).

(٥) النكت لابن حجر (١ / ٣٦٦ / ٣٦٧).

(٦) فتح المغيث للسخاوي (٤ / ١٨٠).

(٧) تدريب الراوي (٥ / ٣٢٤).

فأشار إلى أن الحاكم تابعٌ لغيره^(١).

وبالمقارنة بين ما ذكره الحاكم في «المستدرک» وما كتبه في «المدخل» وفي «المعرفة»،

يترجح لدينا أنه رجع عما شرطه أولاً في «المدخل» في حق الصحابة خاصة، ولعله أخذ ذلك من كتاب شيخه الدارقطني، وقد سقنا نصّه سابقاً، ومما يقوي هذا الاحتمال أنه نقل أمثلة الدارقطني بما فيها من أوهام.

فقال في «المستدرک» الذي ألفه بعد «المدخل» وبعد «المعرفة»: إن الصحابي المعروف إذا لم نجد له راوياً غير تابعي واحدٍ معروفٍ احتجنا به، وصححنا حديثه، إذ هو صحيحٌ على شرطهما جميعاً، فإن البخاري قد احتج بحديث قيس بن أبي حازم، عن مرداس الأسلمي، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «يذهب الصالحون»، واحتج^(٢) بحديث قيس، عن عدي بن عميرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من استعملناه على عمل»، وليس لهما راوٍ غير قيس ابن أبي حازم، وكذلك مسلم قد احتج^(٣) بأحاديث أبي مالك الأشجعي، عن أبيه وأحاديث مجزأة بن زاهر الأسلمي، عن أبيه^(٤).

قال الحافظ السخاوي: قد وجدتُ في كلام الحاكم التصريح باستثناء الصحابة من ذلك، وإن كان مناقضاً لكلامه الأول، ولعله رجع عنه إلى هذا، ويكون كلامه قد استقام وزال عنه الملام^(٥).

وقوله: «باستثناء الصحابة» مخرجٌ لغيرهم من التابعين فمن بعدهم إلى شيوخ الشيخين، فإن الحاكم يشترط فيهم أن يكون لكل واحدٍ راويان ثقتان، ليخرج عن حدّ الجهالة.

(١) لعل الحاكم تبع في ذلك ابن منده، والله أعلم.

(٢) الذي احتج بحديث «عدي بن عميرة» إنما هو مسلم رقم (١٨٣٣)، لا البخاري.

(٣) الذي احتج بحديث «زاهر» إنما هو البخاري رقم (٤١٧٣)، لا مسلم.

(٤) المستدرک (٢٣/١).

(٥) فتح المغيث للسخاوي (١/٨٥/٨٦).

ويؤكدُه قوله، كما في «سؤالات السجزي»: من شرط البخاري في «الصحيح» أن

الحديث لا يشتهر عنده إلا بثقتين يتفقان على روايته^(١).

والذي ينبغي أن يُعلم أن ما اشترطه الحاكم في رجال الشيخين - وقد استثنينا منهم الصحابة رضي الله عنهم - إنما هو في الرواة الذين أخرجوا لهم في الأصول، فلا يوجد في «الصحيحين» حديثٌ أصلاً من رواية من ليس له إلا راوٍ واحد، أما في المتابعات والشواهد والتعليق والتراجم فيوجد فيها من رواية الواحدان جملةٌ وفيرة.

وقد ذكر ابن عدي في «شيوخ البخاري» أقواماً لم يرو عنهم إلا راوٍ واحد، وسماهم، وقال: لم يرو عنهم إلا راوٍ واحد^(٢)، وليسوا بمعروفين. قاله القرطبي^(٣) وفيه نظر، فإن قول ابن عدي: «لا يُعرف». لا يلزم منه أن يكون مجهول العين - أي لم يرو عنه إلا واحد - بل قد يكون مجهول الحال، لأنهم لا يشترطون في المتابعات والشواهد أن يكون رواها موثقين.

قال ابن الصلاح: قد يدخل في باب المتابعة والاستشهاد، رواية من لا يُحتج بحديثه وحده، بل يكون معدوداً في الضعفاء. وفي كتابي البخاري ومسلم جماعة من الضعفاء ذكراهم في المتابعات والشواهد، وليس كلُّ ضعيفٍ يصلح لذلك، ولهذا يقول الدارقطني وغيره في الضعفاء: فلان يُعتبر به، وفلان لا يُعتبر به^(٤).

وعلَّله النووي بأنهم إنما يفعلون ذلك - أي إدخال الضعفاء في المتابعات والشواهد - لكون المتابع لا اعتماد عليه، وإنما الاعتمادُ على من قبله^(٥).

(١) سؤالات السجزي للحاكم (ص ٢٠٩).

(٢) قوله: «لم يرو عنهم إلا راوٍ واحد» غير موجود في المطبوع من «شيوخ البخاري»، فليُنظر من أي مصدرٍ نقله القرطبي.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٩٨).

(٤) معرفة أنواع علم الحديث (ص ٢٤٨).

(٥) شرح مسلم للنووي (١/ ٣٤).

وقد يكون كُلُّ من المتابع والمتابع لا اعتماد عليه، ولكن باجتماعهما تحصل القوة.
قاله السخاوي^(١).

وقد يقال: ما الفائدة من جمع المتابعات والشواهد؟

قال الزركشي: المقصود من المتابعات والشواهد تكثير الطرق للحديث، وجمعه في موضع واحد، ليفسر بعضه بعضاً، وليُعلم أن ذلك الضعيف لم ينفرد به^(٢).

❁ الوُحْدَان من رجال «الصحيحين»:

«الوحدان» بضم الواو: جمع واحد، وهم في اصطلاح أهل الحديث: من لم يرو عنه إلا راوٍ واحد.

وهذا بابٌ واسع، وتتبعه يطول، ويخرج عن مقصود الكتاب، ومن مؤلفاته: «المنفردات والوحدان» لمسلم بن الحجاج، و«تسمية من لم يرو عنه غير رجل واحد» للنسائي، و«المخزون» لأبي الفتح الأزدي، وغيرها، وذكر الحاكم في كتابه «المعرفة» في النوع السابع والثلاثين جماعة من الصحابة والتابعين، وأتباع التابعين، ليس لكل واحد منهم إلا راوٍ واحد^(٣).

وسأذكر عشرةً من رجال البخاري ومسلم، أو أحدهما، من غير الصحابة، ممن لم يرو عنهم إلا راوٍ واحد، للتمثيل على وجود الوُحْدَان في «الصحيحين».

«إسحاق بن إبراهيم بن نصر [خ]» أبو إبراهيم المعروف بالسعدي.

روى عنه البخاري، وربما نسبته إلى جده، ولم يرو عنه إلا ما وافق عليه الثقات.

(١) فتح المغيث للسخاوي (٢/ ٢٣).

(٢) النكت للزركشي (٢/ ١٧١).

(٣) معرفة علوم الحديث للحاكم (ص ١٥٧).



و«حماد بن حميد [خ]»، روى عنه البخاري حديثاً واحداً في الاعتصام.

قال ابن عدي: لا يُعرف^(١). وقال المزي: لم يُنسب بأكثر من هذا، ولم يُعرف إلا في هذا الحديث الواحد^(٢).

و«علي بن إبراهيم [خ]»، روى عنه البخاري في فضائل القرآن.

قال ابن عدي: لا يُعرف، يروي عن روح، عن شعبة، يشبه أن يكون علي هذا ابن الحسين بن إبراهيم بن إشكاب أخو محمد بن إشكاب^(٣).

وقال المزي: قيل: إنه علي بن إبراهيم بن عبد المجيد الواسطي، وقيل: علي بن عبد الله بن إبراهيم البغدادي، وقيل: علي بن الحسين بن إبراهيم بن إشكاب العامري^(٤).

وهذه الاحتمالات لا تزيد الراوي إلا جهالة، كما قال ابن القطان الفاسي في «بيان الوهم والإيهام»^(٥).

و«علي بن حفص المروزي [خ]» قال المزي: روى عنه البخاري، وقال: لقيته بعسقلان سنة سبع عشرة ومئتين^(٦). وقال الذهبي: لا نعرفه^(٧).

«عبد الله بن هانئ بن عبد الله بن الشخير [م]»، روى عنه شعبة بن الحجاج. روى له مسلم حديثاً واحداً. وحديثه في المتابعات^(٨).

(١) أسماء من روى عنهم البخاري في الجامع الصحيح لابن عدي (ص ١١٩).

(٢) تهذيب الكمال للمزي (٧/ ٢٣٣).

(٣) أسماء من روى عنهم البخاري في الجامع الصحيح لابن عدي (ص ١٥٧).

(٤) تهذيب الكمال للمزي (٢٠/ ٣١٥).

(٥) بيان الوهم والإيهام لابن القطان (٣/ ١٥٦).

(٦) تهذيب الكمال (٢٠/ ٤١١)، والتاريخ الكبير للبخاري (٦/ ٢٧٠)، والتاريخ الأوسط له (٢/ ٢٣٩).

(٧) الكاشف للذهبي (٢/ ٣٨).

(٨) تهذيب التهذيب (٦/ ٦١).

«يحيى بن أبي عمر العدني [م]»، روى عنه ابنه محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني. روى له مسلمٌ حديثاً واحداً مقروناً بغيره^(١).

«الوليد بن عبد الرحمن بن حبيب الجارودي [خ]»، أبو العباس، روى عنه ابنه المنذر بن الوليد. روى له البخاري متابعه. قال الحافظ في الفتح: ليس للوليد ذكر في البخاري إلا في هذا الموضع - أي تفسير سورة المائدة - ، وما علمتُ روى عنه إلا ولده، وحديثه هذا في المتابعات^(٢).

«حصين بن محمد الأنصاري [خ م]»، روى له البخاري ومسلم. ووثقه الدارقطني^(٣). قال الذهبي في «الميزان»: محتجٌّ به في «الصحيحين»، ومع هذا فلا يكاد يُعرف^(٤). وقال في «المغني»: ما روى عنه سوى الزهري^(٥). ومثله في «التقريب»^(٦).

«عمر بن محمد بن جُبَيْر بن مطعم [خ]»، روى له البخاري حديثاً واحداً. قال الذهبي في «الميزان»: ما روى عنه في عِلْمِي سوى الزهري^(٧).

وقال الحافظ في «التهذيب»: ذكر غير واحد أن الزهري تفرد بالرواية عنه^(٨).

وقال في «الفتح»: وعمر بن محمد بن جبير بن مطعم لم يرو عنه غير الزهري، وقد وثقه النسائي، وهذا مثالٌ للرد على من زعم أن شرط البخاري أن لا يروي الحديث الذي يخرجهُ أقل من اثنين عن أقل من اثنين، فإن هذا الحديث ما رواه عن محمد بن جبير غير ولده عمر،

(١) تهذيب الكمال (٣١/٤٧٦/٤٧٧).

(٢) فتح الباري (٨/٢٨١).

(٣) سؤالات الحاكم للدارقطني رقم (٣٠٣).

(٤) ميزان الاعتدال (٢/٣١٣).

(٥) المغني في الضعفاء (١/٢٦٤).

(٦) تقريب التهذيب (ص ٢٠٧).

(٧) ميزان الاعتدال (٥/٢٦٥).

(٨) تهذيب التهذيب (٧/٤٩٤).



ثم ما رواه عن عمر غير الزهري، هذا مع تفرد الزهري بالرواية عن عمر مطلقاً^(١).

«محمد بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام [خت م]»، استشهد به البخاري في «الصحيح»، وروى له مسلم، روى عنه الزهري فقط.

وليس في روايات واحدٍ من هؤلاء حديثٌ أصْلٌ، بل كُلُّها سِيقت في الكتابين للاستشهاد والاعتبار، وقد عُلِمَ من مناهج المصنفين في الحديث، حتى الذين اشترطوا الصحة، أنهم يتساهلون في المتابعات والشواهد ويتسامحون فيها.

تنبيه: هذا الباب خَطِرٌ جدًّا، وضبطه صعبٌ للغاية، لذلك وَهَمَ فيه الحفاظ المتقنون، إذ قد يحكم الحافظ على الراوي بأنه من الوُحْدان، فيؤخذ قوله مُسَلِّماً، ثم يأتي حافظ آخر فيذكر له راوياً أو اثنين غير الذي ذكره الأول، والمثبت مقدم على النافي، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ.

✽ رجوعٌ إلى كلام الحاكم:

قد نقض كُلٌّ من ابن طاهر والحازمي ما ادعاه الحاكم أنه شرطُ الشيخين، بما في الكتابين من أحاديث جماعةٍ من الصحابة ليس لهم إلا راوٍ واحد، وأحاديث لا تُعرف إلا من جهةٍ واحدة. وذكر في كتابيهما «شروط الأئمة» عدة أمثلة:

من ذلك: حديث مُرْدَاسِ الأُسْلَمِيِّ «يذهب الصالحون الأول فالأول». وهو حديثٌ تفرد البخاري بإخراجه (٦٤٣٤)، ولم يرو عنه غير قيس بن أبي حازم.

قال: وليس لمرداس في كتاب البخاري سوى هذا الحديث. وقد ذكر الحاكم في القسم الثاني مرداس بن مالك، وعدّه فيمن لم يخرج له في الصحاح شيء، وهذا الحديث يرد عليه قوله ويبين خطأه.

(١) فتح الباري (٦/ ٣٥).



ومنهم: حَزْنُ بن أبي وَهْبٍ المخزومي، خرج له البخاري حديثين: (٣٨٣٣) و(٦١٩٠)، وقد انفرد بهما عنه ابنه المسيب، وعن المسيب ابنه سعيد بن المسيب.

ومنهم: زَاهِرُ بن الأسود الأسلمي، خرَّج عنه البخاري حديثاً واحداً (٤١٧٣). وقد تفرَّد بالرواية عنه ابنه مَجْزَأَةُ بن زاهر.

ومنهم: عبد الله بن هشام بن زُهرة القرشي، أخرج البخاري عنه حديثين: (٢٥٠١) و(٣٦٩٤)، وقد تفرَّد بالرواية عنه ابنه زهرة بن معبد.

ومنهم: عمرو بن تَغْلِبٍ أخرج عنه البخاري حديثين: (٩٢٣) و(٢٩٢٧)، وقد تفرَّد برواية هذين الحديثين عنه الحسن بن أبي الحسن، ولا يعرف له راوٍ غيره.

ومنهم: سُنين أبو جميلة السُّلمي، أخرج البخاري عنه طرفاً من حديث (٤٣٠١)، ولم يرو عنه غير الزهري من وجه يصح عنه.

ومنهم: أبو سعيد بن المعلّى أخرج عنه البخاري حديثاً واحداً (٤٤٧٤)، وقد تفرَّد به عنه حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب.

ومنهم سُويْدُ بن النُّعمان أخرج له البخاري حديثاً واحداً (٢١٥)، وقد تفرَّد به عنه بُشَيْرُ بن يسار.

أما مُسْلِمٌ: فقد أخرج عن عَدِي بن عَميرة حديثاً واحداً (١٨٣٣)، ولم يرو عنه غير قيس بن أبي حازم.

وأخرج لربيعة بن كعب حديثاً (٤٨٩)، ولم يرو عنه غير أبي سلمة.

وأخرج لُقْطَةُ بن مالك حديثاً (٤٥٧)، ولم يرو عنه غير زياد بن علاقة. وقد زعم الحاكم أن قطبة هذا لم يخرج حديثه في الكتابين لما توهمه.

وأخرج لطارق بن أَشِيمٍ حديثين: (٢٣) و(٢٦٩٧)، وقد تفرَّد بالرواية عنه ابنه أبو



مالك سعد بن طارق.

وأخرج لُبَيْشَةُ الْخَيْرِ بن عبد الله بن عتاب حديثاً (١١٤١)، ولم يرو عنه غير أبي المليح عامر بن أسامة.

وهذا بابٌ لو استُقصي لأفضى إلى الإكثار، وتجاوز حدَّ الاختصار.

وذكر الحافظ الذهبي في «السير» عشرة أنفسٍ من الصحابة الذين أخرج لهم البخاري ولم يرو عنهم سوى واحدٍ، وهم:

مرداس الأسلمي، تفرد عنه قيس بن أبي حازم، وحَزَنُ المخزومي، تفرد عنه ابنه أبو سعيد المسيب بن حزن، وزاهر بن الأسود، تفرد عنه ابنه مَجْزَأَة، وعبد الله بن هشام بن زُهْرَة القرشي، تفرد عنه حفيده زهرة بن معبد، وعمرو بن تَغْلِب، تفرد عنه الحسن البصري، وعبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر، روى عنه الزهري قوله، وسُنَيْنُ أبو جميلة السُّلَمي، تفرد عنه الزهري، وأبو سعيد بن المُعَلَّى، تفرد عنه حفص بن عاصم، وسُوَيْدُ بن النعمان الأنصاري شجري، تفرد عنه بُشَيْرُ بن يَسَار، وخولة بنت ثامر، تفرد عنها النعمان بن أبي عياش^(١).

ونقض على الحاكم أيضاً الحافظ ابنُ حجر بأنهما لم يشترطا ذلك ولا يقتضيه تصرُّفُهما وهو ظاهرٌ بينٌ لمن نظر في كتابيهما.

قال: وأما زعمه بأنه ليس في «الصحيحين» شيءٌ من رواية صحابي ليس له إلا راو واحد، فمردودٌ بأن البخاري أخرج حديث مرداس الأسلمي وليس له راوٍ إلا قيس بن أبي حازم. أما قوله بأنه ليس في «الصحيحين» من رواية تابعي ليس له إلا راو واحد، فمردود أيضاً، فقد أخرج البخاري حديث الزهري عن عمر بن محمد بن جُبَيْر بن مطعم ولم يرو عنه غير الزهري.

(١) سير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٧٠).



وقال في «الفتح»: وهذا مثلاً للرد على من زعم أن شرط البخاري أن لا يروي الحديث الذي يخرج أقل من اثنين، عن أقل من اثنين. فإن هذا الحديث ما رواه عن محمد بن جبير غير ولده عمر، ثم ما رواه عن عمر غير الزهري، هذا مع تفرد الزهري بالرواية عن عمر مطلقاً، وقد سمع الزهري من محمد بن جبير أحاديث، وكأنه لم يسمع هذا منه فحمله عن ولده^(١).

وأما قوله: إن الغرائب الأفراد ليس في «الصحيحين» منها شيء، فليس كذلك، بل فيها قدر مائتي حديث، قد جمعها الحافظ ضياء الدين المقدسي في جزء مفرد.

أما قوله: إنه ليس فيهما من روايات من روى عن أبيه عن جده مع تفرد الابن بذلك عن أبيه، فمنتقض برواية سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده، وبرواية عبد الله والحسن ابني محمد بن علي، عن أبيهما، عن علي، وغير ذلك إلخ كلامه^(٢).

❁ ما أُجيبَ به عن الحاكم:

تقدمت الإشارة إلى أن الحاكم لم يبين قوله على اسقراء تام، وسبب لأسانيد الكتابين، وتتبع للطرق والتراجم، بل هو ظن ظنه، والحاكم كثير الاعتماد على حفظه، والحفظ خوّان.

ورجّحنا أنه رجع عما ادّعاه في كتابه «المدخل» بما ذكره هو نفسه في «المستدرک»، وبهذا نكون قد كُفينا مؤنة الرد.

ومع ذلك فلا بأس بذكر وجوه من التأويل لمن لم يتضح له السبيل، فيما زعم أنه شرط الشيخين تحسیناً للظن بهذا الإمام الجليل.

الجواب الأول: أنه لم يُرد أن يكون كل خبرٍ روياه مجتمع فيه راويان عن صحابييه وتابعيه، ومن بعده، فإن ذلك يعز وجوده، وإنما المراد أن هذا الصحابي، وهذا التابعي، قد روى عنه

(١) فتح الباري (٦/٣٥)، وسيأتي عن الحافظ أنه وافق الحاكم فيمن بعد الصحابة، خلاف ما ذكره هنا.

(٢) النكت لابن حجر (١/٣٦٨/٣٦٩).



رجلان خرج بهما عن حد الجهالة برواية الواحد.

وهذا القول لأبي علي الجبائي (ت ٤٩٨ هـ)، ونقله عنه القاضي عياض^(١). وتقدم نحوه للبيهقي في رده على الجويني.

وهو جوابٌ منقوضٌ بما سردناه من أمثلة عن الصحابة الذين أخرج لهم البخاري أو مسلم وليس لهم إلا راوٍ واحد.

ولذلك تعقبه الحافظ أبو عبد الله ابن المواق (ت ٦٤٢ هـ) فقال: ما حمل الغساني عليه كلام الحاكم، وتبعه عليه عياض وغيره، ليس بالبين، ولا أعلم أحداً روى عنهما أنها صرّحا بذلك، ولا وجود له في كتابيهما، ولا خارجاً عنهما، فإن كان قائل ذلك عرّفه من مذهبهما بالتصفح لتصرفهما في كتابيهما فلم يُصَبْ، لأن الأمرين معاً في كتابيهما، وإن كان أخذه من كون ذلك أكثرياً في كتابيهما فلا دليل فيه على كونهما اشترطاه، ولعل وجود ذلك أكثرياً إنما هو لأن من روى عنه أكثر من واحد أكثر ممن لم يرو عنه إلا واحد من الرواة مطلقاً، لا بالنسبة إلى من خرج له منهم في «الصحيحين»، وليس من الإنصاف إلزامهما هذا الشرط من غير أن يثبت عنهما ذلك، مع وجود إخلالهما به، لأنهما إذا صح عنهما اشتراط ذلك كان في إخلالهما به دركٌ عليهما^(٢).

أما الحافظ ابن حجر فقد اضطرب موقفه من كلام الحاكم، فتارةً نجده ينقضه جملة وتفصيلاً كما تقدم قريباً^(٣).

وتارةً يحمل كلامه على محمل الجبائي المتقدم قريباً، ويردُّ على الحازمي، فيقول: وقد فهم الحافظ أبو بكر الحازمي من كلام الحاكم أنه أدعى أن الشيخين لا يخرجان الحديث إذا انفرد به أحد الرواة، فنقض عليه بغرائب الصحيحين.

(١) إكمال المعلم لعياض (١/ ٨٣)، والمفهم للقرطبي (١/ ٩٨)، وتدريب الراوي للسيوطي (٢/ ٤٧٠).

(٢) قال الحافظ: وهذا كلامٌ مقبول، وبحثٌ قوي. تدريب الراوي (٢/ ٤٧٢ / ٤٧٣).

(٣) النكت لابن حجر (١/ ٣٦٧ / ٣٧٠).



والظاهر أن الحاكم لم يرد ذلك، وإنما أراد كل راوٍ في الكتابين من الصحابة فمن بعدهم، يشترط أن يكون له راويان في الجملة، لا أنه يشترط أن يتفقا في رواية ذلك الحديث بعينه عنه^(١).

أما في «مقدمة الفتح» فإنه نقض كلام الحاكم في حق الصحابة خاصة، وسلّمه في حق من بعدهم.

قال رحمه الله: والشرط الذي ذكره الحاكم وإن كان منتقضاً في حق بعض الصحابة الذين أخرج لهم، فإنه معتبرٌ في حق من بعدهم، فليس في الكتاب حديثٌ أصلاً من رواية من ليس له إلا راوٍ واحد قط^(٢).

الجواب الثاني: أن الشرط الذي ذكره الحاكم عن الشيخين قد التزما به ولم يجعله شرطاً. قال ابن الأثير: وقد خالف في ذلك جماعة، فاشتروا العدد، ولم يقبلوا إلا رواية رجلين، يروي عن كل واحد منهما رجلان.

وهذا فاسد، فإنه مع تطاول الأزمان يكثر العدد كثرة لا تنحصر، ويتعذر إثبات حديث أصلاً، لا سيما في زماننا هذا.

قال: وهذا الشرط قد التزمه البخاري ومسلم في كتابيهما، حسبما ذكره الحاكم النيسابوري رحمه الله، وإن لم يجعله شرطاً.

وهذا الجواب مردود أيضاً بأحاديث الصحابة الذين ليس لهم إلا راوٍ واحد.

الباعث على هذا الكلام:

كان للحاكم رحمه الله عنايةٌ كبيرةٌ بالصحيحين، فقد اشتغل برجال «الصحيحين»،

(١) المصدر السابق (١/ ٢٤٠).

(٢) هدي الساري (ص ٩).



واستدرك على الشيخين، وصنف على كتاب كل منهما كتاباً وعرف شرط كل منهما في الصحيح والسقيم مما اتفقنا عليه واختلفنا فيه^(١).

والذي حمّله على تقسيم الأحاديث إلى عشر أقسام، وبيان ما يصح منها وما لا يصح وما أخرجه الشيخان وما لم يخرجاه، الردُّ على من يزعم أن الأحاديث لا يصح منها إلا ما أخرجه الشيخان في كتابيهما، وما سوى ذلك فهي ضعاف.

قال رحمه الله: فقد ذكرنا وجوه صحة الأحاديث على عشرة أقسام على اختلاف بين أهله فيه، لئلا يتوهم متوهم أنه ليس يصح من الحديث إلا ما أخرجه البخاري ومسلم^(٢).

وقال: وقد نبغ في عصرنا هذا جماعة من المبتدعة يشمتون برواة الآثار، بأن جميع ما يصح عندكم من الحديث لا يبلغ عشرة آلاف حديث، وهذه الأسانيد المجموعة المشتملة على ألف جزء أو أقل أو أكثر منه كلها سقيمة غير صحيحة^(٣).

والحاصل: أن ما قاله الحاكم ظاهره غير مراد، بل مراده كما قال أبو علي الجبائي وغيره: أن رواية الكتابين من الصحابة والتابعين وغيرهم قد روى عن كل واحد منهم رجلان خرج بهما عن حد الجهالة.

قال القرطبي: قد بطل ظاهر ما قاله الحاكم بما قاله أبو علي^(٤).

أما ما في الكتابين عن جماعة من الصحابة، ممن لم يرو عنهم إلا واحد، فلعل الحاكم لم يتبين له ذلك أولاً، لأنه كان يرى أن الصحابي كغيره، إذا لم يرو عنه اثنان لا يكون مشهوراً، ولا يرقى حديثه إلى الدرجة العليا التي تجعله من اختيارات البخاري ومسلم، لأن الشيخين

(١) المدخل إلى الإكليل (ص ٧٢).

(٢) المدخل إلى الإكليل (ص ١٢٣).

(٣) المستدرك (١/٤١/٤٢).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/٩٨).



اشترطاً شرطاً احتاط كلُّ منهما فيه لِدِينِهِ.

فهذا الذي جعل الحاكم يشترط لهما هذا الشرط، ثم رجع عنه بعد أن حدثه شيخُه الدارقطني وكتب به إليه^(١).

وما اشترطه في حق الصحابة لا يوافقُ عليه، لأن الصحابة كلهم عدول، فلا يضر أن ينفرد عنهم راوٍ واحد.

قال مغلطاي: الصحابة المعروفون بالصحبة، لا يشترط فيهم شيءٌ من ذلك، لعدالتهم الثابتة^(٢).

أما غير الصحابة، فإن الشيخين وإن أخرجنا عن بعض من لم يرو عنه إلا واحداً، إلا أنهما لم يخرجنا لهم في الأصول، بل في المتابعات والشواهد والتعاليق والتراجم، مقرونين بغيرهم من المشهورين، كما تقدم.



(١) المستدرک (٤/٤٤١).

(٢) إصلاح كتاب ابن الصلاح (ص ١٥٨).



الفصل الخامس

المبحث الأول:

تحقيق شرط البخاري ومسلم

اتفق علماء الأمة على علو مكانة «الصحيحين»، لجلالة قدر البخاري ومسلم، وتمكنهما في علم الحديث روايةً ودرايةً، وحفظ متونه، ومعرفة صحيحه وسقيمه، ورجاله الثقات والمجروحين، وتحرّيهما الدقة العالية والإتقان في استخراج العلل الخفية، واستنباط المعاني الفقهية، والدلالات اللفظية، ناهيك بما في تراجم البخاري من فوائد وفرائد، حيرت الأفكار وأدهشت العقول والأبصار، حتى قيل: فقه البخاري في تراجمه.

وذلك لما كان عليه محمد بن إسماعيل من النفوذ في غوامض المعاني، والخلوص من مبهماتهما، والغوص في بحارها والاقتناص لشواردها^(١)، وأخذ عنه ذلك تلميذه مسلم بن الحجاج.

وزادهما جلالة ورفعة قدر ما اتصفا به من الديانة والأمانة، وإخلاص النية لله تعالى، فكتب الله بذلك لكتابيهما من الشهرة والنفع والبركة ما لم يُعرف لكتابٍ آخر في سائر الأمة، وجعل لهما القبول الكامل عند الخاصة والعامة، فمنذ ظهور دينك الكتابين المباركين عكف عليهما العلماء حفظاً وتحفيظاً، وقراءة وإقراء، ودراسة وتدريساً، ووضعوا عليهما شروحاتٍ مختلفة لا تُحصى، ومختصرات ومستخرجات، واعتنوا بضبط ما فيهما من الروايات، ووصل المنقطعات، وتمييز المشكلات، وتقييد المهملات، وكشف المبهمات.

وبلغ حبُّ الناس وتعلقهم بالكتابين، أن تبركوا بصحيح البخاري ورجاله، واشتهر عندهم بالتواتر ورواه الشيوخ والأكابر: أن صحيح البخاري ما قرئ في شدة إلا فُرِجت، ولا رُكب به في مركب فغرقت^(٢).

(١) إفادة النصيح لابن رشيد (ص ٢٦).

(٢) بهجة النفوس لابن أبي جمرة (١/٦)، وهدي الساري (ص ١٣).



وأجمعت الأمة - وإجماعها معصوم - على صحة ما فيها من الأحاديث المسندة، وجعلوه في الدرجة العليا التي ما بعدها درجة، وأطبقوا على الرجوع إلى حكم الشيخين، والتسليم لهما فيما روياه، واعتمدوا مَنْ أخرجاه من الرواة واحتجاً بحديثه، حتى قيل في الرجل يُحتجُّ به في الصحيح: «إنه جاز القنطرة».

قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني (ت ٤١٨ هـ): أهل الصنعة مُجمعون على أن الأخبار التي اشتمل عليها الصحيحان مقطوعٌ بصحة أصولها ومتونها، ولا يحصل الخلاف فيها بحال، وإن حصل فذاك اختلافٌ في طرقها ورواتها.

قال: فمن خالف حكمه خبراً منها، وليس له تأويلٌ سائغٌ للخبر، نقضنا حكمه، لأن هذه الأخبار تليقها الأمة بالقبول^(١).

وقال الحافظ أبو نصر الوائلي السجزي (ت ٤٤٤ هـ): أجمع أهل العلم، الفقهاء، وغيرهم، أن رجلاً لو حلف بالطلاق أن جميع ما في كتاب البخاري مما رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صح عنه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاله لا شك فيه: لا يحنث، والمرأة بحالها في حبالته^(٢).

ونحوه لإمام الحرمين (ت ٤٧٨ هـ) ولفظه: لو حلف إنسانٌ بطلاق امرأته أن ما في كتابي البخاري ومسلم مما حكما بصحته من قول النبي صلى الله عليه وسلم لما ألزمته الطلاق، ولا حنثه، لإجماع علماء المسلمين على صحتها^(٣).

وفي «صفوة التصوف» لابن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧ هـ): أجمع المسلمون على ما أخرج فيها - أي «الصحيحين» - أو ما كان على شرطهما^(٤).

(١) النكت لابن حجر (١/٣٧٧)، وفتح المغيث للسخاوي (١/٩٣).

(٢) معرفة أنواع علم الحديث (ص ١٦٨).

(٣) صيانة صحيح مسلم (ص ٨٦)، وشرح مسلم النووي (١/٩١/٢٠).

(٤) صفوة التصوف لابن طاهر (ص ٢٩٩)، وشروط الأئمة الستة له (ص ٨٦)، ومحاسن الاصطلاح =



وقال النووي في «تهذيب الأسماء»: وأجمعت الأمة على صحة هذين الكتابين، ووجوب العمل بأحاديثهما^(١).

وبناء على ما تقدم كان مروئيهما أعلى درجات الصحيح وأرفعاه، ثم ما انفرد به البخاري، ثم ما انفرد به مسلم، ثم ما كان على شرطهما، ثم ما كان على شرط البخاري وحده، ثم ما كان على شرط مسلم وحده، ثم ما كان على شرط غيرهما^(٢).

وإنما كان مروئيهما أرفع الصحيح لاشتغالهما على أعلى الأوصاف المقتضية للصحة، وتقاعد ما كان على شرطهما لكون ما أخرجه أحدهما تلقته الأمة بالقبول، فاكسب بذلك قوة على غيره من الصحيح مما لم يخرج أحدهما.

ولما كان للصحيحين تلك المنزلة الرفيعة اهتم أهل الحديث بشرط الشيخين، وألزموا إخراج أحاديث على شرطهما لم يخرجها كما فعل الدارقطني، والحاكم وغيرهما.

فقد ذكر الدارقطني أن رجالاً من الصحابة رضي الله عنهم رووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رويت أحاديثهم من وجوه صحاح لا مطعن في ناقلها ولم يخرجها من أحاديثهم شيئاً فيلزم إخراجها على مذهبها.

وروي عن ابن حبان أنه قال: ينبغي أن يُناقش البخاري ومسلم في تركهما إخراج أحاديث هي من شرطهما.

وذكر البيهقي أن الشيخين قد اتفقا على إخراج أحاديث من صحيفة همام بن منبه، عن أبي هريرة، وأن كل واحدٍ منهما تفرد عن صاحبه بأحاديث منها مع أن الإسناد واحد.

= للبلقيني (ص ١٧٢)، والتقييد والإيضاح (ص ٢٨)، والنكت لابن حجر (١ / ٣٧٩).

(١) تهذيب الأسماء للنووي (ص ١٤٣).

(٢) معرفة أنواع علم الحديث (ص ١٦٩ / ١٧٠)، وشرح التبصرة والتذكرة (١ / ٦٥).

وصنّف الدارقطني، وأبو ذر الهروي، في هذا النوع الذي ألزموهما.

قال ابن الصلاح: إن ما ألزمهما الدارقطني غير لازم لهما فإنهما تجنبنا التطويل، ولم يضعّا كتابيهما على أن يستوعبا جميع الأحاديث الصحاح، واعترفا بأنهما تركا بعض الصحاح^(١).

❁ مفهوم الشرط لغةً واصطلاحاً:

الشَّرْطُ لغةً: العَلَامَةُ. قال ابن سيده في «المحكم»: الشَّرْطُ: إلزامُ الشيء والتزامه في البيع ونحوه، والجمع شروط. وقد شَرَطَ له يَشْرِطُ ويشَرُطُ شرطاً.. والشَّرْطُ العَلَامَةُ، والجمع أشرط. وأشرط الساعة أعلامها، وفي التنزيل ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]. والاشترط العلامة التي يجعلها الناس بينهم^(٢).

وقال ابن فارس: الشين والراء والطاء أصل يدل على عَلمٍ وعلامة، وما قارب ذلك من عَلمٍ. من ذلك، الشَّرْطُ: العلامة. وأشرط الساعة: علاماتها^(٣).

وخلاصة ما ذكره في معنى الشرط أنه العلامة التي يضعها الناس فيما بينهم ليُعرفوا بها، وهو أيضاً الإلزام والالتزام.

وشرط الكتاب ما يشترطه مُصنّفه من حدودٍ لبحثه وأبعادٍ لمضامينه وعلاماتٍ تُعرف بها طبيعته، فيشترط على نفسه الوفاء بها وعدم تجاوزها، ويلزم الناظر في كتابه بمراعاتها والوقوف عندها، حتى لا يُستدرك عليه ما ليس من شرطه، أو يلزم ما لم يلتزمه في مصنّفه، أو يتعقب عليه.

(١) صيانة صحيح مسلم (ص ٩٥).

(٢) المحكم (١٣/٨).

(٣) مقاييس اللغة (٢٦٠/٣).

لا يخلو مُصَنَّفٌ من شرط:

ولا يخلو مصنفٌ من شرطٍ، لأن الناس لم يُصنفوا في العلم عبثاً ولا لعباً ولهواً، وإنما صنفوا لمقاصدَ وغاياتٍ جليلة، كَحَلِّ مُشْكَلٍ، أو فتح مُغْلَقٍ، أو تلخيص مُطَوَّلٍ، أو جمع مُفَرَّقٍ، أو ترتيب منشور، أو شيء لم يُسبق إليه من منقول ومعقول، مع زيادة الفوائد، والتنبيه على الشوارد، من دقائق العلم وجواهره.

قال الإمام أبو عبد الله الأبي في «شرح مسلم»: كان شيخنا أبو عبد الله - يعني ابن عرفة - يقول: إنما تدخل التأليفُ في ذلك إذا اشتملت على فائدة زائدة، وإلا فذلك تحسيرٌ للكاغد.

ويعني بالفائدة الزائدة على ما في الكتب السابقة عليه، وأما إذا لم يشتمل التأليف إلا على نقل ما في الكتب المتقدمة، فهو الذي قال فيه: إنه تحسيرٌ للكاغد، وهكذا كان يقول في مجالس التدريس، وأنه إذا لم يكن في مجلس الدرس التقاطُ زائدةٍ من الشيخ، فلا فائدة في حضور مجلسه، بل الأولى لمن حصلت له معرفة الاصطلاح، والقدرة على فهم ما في الكتب، أن ينقطع لنفسه، ويلزم النظر.

و نظم في ذلك أبياتاً، وهي:

إذا لم يكن في مجلس الدرس نكتةً بتقرير إيضاح لمشكل صورة
وعزو غريب النقل أو حلُّ مُقْفَلٍ أو إشكال أبدته نتيجة فكرة
فدع سعيه وانظر لنفسك واجتهد ولا تترك فالترك أقبح خلة

وقال المقرئ في «الأزهار»: رأيت بخط بعض الأكابر ما نصه:

المقصود بالتأليف سبعة: شيء لم يُسبق إليه فيؤلف، أو شيء أُلْفَ ناقصاً فيكمل، أو خطأ فيصحح، أو مشكل فيشرح، أو مطول فيختصر أو مفرق فيجتمع، أو منشور فيرتب. وقد نظمها بعضهم فقال:

ألا فاعلمن أن التأليف سبعةٌ لكل ليب في النصيحة خالص

فشرح لإغلاق وتصحيح مخطئ وإبداع حبر مقدم غير ناكص
وترتيب مشور وجمع مفرق وتقصير تطويل وتتميم ناقص^(١).

❁ بيان ما يُعرف به شرطُ المصنّف في كتابه:

شَرَطُ المصنّف قد يُعرف من عنوان الكتاب، لأنه علامة بارزة على مضمونه، وبعض المصنفين يشيرون إشارة مقتضبة إلى شرطهم ضمن العنوان البارز على ظهور مصنفاتهم. كما فعل الإمامان الجليلان البخاري ومسلم، حيث سمى كلّ منهما كتابه بالصحيح، فاستفدنا من صنيعهما فائدة استدللنا بها على شرطهما في كتابيهما «الصحيحين»، ألا وهي تحري الصحة فيما أورده من الأحاديث المسندة في الكتابين، إذ لا يُتصور أن يسمي مصنّف كتابه بالصحيح ثم يورد فيه أحاديث ليست على شرط الصحة، من الضعيف والمنكر والموضوع، فيكون بذلك قد خالف نفسه، وفتح عليها باب الانتقاد والاعتراض، ويصبح كتابه عرضة للاحتقار والاستصغار.

وقد يكون شرط الكتاب منصوباً عليه في مقدمته أو في ثنياه أو في خاتمته، وقد لا يكون كذلك، فيجتهد العلماء في استخراج شرطه باستقراء مضامين الكتاب وتتبع فقراته والنظر في مختلف عباراته، إلى أن يصلوا إلى نتيجة تكشف عن شرطه المكنون، وقد تكون خلاصة ما وصلوا إليه موافقة لمراد المصنف في الواقع، وقد لا تكون.

وبسبب خطأ الناس في فهم شروط المصنفين والاطلاع عليها وقعت أوهام وأغلاط وجدل، وقول ناس ما لم يقولوه، وانتقدوا وشنع عليهم وهم برآء مما نسب إليهم.

ولنضرب مثلاً بكتاب «ميزان الاعتدال» للحافظ الذهبي، وضعه في المجروحين والضعفاء من الرواة، كما قال في خاتمته: فأصله وموضوعه في الضعفاء وفيه خلق من

(١) إكمال إكمال المعلم للأبي (٤/ ٣٤٥ / ٣٤٧)، وأزهار الرياض للمقري (٣/ ٣٣ / ٣٥) وحاشية الرهوني على شرح الزرقاني (١/ ١٢).

الثقات ذكرتهم للذب عنهم^(١).

فيظن من لم يطلع على حقيقة الكتاب أن كُلَّ من ذُكر فيه مجروح، فإذا قلب صفحاته وجد من بين المذكورين أئمة ثقات: كعلي بن المديني الإمام الحافظ الحجة، وهو من العلم والحفظ والإتقان بالمنزلة الرفيعة، حتى قال فيه البخاري: ما استصغرتُ نفسي بين يدي أحدٍ إلا بين يدي علي بن المديني، ومع ذلك ذكره العقيلي في كتاب «الضعفاء»، وقال: جنح إلى ابن أبي دواد والجهمية^(٢).

فرد عليه الذهبي ردًّا قويا، قائلا: «أفما لك عقلٌ يا عقيلي، أتدري فيمن تتكلم، وإنما تبعناك في ذكر هذا النمط لنذب عنهم، ولنزيف ما قيل فيهم»^(٣).

وشرط الذهبي في «ميزانه» قد صرح به في ديباجته فقال: «وفيه من تُكَلِّم فيه مع ثقته وجلالته بأدنى لين، وبأقل تجريح، فلولا أن ابن عدي أو غيره من مؤلفي كتب الجرح ذكروا ذلك الشخص لما ذكرته لثقته، ولم أر من الرأي أن أحذف اسم أحدٍ ممن له ذكرٌ بتلين ما في كتب الأئمة المذكورين، خوفاً من أن يُتَعَقَب عليّ، لا أني ذكرته لضعفٍ فيه عندي»^(٤).

وقد نبه العلامة اللكنوي إلى هذا الذي ذكرناه في كتابه «الرفع والتكميل» فقال: قد أكثر علماء عصرنا من نقل جروح الرواة من «ميزان الاعتدال» مع عدم اطلاعهم على أنه ملخصٌ من «كامل ابن عدي» وعدم وقوفهم على شروطهما فيه في ذكر أحوال الرجال، فوقعوا به في الزلل، وأوقعوا الناس في الجدل، فإن كثيراً ممن ذكر فيه ألفاظ الجرح معدودٌ في الثقات، سالمٌ من الجرح، فليتبصر العاقل وليتنبه الغافل، وليتجنب عن المبادرة إلى جرح

(١) ميزان الاعتدال (٧/٤٨١).

(٢) الضعفاء للعقيلي (٣/٢٣٥).

(٣) ميزان الاعتدال (٥/١٦٩).

(٤) ميزان الاعتدال (١/١١٣).

الرواة بمجرد وجود ألفاظ الجرح في حقه في «الميزان» فإنه خسران أي خسران^(١).

❁ هل تصح نسبة الشرط إلى صاحبه من غير أن ينص عليه؟

وما دام صاحبُ الكتاب لم يُبين شرطه، ولم يُصرِّح به في كتابه ولا خارجه، فلا حق لأحد أن يُلزمه بشيء لا يلزمه، وإنما هو من نتائج الأفكار وحصائل الأنظار.

وبناء على ما تقدم فلا يصح في حال من الأحوال إلزام المصنفين في الحديث وغيره بشروط لا قبل لهم بعلمها، ولم يُحفظ عن أحدٍ منهم تنصيصٌ عليها، إلا على سبيل الظن والتخمين، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً.

فإذا علمت هذا، فاعلم أن كلامنا عن تحقيق شرط الشيخين لا يتجاوز دائرة الجواز، ولا يجب شيءٌ مما سنذكره حتى يثبت عندنا أن البخاري ومسلماً قد بيّنا شرطهما ونصاً عليه، وما دمنا لم نقف على شيءٍ من ذلك فإننا لا نجرؤ على القطع بما ظهر لنا، بل نقول: هذا هو الظاهر من صنيعهما والله أعلم، فإن كان صواباً فله الحمد والمنة، وإن كان خطأ فنسأل الله أن لا يحرمنا أجر الجهد الذي بذلناه وبالله التوفيق.

❁ أول من جمع الصحيح في كتاب:

أول من صنف الصحيح فيما ذكره ابن الصلاح في «المقدمة» وتبعه عليه كل من اختصر كلامه: الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، وتلاه مسلم بن الحجاج النيسابوري.

واعترض عليه بأن مالكا رحمه الله سبقهما إلى ذلك. قال علاء الدين مغلطي في «إصلاحه»: ما قاله غير جيد، لأن مالكا بلا خلاف بين المحدثين صنف الصحيح قبله، وتلاه أحمد شيخ البخاري، وتلاههما الدارمي.. وليس لقائل أن يقول: لعله أراد الصحيح المجرد لأن كتاب مالك فيه البلاغ والمقطوع والمنقطع والفقه وغير ذلك، لوجود مثل ذلك

(١) الرفع والتكميل (ص ٣٣٩ / ٣٤١).



في كتاب البخاري.

وأجاب عنه العراقي في «تقييده»: بأن مالكا لم يُفرد الصحيح بل أدخل فيه المرسل والمنقطع والبلاغات، ومن بلاغاته أحاديث لا تعرف كما ذكره ابن عبد البر^(١)، فلم يُفرد الصحيح.

قال الحافظ في «نكته»: وكأن شيخنا لم يستوف النظر في كلام مغلطاي، وإلا فظاهر قوله مقبولٌ بالنسبة إلى ما ذكره في البخاري من الأحاديث المعلقة، وبعضها ليس على شرطه، بل وفي بعضها ما لا يصح.. فقد مزج الصحيح بما ليس منه كما فعل مالك.

ثم أجاب الحافظ عن هذه المسألة بأن يُقال: إن الظاهر من كلام ابن الصلاح أنه لم يرد إلا الصحيح المعهود، وحينئذ فلا يُرد عليه ما ذكره في الموطأ وغيره، لأن الموطأ وإن كان عند من يرى الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وأقوال الصحابة صحيحاً، فليس ذلك على شرط الصحة المعتبرة عند أهل الحديث، والفرق بين ما فيه من المقطوع والمنقطع وبين ما في البخاري من ذلك، أن الذي في الموطأ من ذلك هو مسموع لمالك كذلك في الغالب، وهو حجة عنده وعند من تبعه.

والذي في البخاري من ذلك قد حذف في البخاري أسانيداً عمداً ليخرجها عن موضوع الكتاب، وإنما يسوقها في تراجم الأبواب تنبيهاً واستشهاداً واستئناساً وتفسيراً لبعض الآيات.

والحاصل من هذا أن أول من صنف في الصحيح يصدق على مالك باعتبار انتقائه وانتقاده للرجال، فكتابه أصح من الكتب المصنفة في هذا الفن من أهل عصره وما قاربه.

(١) بلاغات مالك كلها موصولة عند ابن عبد البر في التمهيد خلا أربعة أحاديث وصلها الحافظ ابن الصلاح في تأليف مستقل. تجريد التمهيد لابن عبد البر (ص ٢٤٢)، ورسالة في وصل البلاغات الأربعة في الموطأ، لابن الصلاح (١٨٩).



وأما أول من صنف الصحيح المعتبر عند أئمة الحديث الموصوف بالاتصال وغير ذلك من الأوصاف. فأول من جمعه البخاري، ثم مسلم كما جزم به ابن الصلاح^(١).

✽ اشتراط الصحة في المصنفات الحديثية:

وممن اشترط الصحة من أهل الحديث، ابن خزيمة في صحيحه، وابن حبان في كتابه الصحيح، والحاكم في مستدركه لأنه استدرك به على الشيخين ما كان على شرطهما أو أحدهما ولم يخرجاه، والضياء في مختارته، وكذلك أصحاب المستخرجات على الصحيحين، فإنهم يشترطون الصحة فيما يستخرجونه.

وهذه الكتب كلها قد جمعت بين الصحيح وغيره من الحسن والضعيف.

وكذلك كتب السنن الأربعة والمسانيد وغيرها، لم تسلم هي أيضاً من الضعيف على اختلاف درجاته.

ولم يصب الإمام البغوي رحمه الله في «مصابيح» حيث قسّم أحاديثه إلى نوعين: الصحيح والحسان، مريداً بالصحيح ما في أحد «الصحيحين» أو فيهما، وبالحسان ما رواه أبو داود والترمذي وأشباههما في تصانيفهم. فهذا اصطلاح لا يعرف، وهذه الكتب تشمل على حسن وغيره.

قال النووي في «التقريب»: وأما تقسيم البغوي أحاديث المصابيح إلى حسان وصحيح مريداً بالصحيح ما في «الصحيحين»، وبالحسان ما في السنن فليس بصواب، لأن في السنن الصحيح، والحسن، والضعيف، والمنكر^(٢).

وقال الحافظ صلاح الدين العلائي: وفيها - أعني كتب السنن - ما ليس بصحيح ولا

(١) النكت لابن حجر (١/٢٧٧/٢٧٩).

(٢) التقريب والتيسير للنووي (ص ٣٠).



حسن، بل يكون ضعيفاً أو منكراً أو واهياً، كما صرح به الترمذي على قطعة من حديثه، وبينه الأئمة النقاد في كثير من أحاديث أبي داود وابن ماجه^(١).

وذكر العراقي في «شرح التبصرة والتذكرة» أنه قد تساهل من أطلق الصحيح على كتب «السنن» كأبي طاهر السلفي حيث قال في «الكتب الخمسة»^(٢): اتفق على صحتها أهل المشرق والمغرب. وكالحاكم حيث أطلق على جامع الترمذي: الجامع الصحيح، وكذلك الخطيب أطلق عليه اسم الصحيح^(٣).

قال أبو عمرو بن الصلاح في «علوم الحديث»: ذكر الحافظ أبو طاهر السلفي الكتب الخمسة، وقال: اتفق على صحتها علماء الشرق والغرب.

قال: وهذا تساهل، لأن فيها ما صرحوا بكونه ضعيفاً أو منكراً أو نحو ذلك من أوصاف الضعيف^(٤).

❁ فما هو شرط البخاري ومسلم؟

اختلف العلماء في تحديد شرط الشيخين، إذ لم يثبت عن أحدٍ منهما نصٌّ على شرطه في كتابه أو خارجه - كما تقدم - ويمكن الاستدلال على شرطهما من تسمية الكتابين، فالبخاري سُمي كتابه: «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسننه وأيامه».

ومسلم سُمي كتابه: «المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن

(١) النقد الصحيح للعلائي (ص ٢٣ / ٢٤).

(٢) الكتب الخمسة: الصحيحان، والسنن: لأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

(٣) شرح التبصرة والتذكرة (١ / ١٠٤)، والأجوبة الفاضلة للكنوي (ص ٦٧)، وفيض اللطيف لمحمد أحناش الغماري (ص ٢٥١).

(٤) معرفة علوم الحديث لابن الصلاح (ص ١٨٧). مقدمة كتاب معالم السنن للحافظ أبي طاهر السلفي (٨ / ١٤١ / ١٤٢) طبعة المعارف.



رسول الله صلى الله عليه وسلم».

ومن ذلك يُعلم شرطُهما وموضوعُ كتابيهما، وأنها اشترطا في كتابيهما صحة الحديث بالشروط المعتمدة عند أهل الفن، وهي: اتصال السند، وعدالة الرواة، وضبطهم، والسلامة من الشذوذ والعلة. فهذه الشروط الخمسة لا نزاع في وجوب تحققها في أحاديث «الصحيحين» وكذلك ما كان على شرطهما.

قال ابن حجر: تقرر أن البخاري التزم في كتابه الصحة، وأنه لا يورد فيه إلا حديثاً صحيحاً، هذا أصلُ موضوعه، وهو مستفادٌ من تسميته إياه: «الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه»^(١).

قال أبو الفضل بن طاهر (ت ٥٠٧ هـ) في «شروط الأئمة الستة»: شرط البخاري ومسلم أن يخرج الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات الأثبات، ويكون إسناده متصلاً غير مقطوع، وإن كان للصحابي راويان فصاعداً فحَسَنٌ، وإن لم يكن له إلا راوٍ واحدٌ إذا صح الطريق إلى ذلك الراوي أخرجاه، إلا أن مسلماً أخرج أحاديث أقوام ترك البخاري حديثهم لشبهة وقعت في نفسه، أخرج مسلم أحاديثهم بإزالة الشبهة^(٢).

يعني أن مسلماً زالت عنه تلك الشبهة في بعض مروياتهم، لظهور صحتها عنده بموافقة الثقات، أو باعتضادها بأمورٍ أخرى.

قال الحافظ العراقي: وليس ما قاله بجيد، لأن النسائي ضَعَفَ جماعةً أخرج لهم الشيخان أو أحدهما^(٣).

(١) هدي الساري (ص ٨).

(٢) شروط الأئمة الستة لابن طاهر (ص ٨٦).

(٣) شرح التبصرة والتذكرة (١ / ٦٥).



وما قاله العراقي صحيحٌ، فقد شارك النسائيَّ غيره من الأئمة المتقدمين على الشيخين، فجرّحوا بعض الرجال المخرّج لهم في «الصحيحين».

قال الحافظ: والواقع في نفس الأمر أن نقل التضعيف موجودٌ عمّن تقدم على عصرهما، ويُمكن أن يُجاب عن ابن طاهر بأن ما قاله هو الأصل الذي يُبنى عليه أمرهما، وقد يُخرّجان عنه لمرجح يقوم مقامه^(١).

وسياّتي الكلام عمّن ضَعَّف من رجال الشيخين والجواب عنه إن شاء الله.

لكن ينبغي التحقق ممّن ضَعَّفهم النسائي وغيره وأخرج لهم الشيخان، كيف أخرجنا لهم؟ وبهذا يرتفع الإشكال.

فليس كلّ من أخرج له الشيخان لم يُضعَّف بحال، بل فيهم من تُكَلِّم فيه بجرحٍ ذائعٍ شائعٍ، وفيهم من لم يوثقه أحد، كما سياّتي في محله إن شاء الله.

قال ابنُ الصلاح في «صيانة صحيح مسلم»: مَنْ حَكَمَ لشخصٍ بمجرد رواية مسلم عنه في «صحيحه» بأنه من شرط الصحيح عند مسلم فقد غفل وأخطأ، بل ذلك يتوقف على النظر في أنه كيف روى عنه، وعلى أي وجهٍ روى عنه^(٢).

ومذهبه عدم الاكتفاء في شرط الصحيح بوجود رجاله، بل لا بدّ عنده من اعتبار كيفية الرواية، وهو الصواب، وسياّتي ذكره في محله.

وقال أبو بكر الحازمي (٥٨٤) في «شروط الأئمة الخمسة» ما حاصله: إن شرط البخاري أن يخرج ما اتصل بإسناده بالثقات المتقنين الملازمين لمن أخذوا عنه ملازمةً طويلةً سفراً وحضراً، وإنه قد يخرج أحياناً ما يعتمد عليه عن أعيان الطبقة التي تلي هذه في الإتيان والملازمة لمن روى عنه فلم يلزموه إلا ملازمة يسيرة.

(١) النكت الوفية (١/١٥٨).

(٢) صيانة صحيح مسلم (ص ١٠٠).



وإنَّ شرط مسلم أن يخرج أحاديث الطبقتين على سبيل الاستيعاب، وقد يخرج حديث مَنْ لم يَسْلَمْ من غوائل الجرح إذا كان طويل الملازمة لمن أخذ عنه، كحماد

ابن سلمة في ثابت البناني وأيوب^(١).

وقال ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ) في «صيانة صحيح مسلم»: شرط مسلم في «صحيحه» أن يكون الحديث متصل الإسناد، بنقل الثقة عن الثقة من أوله إلى منتهاه، سالماً من الشذوذ، والعلة. وهذا هو حدُّ الحديث الصحيح في نفس الأمر. ونقله النووي في مقدمة المنهاج^(٢).

وقال محيي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ) في «الإرشاد»: إن المراد بقولهم: «على شرطهما» أن يكون رجالُ إسناده في كتابيهما، لأنه ليس لهما شرطٌ في كتابيهما ولا في غيرهما^(٣).

وقال في مقدمة «المنهاج»: ذكر مسلم في أول مقدمة صحيحه أنه يقسم الأحاديث ثلاثة أقسام:

الأول: ما وراه الحفاظ المتقنون، والثاني: ما وراه المستورون المتوسطون في الحفظ والإتقان، والثالث: ما وراه الضعفاء والمتروكون، وأنه إذا فرغ من القسم الأول أتبعه الثاني، وأما الثالث فلا يُعَرَّجُ عليه.

فاختلف العلماء في مراده بهذا التقسيم، فقال الإمامان الحافظان أبو عبد الله الحاكم وصاحبه أبو بكر البيهقي: إن المنية اخترمت مسلماً قبل إخراج القسم الثاني، وأنه إنما ذكر القسم الأول^(٤).

(١) شروط الأئمة الخمسة (١٥٦/١٥١).

(٢) صيانة صحيح مسلم (ص ٧٢)، وشرح مسلم للنووي (١/١٥).

(٣) إرشاد طلاب الحقائق (ص ١٢٤)، وشرح التبصرة والتذكرة (١/٦٦)، وتدريب الراوي (٢/٤٧٥)، وتوضيح الأفكار (١/١٠٨).

(٤) شرح مسلم للنووي (١/٢٣).



قال القاضي عياض: هذا الذي تأوله أبو عبد الله الحاكم على مسلم من احترام المنية له قبل استيفاء غرضه مما قبله الشيوخ وتابعه عليه الناس، في أنه لم يكمل غرضه إلا من الطبقة الأولى، ولا أدخل في تأليفه سواها.

قال القاضي: وهذا غير مُسَلَّم لمن حقق نظره، ولم يتقيد بتقليد ما سمعه، فإنك إذا نظرت تقسيم مُسَلَّم في كتابه الحديث - كما قال - على ثلاث طبقاتٍ من الناس، فذكر أن القسم الأول حديثُ الحفاظ، ثم قال بأنه إذا تقصى هذا أتبعه بأحاديث من لم يوصف بالحدق والإتقان، مع كونهم من أهل الستر والصدق وتعاطي العلم، وذكر أنهم لا يلحقون بالطبقة الأولى، وسمّى أسماء من كل طبقة من الطبقتين المذكورتين، ثم أشار إلى ترك حديث من أجمع أو اتفق الأكثر على تهمته، وبقي من اتهمه بعضهم وصحّحه بعضهم فلم يذكره هنا، ووجدته - رحمه الله - قد ذكر في أبواب كتابه وتصنيف أحاديثه حديث الطبقتين الأولين التي ذكر في أبوابه، وجاء بأسانيد الطبقة الثانية التي سماها، وحديثها، كما جاء بالأولى على طريق الاتباع لحديث الأولى والاستشهاد بها، أو حيث لم يجد في الكتاب للأولى شيئاً، وذكر أقواماً تكلم قومٌ فيهم وزكاهم آخرون، وخرج حديثهم بمن ضُعف أو اتهم ببدعة، وكذلك فعل البخاري رحمه الله.

فعندي أنه رحمه الله قد أتى بطبقاته الثلاث في كتابه على ما ذكر، ورأيت في كتابه وتبينت في تقسيمه، وطرح الرابعة كما نص عليه، فتأول الحاكم أنه إنما أراد أن يُفرد لكل طبقة كتاباً، ويأتي بأحاديثها خاصة مفردة.

وليس ذلك مراده، بل إنما أراد بما ظهر من تأليفه وبان من عرضه أن يجمع ذلك في الأبواب، ويأتي بأحاديث الطبقتين من غير تكرار كما ذكر في كلامه، فيبدأ بالأولى ثم يأتي بالثانية، على طريق الاستشهاد والاتباع، حتى استوفى جميع الأقسام الثلاثة.

ويحتمل أن يكون أراد بالطبقات الثلاث من الناس الحفاظ، ثم الذين يلونهم، والثالثة الذي طرح، والله أعلم بمراده.



وكذلك أيضاً علل الحديث التي ذكر ووعد أنه يأتي بها، قد جاء بها في مواضعها من الأبواب، من اختلافهم في الأسانيد، والإرسال والإسناد، والزيادة والنقص، وذكر تصاحيف المصحفين، وهذا يدل على استيفاء غرضه في تأليفه وإدخاله في كتابه كلما وعد به. قال القاضي: وقد فاوضت في تأويلي هذا ورأيي فيه من يفهم هذا الكتاب، فما وجدت منصفاً إلا صوبه وبان له ما ذكرت، وهو ظاهر لمن تأمل الكتاب وطالع مجموع الأبواب، والله الموفق للصواب^(١).

قال النووي: وهذا الذي اختاره القاضي عياض ظاهر جداً.

ولتوضيح مراد الإمام مسلم لا بد من نقل نص كلامه كاملاً ثم النظر فيه:

قال رحمه الله:

ثم إنا إن شاء الله مبتدئون في تخريج ما سألت وتأليفه، على شريطة سوف أذكرها لك، وهو أنا نعمل إلى جملة ما أسند من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنقسمها على ثلاثة أقسام، وثلاث طبقات من الناس على غير تكرار، إلا أن يأتي موضع لا يستغنى فيه عن تردد حديث فيه زيادة معني، أو إسناد يقع إلى جنب إسناد، لعله تكون هناك، لأن المعنى الزائد في الحديث المحتاج إليه يقوم مقام حديث تام، فلا بد من إعادة الحديث الذي فيه ما وصفنا من الزيادة، أو أن يفصل ذلك المعنى من جملة الحديث على اختصاره إذا أمكن، ولكن تفصيله ربما عسر من جملة، بإعادته بهيئته إذا ضاق ذلك أسلم، فأما ما وجدنا بداً من إعادته بجملة من غير حاجة منا إليه، فلا نتولى فعله إن شاء الله تعالى.

فأما القسم الأول، فإننا نتوخى أن نقدم الأخبار التي هي أسلم من العيوب من غيرها، وأنقى من أن يكون ناقلوها أهل استقامة في الحديث، وإتقان لما نقلوا، لم يوجد في روايتهم اختلاف شديد، ولا تخليط فاحش، كما قد عثر فيه على كثير من المحدثين، وبان ذلك

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (١/٨٦/٨٧).

في حديثهم.

فإذا نحن تقصينا أخبار هذا الصنف من الناس، أتبعناها أخباراً يقع في أسانيدنا بعض من ليس بالموصوف بالحفظ والإتقان، كالصنف المقدم قبلهم، على أنهم وإن كانوا فيما وصفنا دونهم، فإن اسم الستر، والصدق، وتعاطي العلم يشملهم كعطاء بن السائب، ويزيد بن أبي زياد، وليث بن أبي سليم، وأضرابهم من حُمّال الآثار، ونُقّال الأخبار، فهم وإن كانوا بما وصفنا من العلم، والستر عند أهل العلم معروفين، فغيرهم من أقرانهم ممن عندهم ما ذكرنا من الإتقان، والاستقامة في الرواية يفضّلونهم في الحال والمرتبة، لأن هذا عند أهل العلم درجة رفيعة، وخصلة سنية، ألا ترى أنك إذا وازنت هؤلاء الثلاثة الذين سمّيناهم عطاء، ويزيد، وليثاً، بمنصور بن المعتمر، وسليمان الأعمش، وإسماعيل بن أبي خالد في إتقان الحديث والاستقامة فيه، وجدتهم مُباينين لهم، لا يُدانونهم لا شك عند أهل العلم بالحديث في ذلك، للذي استفاض عندهم من صحة حفظ منصور، والأعمش، وإسماعيل، وإتقانهم لحديثهم، وأنهم لم يعرفوا مثلاً ذلك من عطاء، ويزيد، وليث، وفي مثل مجرى هؤلاء إذا وازنت بين الأقران كابن عَوْن، وأيوب السَّخْتِيَّاني، مع عوف بن أبي جَمِيلَةَ، وأشعث الحُمَرَانِي، وهما صاحبا الحسن، وابن سيرين، كما أن ابن عون، وأيوب صاحباهما، إلا أن البَوْنَ بينهما، وبين هذين بعيداً في كمال الفضل، وصحة النقل، وإن كان عوف، وأشعث غير مدفوعين عن صدق وأمانة عند أهل العلم، ولكن الحال ما وصفنا من المنزلة عند أهل العلم، وإنما مثلنا هؤلاء في التسمية ليكون تمثيلهم سِمَةً يصدر عن فهمها مَنْ غَبِيَ عليه طريق أهل العلم في ترتيب أهله فيه، فلا يُقَصَّرُ بالرجل العالي القَدْر عن درجته، ولا يُرْفَع مُتَضَعُ القدر في العلم فوق منزلته، ويُعْطَى كُلُّ ذِي حَقٍّ فيه حَقُّه، ويُنَزَّلُ منزلته.

وقد ذُكِرَ عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنها قالت: أَمَرَنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن نُنَزِّلَ الناسَ منازلهم مع ما نطق به القرآن، من قول الله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، فعلى نحو ما ذكرنا من الوجوه، نؤلف ما سألت من الأخبار عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فأما ما كان منها عن قوم هم عند أهل الحديث مُتَّهَمُونَ، أو عند الأكثر منهم، فلسنا نتشاغل بتخريج حديثهم، كعبد الله بن مسُور أبي جعفر المدائني، وعمرو بن خالد، وعبد القدُوس الشامي، ومحمد بن سعيد المصلُوب، وغِيَاث بن إبراهيم، وسليمان بن عمرو أبي داود النَّخعي، وأشباهِهم ممن اتُّهم بوضع الأحاديث، وتوليد الأخبار، وكذلك من الغالب على حديثه المنكر، أو الغلطُ أمسكنا أيضاً عن حديثهم.

وعلامةُ المنكر في حديث المحدث، إذا ما عُرِضَتْ روايته للحديث على رواية غيره من أهل الحفظ والرضا، خالفت روايته روايتهم، أو لم تكْدُ توافقها، فإذا كان الأغلبُ من حديثه كذلك كان مهجورَ الحديث، غيرَ مقبوله، ولا مُستعمله، فمن هذا الضرب من المحدثين: عبد الله بن مُحَرَّر، ويحيى بن أبي أنيسة، والجراح بن المنهال أبو العَطُوف، وعَبَّاد بن كَثِير، وحُسين بن عبد الله بن ضَمِيرَة، وعُمَر بن صُهْبَان، ومن نحا نحوهم في رواية المنكر من الحديث، فلسنا نُعرج على حديثهم، ولا نتشاغلُ به، لأن حُكْمَ أهل العلم، والذي نعرف من مذهبهم في قبول ما يتفرد به المحدث من الحديث أن يكون قد شارك الثقات من أهل العلم والحفظ في بعض ما رَوَوْا، وأمَّعنَ في ذلك على الموافقة لهم، فإذا وُجِدَ كذلك، ثم زاد بعد ذلك شيئاً ليس عند أصحابه قُبِلَتْ زيادته، فأما مَنْ تراه يعمد لمثل الزهري في جلالته، وكثرة أصحابه الحفاظ المتقنين لحديثه وحديث غيره، أو لمثل هشام بن عروة، وحديثهما عند أهل العلم مبسوطٌ مشتركٌ، قد نقل أصحابهما عنهما حديثهما على الاتفاق منهم في أكثره، فَيَرْوِي عنهما، أو عن أحدهما العدد من الحديث مما لا يعرفه أحدٌ من أصحابهما، وليس ممن قد شاركهم في الصحيح مما عندهم، فغيرُ جائزٍ قبولُ حديث هذا الضرب من الناس والله أعلم.

قد شَرَحْنَا من مذهب الحديث وأهله بعض ما يتوجه به مَنْ أراد سبيل القوم، وَوَفَّقَ لها، وسنزيد، إن شاء الله تعالى شرحاً وإيضاحاً في مواضع من الكتاب عند ذكر الأخبارِ المُعَلَّلَةِ،



إذا أتينا عليها في الأماكن التي يليق بها الشرح والإيضاح، إن شاء الله تعالى.

وبالتأمل في كلامه نجده قد قسم الأحاديث إلى ثلاث درجات: الدرجة الأولى أخبار من وُصفوا بالاستقامة في الحديث والإتقان لما رووا، فأحاديث هؤلاء مخرجة عنده أولاً، فإذا استقصى أحاديث هذه الطبقة أتبعها بأخبار من لم يبلغوا في الحفظ والإتقان رجال الطبقة الأولى مع كونهم من أهل الصدق والستر وتعاطي العلم.

أما من اتفق أهل الحديث أو أكثرهم على اتهامه، وكذا من الغالب على حديثه المنكر، فلا يُعرج على أحاديثهم ولا يشتغل بها.

بقيت طبقة رابعة لم يذكرها مسلم في كلامه، وهي أحاديث من اختلف فيهم، فزكاهم بعضهم وضعفهم آخرون، هل أخرجها مسلم في كتابه أم لا؟

أجاب القاضي بأنه بعد النظر في أبواب الكتاب وجده يذكر أقواماً تكلم قوم فيهم وزكاهم آخرون، وخرج حديثهم بمن ضعف أو اتهم ببدعة.

قال: وكذلك فعل البخاري رحمه الله.

فقول القاضي: «وعندي أنه أتى بالطبقات الثلاث وطرح الرابعة»، الطبقة الرابعة في كلامه هي الثالثة في كلام مسلم، أما الطبقة التي جعلها عياض ثالثة فلم يتعرض لها مسلم في معرض كلامه، وإنما عرفت من مطالعة مجموع الكتاب وإمعان النظر في أسانيده.

وهذا إذا اعتبرنا «من اتهمه الأكثر»، لا يشملهم القسم المختلف فيه، وهم أهل الطبقة الرابعة في كلام القاضي عياض.

فائدة: قال الصنعاني في «توضيح الأفكار»: ومما تقدم يتضح أن صحيح مسلم فيه الصحيح والحسن، فأهل الطبقة الأولى معروفون بتمام الضبط المأخوذ قيدا في رسم



الصحيح، أما أهل الطبقة الثانية فهم الذين خفَّ ضبطهم، وهؤلاء هم شرط الحسن^(١).
وقال الذهبي في «الموقظة»: ليس في الصحيحين رجلٌ احتج به البخاري ومسلم في
الأصول وروايته ضعيفة، بل حسنة أو صحيحة^(٢).
وذكر الحافظ ابن حجر أنه اعتبر كثيراً من أحاديث «الصحيحين» فوجدها لا يتم الحكم
عليها بالصحة إلا بالمتابعات والشواهد لقصور رواتها عن درجة الصحيح^(٣).



(١) توضيح الأفكار (١/١٠٧).

(٢) الموقظة للذهبي (ص ٨٠).

(٣) النكت لابن حجر (١/٤١٧).



المبحث الثاني: أيهما أقوى شرط البخاري أو شرط مسلم؟

يرى جمهور العلماء أن كتاب البخاري أصح من كتاب مسلم، وشرطه فيه أقوى وأشد، صرح بذلك غير واحد من الأئمة، كالنسائي، والإسماعيلي، والسمعاني.

قال أبو عبد الرحمن النسائي (ت ٣٠٣هـ): ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب البخاري^(١).

قال الحافظ ابن حجر: والنسائي لا يعني بالجودة إلا جودة الأسانيد، كما هو المتبادر إلى الفهم من اصطلاح أهل الحديث^(٢).

وقال أبو بكر الإسماعيلي (ت ٣٧١هـ) في كتابه «المدخل»: أما بعد فإني نظرت في كتاب الجامع الذي ألفه أبو عبد الله البخاري فرأيتة جامعاً كما سُمي لكثير من السنن الصحيحة، ودالاً على جُمْل من المعاني الحسنة المستنبطة التي لا يكمل مثلها إلا من جمع إلى معرفة الحديث ونقلته والعلم بالروايات وعللها علماً بالفقه واللغة وتمكناً منها كلها وتبحراً فيها، وكان يرحمه الله الرجل الذي قصر زمانه على ذلك، فبرع وبلغ الغاية فحاز السبق، وجمع إلى ذلك حسن النية والقصد للخير، فنفعه الله ونفع به.

قال: وقد نحا نحوه في التصنيف جماعة منهم الحسن بن علي الحلواني لكنه اقتصر على السنن، ومنهم أبو داود السجستاني وكان في عصر أبي عبد الله البخاري، فسلك فيما سماه سُنناً ذكر ما روي في الشيء وإن كان في السند ضعف إذا لم يجد في الباب غيره.

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٣٢٧)، وتقييد المهمل للجواني (١/ ٣٣)، وشرح البخاري للنووي (١/ ٢١٤ / ٢١٥)، وشرح مسلم له (١/ ١٤)، وهدي الساري (ص ١٠ / ٤٨٩) وصححه، والنكت لابن حجر (١/ ٢٨٦)، والنكت للزركشي (١/ ١٦٦)، والنكت الوفية (١/ ١١٥)، وتدريب الراوي (٢/ ٣٠٢)، لكنه جعله من كلام ابن خزيمة.

(٢) هدي الساري (ص ١٠ / ١١).

ومنهم مُسلم بنُ الحَجَّاج وكان يُقاربه في العصر، فَرَامَ مَرَامَهُ، وكان يأخذ عنه أو عن كُتبه، إلا أنه لم يضايق نفسه مضايقة أبي عبد الله، وروى عن جماعة كثيرة لم يتعرض أبو عبد الله للرواية عنهم.

وكلُّ قصد الخير، غير أنَّ أحداً منهم لم يبلغ من التشدد مبلغ أبي عبد الله، ولا تَسَبَّبَ إلى استنباط المعاني واستخراج لطائف فقه الحديث وتراجم الأبواب الدالة على ماله وُصْلَةٍ بالحديث المروي فيه تَسْبِيهُ، والله الفضلُ يختص به من يشاء^(١).

وقال أبو المظفر السَّمْعَانِي (ت ٤٨٩ هـ): وأما الكتب التي تُعتمد في الحديث فأول ذلك الجامع الصحيح عن البخاري، ثم الصحيح عن مسلم بن الحجاج القشيري، وكتاب السنة عن أبي داود، والجامع عن أبي عيسى الترمذي، وكتاب ابن أبي عوانة، وكتاب أبي عبد الرحمن النسائي، وكتاب الصحيح عن أبي العباس الدغولي، وقد صنف أبو حاتم بن حبان كتاباً سماه «الصحيح» جمع فيه الكثير وليس في الصحة والتثبت مثل هذه الكتب.

قال: وأولى هذه الكتب بالاعتماد «صحيح البخاري»^(٢).

ومما يُرَجَّحُ به كتابُ البخاري:

اتفاقُ العلماء على أن البخاريَّ أجَلُّ من مسلم، وأصدقُ بمعرفة الحديث ودقائقه، وقد انتخب عِلْمَهُ ولَخَّصَ ما ارتضاه في هذا الكتاب^(٣).

قال الدارقطني: لولا البخاريُّ لما ذهب مسلمٌ ولا جاء. قال الخطيب: وإنما قفا مسلمٌ طريقَ البخاري ونظر في عِلْمِهِ، وحذا حذوه، ولما ورد البخاري نيسابور في آخر أمره لازمه

(١) كتاب الأربعين لعلي بن الفضل المقدسي (ص ٤٠٠ / ٤٠١)، وشرح البخاري للنووي (١ / ٢١٤)، وشرح مسلم له (١ / ١٤)، وهدي الساري (ص ١١)، ونكت الزركشي (١ / ١٦٦)، والبحر الذي زخر (٢ / ٥٣٢ / ٥٣٤)، وتوجيه النظر (١ / ٣٠٥).

(٢) القواطع في أصول الفقه للسَّمْعَانِي (٢ / ٦٠٩).

(٣) شرح البخاري للنووي (١ / ٢١٥).

مسلم، وأدام الاختلاف إليه^(١).

وقال أبو أحمد محمد بن محمد النيسابوري المعروف بالحاكم الكبير (ت ٣٧٨ هـ): رحم الله الإمام محمد بن إسماعيل فإنه ألف الأصول^(٢) من الأحاديث وبين للناس، وكل من عمل بعده فإنما أخذه من كتابه، كمسلم بن الحجاج فرق كتابه في كتبه، وتجلد فيه حق الجلادة حيث لم ينسبه إلى قائله^(٣).

وذكرت في أول الكتاب من ذهب من المغاربة إلى ترجيح كتاب مسلم فلا نعيده هاهنا.

ومما يُرجَّح به كتاب البخاري:

أن الحديث الصحيح مداره على اتصال سنده وعدالة رواته، والبخاري أعدل رواة وأشد اتصالاً، والدليل على ذلك من أوجه:

أحدها: أن الذين انفرد البخاري بالإخراج لهم دون مسلم: أربعمائة وبضعة وثلاثون رجلاً، المتكلم فيهم بالضعف منهم ثمانون رجلاً، والذين انفرد مسلم بإخراج حديثهم دون البخاري ستمائة وعشرون رجلاً، المتكلم فيهم بالضعف منهم مائة وستون رجلاً على الضعف من كتاب البخاري، ولا شك أن التخريج عمّن لم يتكلم فيه أصلاً أولى من التخريج عمّن تكلم فيه.

الثاني: أن الذين انفرد بهم البخاري ممن تكلم فيه لم يكن يُكثر من تخريج أحاديثهم وليس لواحد منهم نسخة كبيرة أخرجها كلها أو أكثرها إلا ترجمة عكرمة عن ابن عباس. بخلاف مسلم فإنه أخرج أكثر تلك النسخ التي رواها عمّن تكلم فيه، كأبي الزبير عن جابر، وسهيل

(١) تاريخ بغداد (١٥/١٢٤).

(٢) يعني بالأصول: أصول الأحكام. هدي الساري (ص ١١).

(٣) الإرشاد للخليلي (ص ٩٦٢)، والسنن الأبين لابن رشيد (ص ١٤٧)، وهدي الساري (ص ١١/٤٨٩)، والنكت لابن حجر (١/٢٨٥)، والبحر الذي زخر (٢/٥٣٤/٥٣٥).

عن أبيه عن أبي هريرة، وحماد بن سلمة عن ثابت عن أنس، والعلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة.

الثالث: أن الذين انفرد بهم البخاري ممن تُكَلِّم فيه أكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وعرف أحوالهم واطَّلَعَ على أحاديثهم فمَيَّزَ جيَدَها من غيرِها، بخلاف مسلم فإن أكثر من تفرد بتخريج حديثه ممن تُكَلِّم فيه ممن تقدم عن عصره، من التابعين فمن بعدهم، ولا شك أن المحدثَ أَعْرَفُ بحديث شيوخه ممن تقدم عن عصرهم.

الرابع: أن أكثر هؤلاء الرجال المتكلم فيهم من المتقدمين يُخْرِجُ لهم البخاري استشهاده ومتابعةً وتعليقاً، بخلاف مسلم فإنه يُخْرِجُ لهم في الأصول والاحتجاج، وأكثر مَنْ يُخْرِجُ لهم مسلمٌ في المتابعات لا يُعَرِّجُ عليهم البخاري.

الخامس: مذهب مسلم أن الإسنادَ المُعْنَنَ له حكمُ الاتصال إذا تعاصر المعنعن و المعنعن عنه وإن لم يثبت اجتماعهما، والبخاري لا يحمله على الاتصال حتى يثبت اجتماعهما ولو مرةً واحدة.

السادس: أن الأحاديث التي انتُقدت عليهما بلغت مائتي حديث وعشرة أحاديث اختص البخاريُّ منها بأقل من ثمانين، وباقي ذلك يختص بمسلم، ولا شك أن ما قَلَّ الانتقاد فيه أرجح مما كثر^(١).

تنبيه: قولهم: لكتاب البخاري مزيةٌ على كتاب مسلم، إنما هو بالنظر إلى ما في الكتابين من الأسانيد والأحاديث، لا باعتبار تفوق البخاري على مسلم في الصناعة الحديثية، إذ قد يتفوق التلميذُ على شيخه في تصنيف الكتب الجياد وإن لم يبلغ درجته في العلم.



(١) هدي الساري (ص ١٢)، وتدريب الراوي (٢/ ٢٩٤)، والبحر الذي زخر (٢/ ٥٤٥).

المبحث الثالث: أقسام رجال «الصحيحين»

رجال «الصحيحين» ثلاثة أقسام: ما اتَّفقا عليهما، وما تفرد البخاري بالإخراج لهم، وما انفرد مسلمٌ بالإخراج لهم.

الأول: ما اتَّفقا البخاري ومسلمٌ على إخراج حديثهم: وهذا القسم لا فضل لأحدهما على الآخر فيه، وسواء كان الإسنادُ مُعْنَعًا أَوْ لَا، فإن كان البخاري يشترط اللقاء ولو مرة، فشرطُ مسلمٍ مندرجٌ تحته بثبوت المعاصرة اللازمة من اللقاء، فالقولُ بأن هؤلاء أرجح إذا روى عنهم البخاري لا إذا روى عنهم مسلمٌ عينُ التحكم، وإذا عرفت هذا فلا وجه للحكم بأصحية رواية البخاري فيما اتَّفقا هو ومسلمٌ على إخراجه، وحينئذٍ فلا يصح الحكم على كتاب البخاري بالأصحية بالنسبة إلى هذه الأحاديث، وهذا القسم هو أكثر الأقسام.

الثاني: ما انفرد البخاريُّ بإخراج حديثهم: فهذا القسمُ حصلت فيه شروط البخاري منفردة، وهو مما يترجح به كتابُ البخاري، لكن في الأحاديث المُعْنَعَة خاصة، لأنها التي اشترط البخاري فيها اللقاء واكتفى مسلمٌ فيها بالمعاصرة، وهذا القسم قليلٌ كما عرفت، ولا بد من تقييد ذلك بغير مَنْ تُكَلَّم فيهم.

أما غيرها مما ساقاها مساق التحديث والسماع فمسلمٌ والبخاريُّ فيها سواء.

وفيما يرجع إلى الرواة المتكلم فيهم من الجانبين فإنه لا يقتضي أصحية أحاديث البخاري مطلقاً لكون مَنْ تُكَلَّم فيهم من رجال البخاري أقلُّ ممن تُكَلَّم فيهم من رجال مسلم، بل غاية ما يدلُّ عليه أن الحديثَ الصحيحَ في كتاب البخاري أكثرُ منه في صحيح مسلم، وهذا ليس محلَّ نزاعٍ، أما أنَّ صحاح البخاري أقوى من صحاح مسلمٍ فلا يدلُّ عليه إلا في الحديث المعنعن، وفيه نظر، لأن اشتراط اللقاء مرةً واحدة لا يكفي لقبول جميع مروياته عنه، فقد لا



يتسع لها زمنُ اللقاء - الواقع في المجلس الوحيد - فكيف تُحمل على السماع^(١).

قال الصنعاني: فلا بُدَّ من تقييد ذلك بزيادة: «أن يتسع زمانُ اللقاء لكلِّ ما عنه رُوي»^(٢).

قال الحافظ ابن حجر في «النكت»: فإذا ثبت اللُّقي ولو مرةً حُمِلت عنعنةٌ غير المدلِّس على السماع، مع احتمال أن لا يكون سمع بعض ذلك.

والحاملُ للبخاري على اشتراط ذلك تجويزُ أهل ذلك العصر للإرسال، فلو لم يكن مدلساً وحدث عن بعض مَنْ عاصره لم يدل ذلك على أنه سمع منه، لأنه وإن كان غير مدلس فقد يتحمل أن يكون أرسل عنه لشيوع الإرسال بينهم.

قال: وأما احتجاج مسلم على فساد ذلك بأن لنا أحاديثَ اتفق الأئمة على صحتها ومع ذلك ما رُويت إلا معنعة، ولم يأت في خبرٍ قط أن بعض رواتها لقي شيخه، فلا يلزم من ذلك عنده نفيه في نفس الأمر^(٣).

ورَدَّه الصنعاني في «توضيح الأفكار» من ثلاثة أوجه:

الأول: أن الدلالة العقلية دلت على أنه لا يتسع «زمنُ اللقاء» لما رواه عنه، ويقول يُحمل على السماع، فإنه لا يخفى أن افتقار الفعل والقول إلى زمنٍ يتسع لوقوعهما فيه أمرٌ ضروريٌّ مخالفته دالةٌ على كذب مدَّعيه.

الثاني: أن قول الحافظ: «فلا يلزم من ذلك عنده - أي عند البخاري - نفيه في نفس الأمر» غيرُ دافعٍ لما قاله مسلم، لأن ما في نفس الأمر لا تكليف به، وإلا فكل ظاهرٍ يجوز خلافه في نفس الأمر، والخطاب متعلقٌ بالظاهر في التكليف لا بما في نفس الأمر، ألا ترى أن مَنْ عدَّل ثقةً يجوز أنه غيرُ عدَّل في نفس الأمر، بل يجوز أنه غير مُسلم، مع أنا مكلفون

(١) توضيح الأفكار (١/٤٢/٤٤).

(٢) توضيح الأفكار (١/٤٣).

(٣) النكت لابن حجر (٢/٥٩٦).

بقبول تعديل الثقة، وكذلك ما صححه الثقة يجوز أنه موضوع في نفس الأمر، وبالجمله ما في نفس الأمر لا تكليف به.

الثالث: استدلال الحافظ ابن حجر للبخاري على شرطية اللقاء بتجويز أهل عصره للإرسال غير ناهض على الشرطية للقاء، لأن هذا التجويز لا يرفع الأصل في إخبار الثقة، وأنه محمول على اتصال السماع، مع معاصرته لمن يروي عنه وإمكان اللقاء، وإذ قد قبل البخاري عن عنة مَنْ ثبت له اللقاء ولو مرة مع احتمال أن بعض ما رواه لم يسمعه فقد حملة على السماع مع الاحتمال، فليجزه مع احتمال الإرسال، مع أنه احتمال بعيد، واحتمال عدم السماع أقرب فيما يرويه السامع ويكثر في روايته مع حقارة زمن اللقاء^(١).

وما بحث فيه الصنعاني قوي ووجيه، إذ يكفي في إثبات الاتصال وجود قرينة تدل على ذلك، وإن لم تكن بالقوة التي ارتضاها البخاري، بل يكفي أن تكون قرينة متوسطة. وسيأتي مزيد لهذا البحث في شرط الشيخين في الحديث المعنعن.

ولنضرب مثالا لذلك برواية: «عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده». فإن الجمهور صححوا أحاديثها، مع أنهم أقرؤا بأن شعيباً لم يسمع من جده كل ما حدث به عنه، وأن سماعه لم يثبت إلا في حديث واحد.

والضمير في «أبيه» عائذ على عمرو، وأبوه هو شعيب، أما الضمير في «جده» فيعود على شعيب، وجده هو عبد الله بن عمرو بن العاص.

ولعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده صحيفة تسمى: «الصادقة»^(٢).

كتبها عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أذن له في الكتابة عنه^(٣).

(١) توضيح الأفكار (١/ ٢٣٤).

(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٢٢).

(٣) أبو داود رقم (٣٦٤٦)، وأحمد (٢/ ١٦٢).



قال عبد الله بن عمرو: حفظتُ عن النبي صلى الله عليه وسلم ألف مثل^(١). يعني ألف حديث، والظاهر أن عبد الله كان يكتب كل ما يحفظه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحتاج لمحفوظاته خشية أن يلحقها النسيان عند الكبر، لذلك كان يغتبط ويعتز بصحيفته ويقول: إذا سلمت لي هذه وكتاب الله والوهط، فلا أبالي علام كانت عليه الدنيا^(٢). والوهط: أرض كانت له يزرعها.

وهذه «الصحيفة» بقيت عند أهله من بعده، ورواها عنه حفيده شعيب بن محمد.

قال ابن القيم في «الهدى النبوي»: وصح عن عبد الله بن عمرو أنه كان يكتب حديثه، وكان مما كتبه صحيفة تسمى الصادقة، وهي التي رواها حفيده عمرو بن شعيب عن أبيه عنه، وهي من أصح الأحاديث، وكان بعض أئمة أهل الحديث يجعلها في درجة أيوب عن نافع عن ابن عمر، والأئمة الأربعة وغيرهم احتجوا بها^(٣).

وشعيب قد ثبت سماعه من جدّه عبد الله بن عمرو، كما صرح به البخاري في «التاريخ»، وأحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن أبي حاتم، ورواه الدارقطني، والحاكم، والبيهقي^(٤).

وقيل لأحمد بن حنبل: عمرو بن شعيب سمع من أبيه شيئاً؟ قال: يقول حدثني أبي. قيل: فأبوه سمع من عبد الله بن عمرو؟ قال: نعم، أراه قد سمع منه.

وقال أبو بكر النيسابوري: قد صح سماع عمرو بن شعيب عن أبيه شعيب، وصح

(١) أسد الغابة (٣/ ٢٤٥). لعله يقصد أحاديث عبد الله بن عمرو، ومع ذلك فأحاديثه لا تزيد على سبعمائة.

تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي (ص ٢٦٣).

(٢) أسد الغابة (٣/ ٢٤٦)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٨٩).

(٣) زاد المعاد (٣/ ٤٥٨).

(٤) التاريخ الكبير للبخاري (٤/ ٢١٨)، والسنن للترمذي (١/ ٣٥٤)، والسنن للدارقطني (٣/ ٥٠/ ٥١)،

والمستدرک (٢/ ٧٥)، والسنن الكبرى للبيهقي (٥/ ٢٧٤)، وتهذيب الكمال للمزي (١٢/ ٥٣٥)،

وشرح التبصرة والتذكرة (٣/ ٩٤/ ٩٥).



سماعُ شعيب من جده عبد الله بن عمرو^(١).

وعن عبيد الله بن عمر، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه أن رجلاً أتى عبد الله بن عمرو يسأله عن مُحْرَمٍ وقع بامرأة، فأشار إلى عبد الله بن عمرو، فقال: اذهب إلى ذلك فاسأله، قال شعيب: فلم يعرفه الرجل، فذهبتُ معه، فسأل ابنَ عمرو، فقال: «بطل حجُّك»، قال: فقال الرجل: «أفأقعد؟»، قال: «بل تخرج مع الناس وتصنع ما يصنعون، فإذا أدركت قابلاً فحج واهد»، فرجع إلى عبد الله بن عمرو فأخبره، ثم قال له: «اذهب إلى ابن عباس فاسأله»، قال شعيب: «فذهبت معه فسأله فقال له مثل ما قال له عبد الله بن عمرو، فرجع إلى عبد الله بن عمرو فأخبره بما قال ابن عباس»، ثم قال: «ما تقول أنت؟»، قال: «أقول مثل ما قالوا»^(٢).

وهذا إسناد صحيح وفيه التصريح بأن شعيباً سمع من جده عبد الله بن عمرو، ومن ابن عباس، ومن ابن عمر^(٣).

قال الذهبي: وقد ثبت سماع شعيب من جده عبد الله بن عمرو، ومن معاوية، وابن عباس، وابن عمر، وغيرهم، وما علمنا بشعيب بأساً، رُبي يتيماً في حجر جده عبد الله، وسمع منه، وسافر معه، ولعله وُلد في خلافة علي أو قبل ذلك^(٤).

واختلف العلماء في الاحتجاج بهذه الصحيفة على أقوال:

أحدها: أنها حجةٌ مطلقاً إذا صح السند إليه.

قال البخاري: رأيتُ أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، وإسحاق بن راهويه، وأبا عبيد، وعامة أصحابنا، يحتجون بحديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، ما تركه أحد من

(١) السنن للدارقطني (٥٠ / ٣).

(٢) السنن للدارقطني (٥١ / ٣)، والمستدرک (٧٥ / ٧٤ / ٢).

(٣) السنن للبيهقي (٢٧٤ / ٥)، وتهذيب الكمال (٥٣٥ / ١٢).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٧٣ / ٥).



المسلمين. قال البخاري: فمن الناس بعدهم؟ زاد في رواية: والحميدي^(١).

وقال مرة: اجتمع علي، ويحيى ابن معين، وأحمد، وأبو خيثمة، وشيوخ من أهل العلم، فتذكروا حديث عمرو بن شعيب فثبتوه، وذكروا أنه حجة.

وروي عن أحمد، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، خلاف ما نقله البخاري عنهم، مما يقتضي تضعيف روايته عن أبيه عن جده.

سأنقل كلامهم قريباً، ومن أجل هذا التعارض في النقل استبعد الذهبي صدور هذه الألفاظ من البخاري، وقال: أخاف أن يكون أبو عيسى وهم، وإلا فالبخاري لا يُعرج على عمرو^(٢).

لكن هذا النقل موجودٌ عند البخاري في «التاريخ الكبير»، فزال ما خشيه الذهبي على الترمذي من عدم الثبوت في النقل.

والبخاري احتج برواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، في جزء «القراءة خلف الإمام»، وجزء «خلق أفعال العباد»، وكتاب «الأدب المفرد». أما في «الجامع الصحيح» فلم يخرج منها شيئاً سوى حديث واحد رواه معلقاً في كتاب اللباس^(٣). وقال أحمد بن سعيد الدارمي: احتج أصحابنا بحديثه^(٤).

قال ابن الصلاح: احتج أكثر أهل الحديث بحديثه حملاً لمطلق الجد على الصحابي عبد الله

(١) التاريخ الكبير للبخاري (٢٥٧٨) (٦/٣٤٢ / ٣٤٣)، وفي المطبوع من التاريخ: «الحميد» قال محققه: لعله تصحيف أبا عبيد أو الحميدي. والعلل الكبير للترمذي رقم (١٨٦)، والسنن له (٣٥٤ / ١)، وميزان الاعتدال (٣٢٠ / ٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٦٧ / ٥):

(٣) فتح الباري (٢٥٣ / ١٠)، وصحيفتا عمرو بن شعيب وبهر بن حكيم، لمحمد بن علي ابن الصديق (ص ٧١).

(٤) شرح التبصرة والتذكرة (٩٣ / ٣)، وفتح المغيث للسخاوي (١٦١ / ٤).



بن عمرو دون ابنه محمد والد شعيب، لما ظهر لهم من إطلاقه ذلك^(١).

قال البلقيني: والصواب الذي عليه جمهور المحدثين الاحتجاج به^(٢).

وله فيه جزء سماه: «بذل الناقد بعض جهده، في الاحتجاج بعمر بن شعيب عن أبيه عن جده». رد به على ابن حزم.

وقال النووي: هذا هو الصواب الذي قاله المحققون والجهاهير^(٣).

والقول الثاني: ترك الاحتجاج بها، وهو قول: أبي داود فيما رواه أبو عبيد الآجري عنه قال: قيل له: عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده حجة عندك؟ قال لا، ولا نصف حجة^(٤).

وروى ابن أبي شيبة عن علي بن المديني قال: ما روى عنه أيوب وابن جريج فذلك كله صحيح، وما روى عمرو عن أبيه عن جده فذلك كتاب وجده فهو ضعيف^(٥).

وقيل لأحمد بن حنبل: حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده. كيف حديثه؟ فقال: هو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، ويقال: إن شعيباً حدث من كتاب جده ولم يسمعه منه^(٦).

وروى عباس الدوري عن يحيى بن معين، قال: إذا حدث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده فهو كتاب، هو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو يقول: أبي عن جدي عن النبي صلى الله عليه وسلم، فمن هنا جاء ضعفه^(٧).

(١) مقدمة ابن الصلاح (ص ٥٤٠).

(٢) محاسن الاصطلاح (ص ٥٤١).

(٣) المجموع للنووي (١/ ٦٥).

(٤) تهذيب الكمال (٧٢/ ٢٢)، شرح التبصرة والتذكرة (٩٤/ ٣).

(٥) سؤالات ابن أبي شيبة لابن المديني (١١٧)، وسير أعلام النبلاء (١٦٩/ ٥)، وتهذيب التهذيب (٥٣/ ٨).

(٦) المراسيل لابن أبي حاتم (٣٢٩).

(٧) تاريخ يحيى بن معين رواية الدوري (٥٣٠٢)، وتهذيب الكمال (٧٠/ ٢٢)، والسير (١٦٨/ ٥).



وقال ابن عدي: إن روايته عن أبيه عن جده مرسلّة، لأن جده هو محمّد بن عبد الله بن عمرو، ولا صحبة له^(١).

وقال ابن حبان: إنه - أي عمرو - ثقة إذا روى عن الثقات غير أبيه، وإذا روى عن أبيه عن جده، فإن أراد بجده عبد الله بن عمرو، فإن شعيباً لم يلق عبد الله، فيكون منقطعاً، وإن أراد جده الأدنى محمّداً، فهو لا صحبة له فيكون مرسلّاً^(٢).

وتعقبه الدارقطني بقوله: قول أبي حاتم «لم يصح سماع شعيب والد عمرو، من جده عبد الله بن عمرو» خطأ، روى عبيد الله بن عمرو العمري، وهو من الأئمة العدول، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، أنه قال: كنت جالساً عند عبد الله بن عمرو، فجاء رجل فاستفتاه في مسألة ذكرها، فقال لي: يا شعيب، امض معه إلى ابن عباس. فمضيت معه، ثم رجعت إليه، فأخبرته بجوابه، فقال لي: يا شعيب، امض معه إلى ابن عمر.

هذا معنى الحكاية، فقد صح بهذا سماع شعيب من جده عبد الله، وضبطه عنه^(٣).

ورده الذهبي أيضاً فقال في «الميزان»: هذا لا شيء، لأن شعيباً ثبت سماعه من عبد الله، وهو الذي رباه حتى قيل: إن محمّداً مات في حياة أبيه عبد الله، فكفل شعيباً جده عبد الله، فإذا قال: عن أبيه، ثم قال: عن جده، فإنما يريد بالضمير في جده أنه عائدٌ إلى شعيب.

وبعضهم تعلّل بأنها صحيفة رواها وجادة، ولهذا تجنبها أصحاب الصحيح، والتصحيح يدخل على الرواية من الصحف بخلاف المشافهة بالسماع^(٤).

ومن اختار عدم الاحتجاج به: أبو إسحاق الشيرازي في «اللمع»، لكنه عاد واحتج به

(١) الكامل لابن عدي (١١٦/٥).

(٢) المجروحين لابن حبان (٧٢/٢).

(٣) تعليقات الدارقطني على المجروحين (ص ١٦٨)، وحاشية التدريب (٣٠٢/٣٠١/٥).

(٤) ميزان الاعتدال (٣٢٢/٣٢١/٥).



في «المهذب». قال النووي: اختار المصنف في «اللمع» طريقة أصحابنا في منع الاحتجاج به، وترجح عنده في حال تصنيف «المهذب» جواز الاحتجاج به^(١).

والقول الثالث: التفرقة بين أن يفصح بجده أنه عبد الله أولاً، وهو قول الدارقطني حيث قال: لعمر بن عمرو بن شعيب ثلاثة أجداد: الأدنى منهم محمد، والأوسط عبد الله، والأعلى عمرو، وقد سمع يعني شعبياً من محمد، ومحمد لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم، وسمع من جده عبد الله، فإذا بينه وكشفه فهو صحيح حينئذ، ولم يترك حديثه أحد من الأئمة، ولم يسمع من جده عمرو^(٢).

قال العراقي: فإذا قال: عن جده عبد الله بن عمرو فهو صحيح حينئذ، وكذلك إذا قال: عن جده قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما يدل على أن مراده عبد الله لا محمد، وفي السنن عدة أحاديث كذلك^(٣).

والقول الرابع: التفرقة بين أن يستوعب ذكر آبائه بالرواية، أو يقتصر على أبيه عن جده، فإن صرح بهم كلهم، فهو حجة، وإلا فلا، وهو رأي أبي حاتم بن حبان البستي، وروى في صحيحه له حديثاً واحداً، هكذا: عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن محمد بن عبد الله بن عمرو، عن أبيه مرفوعاً: «ألا أحدثكم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة» الحديث. قال الحافظ أبو سعيد العلاني في كتاب «الوشى المعلم»: ما جاء فيه التصريح برواية محمد عن أبيه في السند، فهو شاذ نادر^(٤).

هذا بعض ما قيل في هذه الترجمة، وإذا ما رجحنا صحة الاحتجاج بها على ما ذهب إليه الجمهور، فإننا نحتاج إلى توضيح أمرين وهما: هل سمع عمرو من والده شعيب كل ما رواه

(١) المجموع للنووي (١/ ٦٥).

(٢) إيضاح الإشكال لابن طاهر المقدسي (ص ٣٠).

(٣) شرح التبصرة والتذكرة (٣/ ٩٥).

(٤) المصدر السابق (٣/ ٩٥).



عنه ، أو هو كتابٌ وجده؟ وما قيل في عمرو يقال مثله في شعيب، هل كلُّ ما رواه عن جده عبد الله بن عمرو سمعه منه، أو سمع بعضه والآخر وجادة؟

سُئل أبو زرعة عن عمرو بن شعيب فقال: روى عنه الثقات، وإنما أنكروا عليه كثرة روايته عن أبيه عن جده، وقالوا: إنما سمع أحاديث يسيرة وأخذ صحيفة كانت عنده فرواها وهو ثقة في نفسه، إنما يتكلم فيه بسبب كتاب عنده، وما أقل ما تصيب عنده مما روى عن أبيه عن جده من المنكر^(١).

وقال الساجي: قال ابن معين: هو ثقة في نفسه، وما روى عن أبيه عن جده لا حجة فيه، وليس بمتصل، وهو ضعيف من قبيل أنه مرسل، وجدَّ شعيبٌ كُتِبَ عبد الله ابن عمرو فكان يرويها عن جده إرسالاً، وهي صحاحٌ عن عبد الله بن عمرو، غير أنه لم يسمعها.

قال ابن حجر: فإذا شهد له ابنُ معين أن أحاديثه صحاح غير أنه لم يسمعها، وصح سماعه لبعضها، فغاية الباقي أن يكون وجادة صحيحة، وهو أحد وجوه التحمل^(٢).

فهذا تصريحٌ من إمام الجرح والتعديل يحيى بن معين ثم من الحافظ ابن حجر أن شعيباً لم يسمع كلُّ ما رواه عن جده، وإنما سمع بعضه والباقي وجادةً محتملة، ومع ذلك فقد صححوا جميع أحاديث «الصحيفة» حملاً لمسموعاتها على مراسيلها.

ومن أجل هذا لم يُعَرَّج الشيخان في «صحيحيهما» على شيء منها، وذكر البخاري حديثاً واحداً لعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده معلقاً في كتاب اللباس. والله أعلم.

والحاصل: أنه قد ثبت التصريحُ بسماع شعيب من جده عبد الله بن عمرو كما رواه الدارقطني وغيره، لكنه خبرٌ واحدٌ، ولا يلزم منه سماعُ كلِّ ما يرويه عن جده^(٣).

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢٣٩ / ٦)، وسير أعلام النبلاء (١٦٩ / ٥)، وتهذيب التهذيب (٤٩ / ٨).

(٢) تهذيب التهذيب (٥٤ / ٨).

(٣) حاشية التدريب للشيخ محمد عوامة (٣٠٧ / ٥).



وَعَدَّدُ أَحَادِيثَ عَمْرُو بْنِ شَعِيبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، كَمَا حَرَّرَهُ الدَّكْتُورُ مُحَمَّدٌ عَلِيُّ ابْنُ الصَّدِيقِ فِي كِتَابِهِ: «صَحِيفَتَا عَمْرُو بْنِ شَعِيبٍ وَبَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِمَا عَنْ جَدِّهِمَا»: (٢٣١) حَدِيثًا^(١).

وَفِي تَحْفَةِ الْأَشْرَافِ مِنْهَا: (١٦٨) حَدِيثًا. وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ: (١٩٩) حَدِيثًا.



(١) صَحِيفَتَا عَمْرُو بْنِ شَعِيبٍ وَبَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ (ص ١٣٤).

المبحث الرابع: رجال الشيخين المتكلم فيهم

رجالُ الشيخين مِنْهُمْ مَنْ تُكَلِّمُ فِيهِ بِجَرَحٍ ذَائِعٍ شَائِعٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُوَثِّقْهُ أَحَدٌ.

أما الصنفُ الثاني، فقد قال الحافظ الذهبي في «الميزان» في ترجمة مالك بن الخير الزبادي: في رواية الصحيحين عددٌ كبيرٌ ما علمنا أن أحداً نص على توثيقهم، والجمهورُ على أن من كان من المشايخ قد روى عنه جماعةٌ ولم يأت بما يُنكر عليه أن حديثه صحيح^(١).

والذهبي من أهل الاستقرار التام في نقد الرجال، كما قال الحافظ في «شرح النخبة»^(٢).

فأما الصنف الأول من الضعفاء فإن صاحبي «الصحيحين» يخرجان له لأُمور:

أحدها: أن يكون ضعفه لم يثبت عندهما:

قال أبو بكر الحازمي في «شروط الأئمة الخمسة»: أما إيداع البخاري ومسلم كتابيهما حديثاً نفرٌ نُسبوا إلى نوعٍ من الضعف فظاهرٌ، غير أنه لم يبلغ ضعفهم حدّاً يُردُّ به حديثهم، مع أننا نُقر بأن البخاري كان يرى تخريجَ حديثٍ من يُنسب إلى نوعٍ من أنواع الضعف ولو كان ضعفٌ هؤلاء قد ثبت عنده لما خرَّجَ حديثهم^(٣).

وقال ابنُ الصلاح في «صيانة صحيح مسلم»: عاب عابون مسلماً بروايته في صحيحه عن جماعةٍ من الضعفاء أو المتوسطين الواقعين في الطبقة الثانية الذين ليسوا من شرط الصحيح أيضاً والجواب أن ذلك لأحد أسبابٍ لا معابٍ عليه معها.

أحدها: أن يكون ذلك فيمن هو ضعيفٌ عند غيره ثقةٌ عنده، ولا يُقال إن الجرح مقدّمٌ

(١) ميزان الاعتدال (٦/٦).

(٢) شرح النخبة لابن حجر (ص ١٣٦).

(٣) شروط الأئمة الخمسة (ص ١٧٢).



على التعديل وهذا تقديمٌ للتعديل على الجرح، لأن الذي ذكرناه محمولٌ على ما إذا كان الجرحُ غير مفسر السبب فإنه لا يُعمل به.

قال: ويحتمل أيضاً أن يكون ذلك فيما بين الجارح فيه السبب واستبان مسلمٌ بطلانه^(١).

والأسبابُ الحاملةُ على جرح الرواة متفاوتةٌ، منها ما يقدر ومنها ما لا يقدر.

قال الترمذي في «العلل الصغیر»: وقد اختلف الأئمة من أهل العلم في تضعيف الرجال كما اختلفوا فيما سوى ذلك من العلم.

ذكر عن شعبة أنه ضعفَ أبا الزبير المكي، وعبد الملك بن أبي سليمان، وحكيم بن جُبَيْر، وترك الرواية عنهم، ثم حدث شعبةُ عَمَّن هو دون هؤلاء في الحفظ والعدالة، حدث عن جابر الجعفي، وإبراهيم بن مسلم الهجري، ومحمد بن عبيد الله العزمي، وغير واحد ممن يُضعفون في الحديث.

قال: وقد ثبت^(٢) غير واحدٍ من الأئمة وحدثوا عن أبي الزبير، وعبد الملك بن أبي سليمان، وحكيم بن جُبَيْر^(٣).

فالحكم بالجرح والتعديل اجتهاديٌّ يختلف من إمامٍ إلى آخر، والبخاريُّ ومسلم إمامان في هذا الشأن فلا يكون غيرُهما حجةً عليهما في قبول الأخبار وردّها، وتجريح الرواة وتعديلهم، كما لا يكون بعضُ الأئمة المجتهدين حجةً على بعض في الأمور الاجتهادية.

قال ابن الهمام في «فتح القدير»: وقد أخرج مسلمٌ عن كثيرٍ في كتابه ممن لم يسلم من غوائل الجرح، وكذا في البخاري جماعةٌ تُكَلِّمُ فيهم، فدار الأمرُ في الرواة على اجتهاد العلماء فيهم، وكذا في الشروط حتى إن من اعتبر شرطاً وألغاه آخرٌ يكون ما رواه الآخرُ مما ليس

(١) صيانة صحيح مسلم (ص ٩٦).

(٢) أي جعلوه ثقةً ثبناً.

(٣) العلل الصغیر للترمذي (٢٤٩/٦).



فيه ذلك الشرطُ عنده مكافئاً لمعارضة المشتمل على ذلك الشرط، وكذا فيمن ضَعَفَ راوياً ووثَّقَه الآخرُ، نعم تَسْكُنُ نفسُ غير المجتهد ومن لم يخْبُرْ أمرَ الراوي بنفسه إلى ما اجتمع عليه الأكثرُ، أما المجتهدُ في اعتبار الشرط وعدمه والذي خَبَرَ الراوي فلا يرجعُ إلا إلى رأي نفسه^(١).

وقال الحازمي في «شروط الأئمة»: أئمة النقل على اختلاف مذاهبهم وتباين أحوالهم في تعاطي اصطلاحاتهم يختلفون في أكثرها، فَرُبَّ راوٍ هو موثوقٌ به عند عبد الرحمن بن مهدي، ومجروحٌ عند يحيى بن سعيد القطان، وبالعكس، وهما إمامان عليهما مدار النقد في النقل، ومن عندهما يتلقى معظم شان الحديث.

قال: وأما البخاري فكان وحيدَ دهره وقريعَ عصره إتقاناً وانتقاداً وبحثاً وسبراً، وبعد العلم والإحاطة بمكانته من هذا الشأن، لا سبيل إلى الاعتراض عليه في هذا الباب^(٢).

ولو ذهب العلماء إلى ترك كُلِّ من تُكَلِّمُ فيه، لم يبق بأيدي أهل هذا الشأن من الحديث إلا اليسيرُ، بل لم يبق شيء^(٣).

وهذا صحيحٌ يشهد له كلمة الذهبي السابقة: في رواية الصحيحين عددٌ كثيرٌ ما علمنا أن أحداً نص على توثيقهم^(٤).

ولذلك اشترطوا في قبول الجرح أن يكون مُفسِّراً، فقد يُستفسرُ الجارحُ في جرحه فيذكر ما لا يصلح أن يكون جرحاً، كما وقع لشعبة أنه قيل له: لم تركت حديث فلان؟ فقال: رأيته يركض على بردون فتركت حديثه^(٥).

(١) فتح القدير لابن الهمام (١/٤٦٢).

(٢) شروط الأئمة الخمسة للحازمي (ص ١٨٢/١٨٤).

(٣) النكت للزركشي (٣/٣٤٥).

(٤) ميزان الاعتدال (٦/٦).

(٥) الكفاية (ص ١١١)، ومقدمة ابن الصلاح (ص ٢٩١).



قال الخطيب: وهذا القول هو الصواب عندنا، وإليه ذهب الأئمة من حفاظ الحديث ونقاده، مثل محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري وغيرهما، فإن البخاري قد احتج بجماعة سبق من غيره الطعن فيهم والجرح لهم كعكرمة مولى ابن عباس في التابعين، وكإسماعيل بن أبي أويس وعاصم بن علي وعمرو بن مرزوق في المتأخرين، وهكذا فعل مسلم بن الحجاج فإنه احتج بسويد ابن سعيد وجماعة غيره اشتهر عنهم ينظر في حال الرواة الطعن عليهم^(١).

وكلام الخطيب يؤهم أن كل من أخرج له الشيخان ممن سبق الجرح فيهم، لم يثبت جرحه عندهما، وليس كذلك، فقد أخرج لبعض من جرحاه، إما متابعة أو استشهاداً، أو ينتقيان من حديثه ما وافقه الثقات عليه، أو غير ذلك، ومذاهب النقاد للرجال غامضة ومختلفة.

قال الزركشي في «النكت»: ما ذكره من أن احتجاجه بهؤلاء لأنه لم يفسر جرحهم مردوداً، بل الصواب أن يقال: إنما احتج بهم لأنه لم يثبت عنده الجرح وإن فسر لأنه قد جاء التفسير فيهم^(٢). والصواب أن ذلك غير مُطَرَّد.

الثاني: أنهما ينتقيان من حديث الراوي الضعيف ما وافق فيه الثقات:

قد يخرج الشيخان للراوي الضعيف الذي ثبت جرحه، ما تحقق أنه من صحيح حديثه، فينتقيان من حديثه ما وافق فيه الثقات.

مثاله: ما وقع للبخاري مع «إسماعيل بن أبي أويس» وهو ابن أخت مالك بن أنس، احتج به الشيخان إلا أنهما لم يكثرا من تخريج حديثه.

فلهُ في «صحيح البخاري» نحو مائتي حديث وعشرة أحاديث (٢١٠)، وهي

(١) الكفاية (ص ١٠٨).

(٢) نكت الزركشي (٣/٣٣٨).



أحاديثٌ منتقاةٌ من أحاديثه الكثيرة^(١)، انتخبها البخاري من أصوله بعد ما تحقّق صحتها بموافقة الثقات، وعدم مخالفتها للقواعد العامة.

وأما مسلمٌ فلم يخرج له سوى سبعة أحاديث (٧) فقط، وهو عددٌ أقلُّ بكثيرٍ مما أخرج له البخاري^(٢).

ثم إن البخاري لم يخرج له مما تفرد به سوى حديثين:

الأول: حديث عائشة قالت: قلتُ يا رسول الله، أ رأيتَ لو نزلتَ وادياً وفيه شجرة قد أكل منها، ووجدتَ شجراً لم يؤكل منها، في أيّها كنتَ ترتع بعيرك؟ قال: «في الذي لم يُرتع منها» تعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً غيرها^(٣).

وهذا الحديث وإن انفرد به إسماعيل، فهو حديثٌ صحيحٌ المعنى، وليس فيه ما ينكر، ويشهد لصحته حثه صلى الله عليه وسلم على تزوج الأبقار، كما في حديث جابر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل نكحت يا جابر؟ قلت: نعم. قال: ماذا؟ أبكراً أم ثيباً؟ قلت: لا. بل ثيباً. قال: «فهلّا جارية تلاعبك»^(٤).

والحديث الثاني: حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج^(٥). وهذا الحديث تفرد به إسماعيل، وهو حديثٌ موقوف.

(١) قال الذهبي في ترجمته: الرجل قد وثب إلى ذاك البر، واعتمده صاحباً «الصحيحين»، ولا ريب أنه صاحبُ أفراد ومناكير تنغمر في سعة ما روى، فإنه من أوعية العلم. السير (١٠/٣٩٣).

(٢) وقال صاحب «زهرة المتعلمين في أسماء مشاهير المحدثين»: روى عنه البخاري قريباً من مائتي حديث، ومسلمٌ قدر عشرين حديثاً. الإكمال لمغلطاي (٢/١٨٤).

(٣) البخاري رقم (٥٠٧٧).

(٤) البخاري رقم (٤٠٥٢).

(٥) البخاري رقم (٣٨٤٢).



ورواه أحمد في «فضائل الصحابة»^(١)، وابن أبي الدنيا في «الورع»^(٢) عن القاسم مرسلاً.

وله شواهد: عند عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلوا بأهل ماء وفيهم أبو بكر، فانطلق النعيان فجعل يخط لهم - أو قال: يتكهن لهم - ويقول: يكون كذا وكذا، وجعلوا يأتونه بالطعام واللبن، وجعل يرسل إلى أصحابه، فقيل لأبي بكر: أتعلم ما هذا؟ إن ما يرسل به النعيان يخط - أو قال: يتكهن - فقال أبو بكر: ألا أراني كنت أكل كهانة

النعيان منذ اليوم، ثم أدخل يده في حلقة فاستقاءه^(٣).

وعند أحمد في «الزهد» عن محمد بن فضيل، عن إسماعيل، عن قيس قال: كان لأبي بكر غلام، فكان إذا جاء بغلته، لم يأكل من غلته حتى يسأله، فإن كان شيئاً مما يحب أكل، وإن كان شيئاً يكره لم يأكل قال: فبني ليلة، فأكل ولم يسأله ثم سأله فأخبره أنه من شيء كرهه، فأدخل يده فتقياً حتى لم يترك شيئاً^(٤).

وعند أحمد في «الورع» عن إسماعيل، عن أيوب، عن ابن سيرين: لم أعلم أحداً استقاء من طعام غير أبي بكر فإنه أتي بطعام فأكل ثم قيل له جاء به ابن النعيان، قال فأطعمتموني كهانة ابن النعيان، ثم استقاء^(٥).

و«إسماعيل بن أبي أويس» ضعيفٌ عند الأكثر، ومُتَّهَمٌ بالوضع وسرقة الحديث عند البعض.

قال يحيى بن معين: هو وأبوه يسرقان الحديث. وقال مرة: مغلط يكذب، ليس بشيء.

(١) فضائل الصحابة لأحمد (٦٩٥) (١/٤٣٧).

(٢) الورع لابن أبي الدنيا (١١٨).

(٣) مصنف عبد الرزاق (١١/٢٠٩/٢١٠)، وفتح الباري (٧/١٥٤). وصححه الحافظ.

(٤) الزهد لأحمد (٥٦٦). قيس هو ابن أبي حازم.

(٥) الورع لأحمد (٣٠٨). قال الحافظ: رجاله ثقات لكنه مرسل. الفتح (٧/١٥٤).

وقال: لا يساوي فلسين.

وقال النسائي: ضعيف. وقال في موضع آخر: ليس بثقة.

وقال النضر بن سلمة المروزي: كذاب، كان يُحدث عن مالك بمسائل ابن وهب.

وقال ابن عدي: روى عن خاله مالك غرائب لا يُتابعه عليها أحد^(١).

وقال سلمة بن شبيب: سمعتُ إسماعيل بن أبي أويس يقول: ربما كنتُ أضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء فيما بينهم^(٢).

وكفى بهذا حجةً على ضعفه وسقوط حديثه، ولولا هيبة الصحيح لسقطت أحاديثه من درجة الاعتبار. لهذا قال الحافظ مدافعاً عنه: لعل هذا كان من إسماعيل في شببته ثم انصلح، وأما الشيخان فلا يُظنُّ بهما أنهما أخرجاه عنه إلا الصحيح من حديثه الذي شارك فيه الثقات^(٣).

وقال الأزدي: حدثني سيف بن محمد أن ابن أبي أويس كان يضع الحديث^(٤).

وقال الذهبي: كان عالم أهل المدينة، ومحدثهم في زمانه، على نقصٍ في حفظه وإتقانه، ولولا أن الشيخين احتجابه، لُزِحَ حديثه عن درجة الصحيح إلى درجة الحسن^(٥).

وتقدم أن البخاري روى له انتقاءً من صحيح حديثه الذي وافق فيه الثقات.

(١) الكامل لابن عدي (٣٢٤/١)، والضعفاء للعقيلي (٨٧/١)، وتهذيب الكمال للمزي (١٢٤/٣)، والميزان للذهبي (٣٧٩/١).

(٢) إكمال تهذيب الكمال (١٨٥/٢)، والسير (٣٩٤/١٠)، وتهذيب التهذيب (٣١٢/١).

(٣) تهذيب التهذيب (٣١٢/١). خلا حديثين أخرجهما البخاري عنه وهما مما انفرد به إسماعيل، وتقدم أنهما من صحيح حديثه، فله الحمد.

(٤) المحلى لابن حزم (٧٨/١١).

(٥) السير (٣٩٢/١٠).



ففي «مناقب البخاري» بسندٍ صحيحٍ أن إسماعيل بن أبي أُويسٍ أخرج للبخاري أصوله وأذن له أن ينتقي منها، وأن يُعلم له على ما يحدث به ليحدث به ويعرض عما سواه^(١).

وكان إسماعيلُ شديد الافتخار بما انتخبه البخاري من أحاديثه، ففي «تاريخ الخطيب» عن محمد بن أبي حاتم، قال: سمعت محمد بن إسماعيل، يقول: كان إسماعيل بن أبي أُويس إذا انتخب من كتابه، نسخ تلك الأحاديث لنفسه، وقال: هذه أحاديثُ انتخبها محمد بنُ إسماعيل من حديثي^(٢).

قال الحافظ في «مقدمة الفتح»: وهو مشعرٌ بأن ما أخرجه البخاري عنه هو من صحيح حديثه، لأنه كتب من أصوله، وعلى هذا لا يُحتج بشيءٍ من حديثه غير ما في الصحيح، من أجل ما قدح فيه النسائي وغيره، إلا إن شاركه فيه غيره فيُعتبر به^(٣).

وبناءً على ما قاله الحافظ، فما أخرجه مسلمٌ من حديث إسماعيل لا يُحتج به إلا فيما وافقه البخاري عليه، وذلك في حديثين:

الأول: قال البخاري: حدثنا إسماعيل بن أبي أُويس. وقال مسلم: حدثني غير واحد من أصحابنا، قالوا: حدثنا إسماعيل بن أبي أُويس. وهو حديث عائشة ترفعه: «أين المتألي على الله لا يفعل المعروف؟»^(٤).

(١) هدي الساري (ص ٣٩١). وقد يقال: إن إسماعيل قد اتهم بالكذب واعترف على نفسه بالوضع، فكيف صدّقه البخاري فيما انتخبه من أحاديثه أنها من مسموعاته ومروياته، مع احتمال أن يكون قد كذب فيها؟ والجواب: أن البخاري تحقق من صحة تلك الأحاديث من جهة أخرى، ورواها عن إسماعيل تحسناً للظن به لكونه صحيح الكتاب.

(٢) تاريخ بغداد (٣٣٩/٢)، وتقييد المهمل (٢٢/١).

(٣) هدي الساري (ص ٣٩١). وما ذكره الحافظ هنا يفيد أن بعض رجال الشيخين لم يجتازوا القنطرة على حد تعبير أبي الحسن المقدسي، وإنما خرج لهم في الصحيح انتقاء.

(٤) البخاري رقم (٢٧٠٥)، ومسلم رقم (١٥٥٧)، وانظر حاشية تدريب الراوي للشيخ محمد عوامة (٥٢٤/٢).



والثاني: حديث عائشة أيضاً: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرَدَ الحجَّ».

ورواه البخاري بلفظ: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ، وَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِحُجَّةٍ، وَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِحُجٍّ وَعُمْرَةٍ، «وأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج».

قال البخاري: حدثنا إسماعيل، حدثنا مالك مثله^(١).

وباقى الأحاديث مما لم يوافقه البخاري عليه لا يُحتج به فى الأصول، وهى خمسة أحاديث، أخرجها مسلمٌ فى المتابعات:

الأول: فى «كتاب اللعان» رقم (١٤٩٧)، عن أحمد بن يوسف الأزدي، عنه.

الثانى: فى «الآيمان» رقم (١٦٥٠)، عن زهير بن حرب، عنه.

والثالث: فى «الإمارة» رقم (١٩٢٧)، مقروناً بغيره.

والرابع: فى «لباس الخاتم» رقم (٢٠٩٤)، عن زهير بن حرب، عنه.

والخامس: فى «الفضائل» رقم (٢٤١٧)، عن عبيد الله بن محمد بن يزيد بن خنيس، وأحمد بن يوسف الأزدي، عنه.

فصح ما قاله الحافظ رحمه الله، واستفدنا من ذلك دقة حكم أئمتنا الناشئة عن الاطلاع الواسع والحفظ الباهر، فرحمة الله عليهم أجمعين.

قال ابن عبد الهادي فى «التنقيح»: وأصحابُ الصَّحيح إذا رَووا لمن قد تُكَلِّم فيه فإنَّهم ينتقون من حديثه ما لم ينفرد به، بل وافق فيه الثَّقات، وقامت شواهد صدقه^(٢).

(١) البخاري رقم (٤٤٠٤).

(٢) تنقيح التحقيق لابن عبد الهادي (٢٧٧/٣).

وقال الحافظ العلائي: حكم سائر الأحاديث التي خرَّجها صاحباً «الصحيحين» وفي إسناده من تُكَلَّم فيه من جهة حفظه، لم يُخرَّجها إلا وقد وجد لها متابعا، ومن تتبع هذا وجده^(١).

وقال ابنُ الملقن: قد عُلِمَ من عادة مسلمٍ وغيره من أهل الحديث أنهم يذكرون في المتابعات من لا يُحتجُّ به للتقوية لا للاحتجاج، ويكون اعتمادهم على الإسناد الأول، وهذا مشهورٌ معروفٌ عندهم^(٢).

✽ وُرُود الجرح في كُتُب الرجال غير مُفسَّر:

قال ابنُ الصلاح: ولقائل أن يقول: إنما يعتمد الناس في جرح الرواة ورَدَّ حديثهم، على الكُتُب التي صنفها أئمةُ الحديث في الجرح، أو في الجرح والتعديل. وقلما يتعرضون فيها لبيان السبب، بل يقتصرون على مجرد قولهم: فلانٌ ضعيف، وفلانٌ ليس بشيء، ونحو ذلك، أو: هذا حديثٌ ضعيف، وهذا حديثٌ غير ثابت، ونحو ذلك. فاشتراطُ بيانِ السبب يُفضي إلى تعطيل ذلك، وسدُّ بابِ الجرح في الأغلب الأكثر.

وجوابه: أن ذلك وإن لم نعتمده في إثبات الجرح والحكم به، فقد اعتمدناه في أن توقفنا عن قبول حديث مَنْ قالوا فيه مثل ذلك، بناءً على أن ذلك أوقع عندنا فيهم ريبةً يوجب مثلها التوقف.

ثم من انزاحت عنه الريبةُ منهم، يبحث عن حاله أوجب الثقة بعدالته، قبلنا حديثه ولم نتوقف، كالذين احتج بهم صاحباً «الصحيحين» وغيرهما، ممن مسَّهم مثلُ هذا الجرح ومن غيرهم، فافهم ذلك فإنه مخلص حسن^(٣).

(١) رفع الإشكال (ص ٤٨).

(٢) البدر المنير (١٥ / ٢).

(٣) مقدمة ابن الصلاح (ص ٢٩٢).



تنبيه: ينبغي أن يُفرَّق بين الرواة الذين احتجَّ بهم الشيخان في «صحيحهما» وبين من رويَا لهم فقط.

فالقسم الأول يُشترط فيهم السلامة من الجرح، فإن ذُكروا بشيءٍ من ذلك، ولو كان غير مفسَّر، وجب البحثُ عن قائله، والنظرُ في سببه، فإن ثبت بشروطه وقواعده، وجب حينئذٍ التوقف في الاحتجاج بخبر صاحبه حتى تنزاح عنه الريبة كما قال ابن الصلاح.

أما القسم الثاني، ممن لم يحتجَّ بهم في الأصول بل ذُكروا في المتابعات والشواهد والتراجم، ومنهم الثقاتُ ومنهم المجروحون بجرح مفسَّر، أو غير مفسَّر، فهؤلاء لا نحتاج إلى تكلف الدفاع عنهم، لأنهم ليسوا من شرط الكتابين.

الثالث: أن يكون أصلُ الحديث عندهما من رواية الثقات، فيَعْدَلانِ عنه لعلَّ الضعيف بحديثه، أو لنكتةٍ أخرى.

مثاله: رواية مسلم عن «سُوَيْدِ بْنِ سَعِيدِ الْحَدَثَانِي». وسويدٌ ضعيف.

قال الحاكم أبو أحمد: عَمِيَ في آخر عُمُرِهِ، فربما لُقِّنَ ما ليس من حديثه، فمن سمع منه وهو بصيرٌ فحديثه عنه حَسَنٌ.

وقال أبو حاتم: كان صدوقاً، وكان يدلّس ويُكثِّر ذلك، يعني: التدليس.

وقال البخاري: كان قد عَمِيَ فَتَلَقَّنَ ما ليس من حديثه.

وقال النسائي: ليس بثقةٍ ولا مأمون.

قال أبو داود: سمعتُ يحيى بنَ معين يقول: سويد بن سعيد حلالُ الدَّم.

وسُئِلَ عنه ابنُ المديني: فحرك رأسه وقال: ليس بشيء^(١).

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٤/ ٢٤٠)، وتاريخ بغداد (١٠/ ٣١٧)، وتهذيب الكمال (١٢/ ٢٥١).

وكان أبو زرعة يُسيء القول في سُويد بن سعيد، فلما رأى مسلماً أخرج له في كتابه اشتد إنكاره عليه، كما سندكره قريباً.

قال سعيد بن عمرو البرذعي: رأيتُ أبا زرعة يُسيء القول في سُويد بن سعيد، وقال: رأيتُ منه شيئاً ما يعجبني. قلتُ: ما هو؟ قال: لما قدمتُ من مصر مررتُ به فأقمت عنده. فقلت: إن عندي أحاديثَ لابن وهب عن ضمام وليست عندك. فقال: ذاكِني بها. فأخرجتُ الكتبَ وأقبلت أذاكره، فكلما كنتُ أذاكره كان يقول: حدثنا به ضمام.

وكان يدلّس حديثَ حريز بن عثمان، وحديثَ نيار بن مكرم، وحديثَ عبد الله بن عمرو: «زُرْ غِبًّا». فقلت: أبو محمّد لم يسمع هذه الثلاثة أحاديث من هؤلاء فغضب.

قال سعيد البرذعي: فقلتُ لأبي زرعة: فإيش حاله؟ قال: أما كُتِبَ فصحاح، وكنت أتتبع أصوله فأكتب منها، فأما إذا حدّث من حفظه فلا.

قال: وسمعت أبا زرعة يقول: قلنا ليحيى بن معين: إن سُويد بن سعيد يحدث عن ابن أبي الرجال، عن ابن أبي رَوَّاد، عن نافع، عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال في ديننا برأيه فاقتلوه». فقال يحيى: سُويد ينبغي أن نبدأ به فيُقتل^(١).

وكان يقول: لو كان لي فرسٌ ورمحٌ لكنت أغزو سُويد بن سعيد^(٢).

✽ إنكار أبي زرعة على مُسلم بن الحجاج روايته عن الضعفاء وجواب مُسلم عليه:

ذَكَرَ أبو زرعة كتابَ مسلم بن الحجاج، ثم قال كلاماً كان الواجب تركه، من ذلك: إنكاره روايته عن أسباط بن نصر، وقطن بن نُسير، وأحمد بن عيسى المصري، ممن وُصفوا

(١) الضعفاء لأبي زرعة (١٨٣/١٨٤)، وتهذيب الكمال (١٢/٢٥٣)، وتاريخ بغداد (١٠/٣١٧)، ومعجم البلدان (٢/٢٣٠).

(٢) المجروحين لابن حبان (١/٣٥٢)، والميزان (٣/٣٤٧).

بالضعف ومنهم من اتُّهم بالكذب.

ومن ذلك أيضاً قوله: إِنَّ وَضَعَ هذا الكتاب يطرق لأهل البدع علينا، فيجدوا السبيل بأن يقولوا للحديث إذا احتُج عليهم به: ليس هذا في كتاب الصحيح.

فلما بلغ مسلماً تشنيعُ أبي زرعة، قال: «إنما قلتُ صحيحٌ، وإنما أدخلتُ من حديث أسباط، وقطن، وأحمد، ما قد رواه الثقات، عن شيوخهم إلا أنه ربما وقع إليَّ عنهم بارتفاع، ويكون عندي من رواية من هو أوثق منهم بنزول، فأقتصر على أولئك، وأصلُ الحديث معروفٌ من رواية الثقات»^(١).

فصرح رحمه الله أنه إنما أدخل في كتابه من حديث الضعفاء ما وافقوا فيه الثقات، وعُذْرُهُ في ذلك أن الحديث يكون عنده من رواية الثقات بنزول فيرويه عن الضعفاء بعلو، ولا حرج في ذلك، لأن أصل الحديث صحيحٌ عنده من رواية الثقات.

وقال إبراهيم بنُ أبي طالب: قلتُ لمسلم: كيف استجزتَ الرواية عن سُويد في الصحيح؟ فقال: «وَمِنْ أَيْنَ كُنْتُ آتِي بنسخة حفص بنِ ميسرة؟».

وذلك أن مسلماً لم يرو عن أحدٍ ممن سمع من حفص بن ميسرة في الصحيح، إلا عن سُويد بن سعيد فقط. وقد روى في الصحيح عن واحدٍ عن ابن وهب عن حفص^(٢).

وحينئذٍ فلا يكون هذا مما نحن فيه، لأن نُسخة حفصٍ ثابتةٌ عنده، لكن بنزول، فكأن التخريج لسُويد فيما عدا الأصول^(٣).

(١) ضعفاء أبي زرعة (٢/٦٧٤/٦٧٧)، وصيانة صحيح مسلم (ص ٩٩)، وشرح مسلم للنووي (١/٢٥/٢٦).

(٢) المدخل إلى الصحيح (٤/١٣٣)، وميزان الاعتدال (٣/٣٤٧)، وشرح التبصرة والتذكرة (١/٣١٠)، وفتح المغيث للسخاوي (٢/١٨٥/١٨٦)، وفتح الباقي (١/٣١٠).

(٣) فتح المغيث للسخاوي (٢/١٨٦).



ولعله أراد بقوله: «وَمِنْ أَيْنَ كُنْتُ آتِي بِنُسخة حفص بن ميسرة؟» أي «بُعُلو» ولذلك زادها السيوطي في «التدريب»، وفي «البحر»^(١)، وهذا هو الظاهر، انظر صحيح مسلم رقم: (١٨٣)، و(٩٨٧)، و(١٥٧٩)، و(٢٥٩٨)، و(٢٧٦٩) و(٢٩٥٩).

أما إذا كان حديثُ سويدٍ عن حفصٍ ليس عالياً فإنه يذكره في المرتبة الثانية، انظر صحيح مسلم رقم: (١٦٥٤)، و(١٧٢٠)، و(٢٠٦٨).

ولسويد بن سعيد في «صحيح مسلم» نحو أربعين (٤٠) حديثاً، كلها في المتابعات والشواهد، إلا ثلاثة أحاديث وهي: «قال رجلٌ: لأتصدقن الليلة» رقم (١٠٢٢). وحديث: «مَنْ ذا الذي يتألى عليّ» رقم (٢٦٢١). وحديث: «رُبَّ أشعث» رقم (٢٦٢٢)، و(٢٨٥٤). وهذه الأحاديث الثلاثة كلها صحيحة.

فالحديث الأول: رواه البخاري رقم (١٤٢١)، والحديث الثاني: صحيحٌ أيضاً، سويد قد تابعه صالح بن حاتم بن وَرْدان عند أبي يعلى رقم (١٥٢٩)، وابن حبان رقم (٥٧١١) والطبراني في الكبير رقم (١٦٧٩)، وتابعه أيضاً هُرَيْم بن عبد الأعلى عند الطبراني في الكبير رقم (١٦٧٩)، وله شاهدٌ من حديث أبي هريرة رواه أبو داود رقم (٤٩٠١).

والحديث الثالث: صحيحٌ أيضاً، أخرجه ابن حبان رقم (٦٤٨٣) وفيه متابعة عبد الله بن وهب لسويد، وله شاهدٌ عن أنس رواه الطبراني في الأوسط رقم (٨٦١).

فائدة: قال الحافظ: «سويد بن سعيد» إنما احتجَّ به مسلمٌ فيما تُوبع عليه، لا فيما تفرَّد به^(٢).

وقال: وسويد وإن أخرج له مسلمٌ في «صحيحه» فقد ضَعَفَه الأئمة، واعتذر مسلمٌ عن تخريج حديثه بأنه ما أخرج له إلا ما له أصلٌ من رواية غيره، وقد كان مسلمٌ لقيه وسمع منه

(١) تدريب الراوي (٣٢٨/٢)، والبحر الذي زخر (٥٨٢/٢).

(٢) النكت لابن حجر (٢٧٥/١). وقوله: احتجَّ به مسلم: أي أخرج له.



قبل أن يعمى ويتلقن ما ليس من حديثه، وإنما كثرت المناكير في روايته بعد عماءه^(١).

والحاصل: أن مسلماً أخرج لسويد بن سعيد في المتابعات والشواهد ما تحقق أنه من صحيح حديثه، وذلك لأمرين:

الأول: أن أصل الحديث لم يقع له إلا من طريقه، وتحقق أنه من صحيح حديثه.

والثاني: أنه وقع له من طرق أخرى غيره، لكن طريق سويد عال وغيره نازل.

كما في روايته عنه نسخة حفص بن ميسرة، فهي نسخة معروفة مأمون أمرها، لأنها مكتوبة محفوظة.

وفي «شروط الأئمة الخمسة» للحازمي: يكون الحديث عند البخاري عالياً وله طرق بعضها من بعض، غير أنه يجيد أحياناً عن الطريق الأصح لنزوله، أو يسأم تكرار الطريق، إلى غير ذلك من الأعذار^(٢).

واعلم أن صاحب الصحيح تارة يكون أصل الحديث قد وقع له من رواية الضعيف ومن رواية غيره من الثقات، وتارة أخرى لا يقع له إلا من طريقه.

قال ابن رجب: اعلم أنه قد يُخَرَّج في الصحيح لبعض من تُكَلِّم فيه، إما متابعة واستشهاداً وذلك معلوم، وقد يُخَرَّج من حديث بعضهم ما هو معروف عن شيوخه من طرق أخرى، ولكن لم يكن وقع لصاحب الصحيح ذلك الحديث إلا من طريقه، إما مطلقاً أو بعلو^(٣).

رابعاً: أن يكون ضَعْفُ الضَّعِيفِ الذي اعتدَّ به طراً له بعد أخذه عنه.

مثاله: رواية مسلم عن «أحمد بن عبد الرحمن بن وهب المصري المعروف ببَحْشَل».

(١) النكت لابن حجر (١/٤١١).

(٢) شروط الأئمة الخمسة للحازمي (ص ١٨٤).

(٣) شرح علل الترمذي لابن رجب (٢/٧٠٨/٧٠٩).

وهو صدوقٌ تغيّر بأخـرة ثم رجع عنه.

قال أبو أحمد بن عدي: رأيتُ شيوخ أهل مصر الذين لحقـتهم مجـمعين على ضعفه، ومن كتب عنه من الغرباء غير أهل بلده لا يمتنعون من الرواية عنه. وكلُّ ما أنكروه عليه فيحتمل، ومن ضعفه، أنكر عليه أحاديث وكثرة روايته عن عمه^(١).

وقال أبو حاتم: كتبنا عنه، وأمره مستقيم، ثم خلط بعد، ثم جاءني خبره أنه رجع عن التخليط^(٢).

وقيل لمحمد بن خزيمة: لم رويـت عن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب وتركـت سفيان بن وكيع؟ فقال: لأنَّ أحمد بن عبد الرحمن لما أنكروا عليه تلك الأحاديث، رجع عنها عن آخرها إلا حديث مالك عن الزهري عن أنس: «إذا حضر العشاء» فإنه ذكر أنه وجدته في درج من كتـب عمه في قرطاس. وأما سفيان بن وكيع، فإن وراقه أدخل عليه أحاديث فرواها، وكلمناه فلم يرجع عنها، فاستخرت الله وتركـت الرواية عنه.

وقال الحاكم: فأما أحمد بن عبد الرحمن بن وهب فإننا لا نشك في اختلاطه بعد الخمسين وهو بعد خروج مُسلم من مصر، والدليل عليه أحاديثُ جُمعت عليه بمصر لا يكاد يقبلها العقلُ وأهلُ الصنعة من تأملها منهم عـلم أنها مخلوقةٌ أُدخلت عليه فقبلها^(٣).

تنبيه: قال الجياني في «تقييد المهمل»: يُقال: إن البخاري حدّث عنه في الجامع^(٤).

ورده مغلطاي وقال: زعم أبو علي الجياني في «تقييد المهمل» وقبـله أبو أحمد الحاكم: أن البخاري روى عنه، زاد صاحب الزهرة: تسعة أحاديث.

(١) الكامل لابن عدي (١/ ١٨٤).

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/ ٦٠).

(٣) المدخل إلى الصحيح (٤/ ١٢٣).

(٤) تقييد المهمل للجياني (٣١٠٩٠).



وأنكر ذلك الحاكم الصغير، فقال: من قال إن البخاري روى عنه فقد وهم، إذ البخاري المشايخ الذين ترك الرواية عنهم في الجامع قد روى عنهم في سائر مصنفاته، كابن صالح وغيره، وليس له عن بحشل هذا رواية في موضع.

فهذا يدل على أنه ترك حديثه أو لم يكتب عنه ألبتة^(١).

وفي «المدخل» للحاكم: روى عنه مسلم أحاديث كثيرة احتج بها في «المسند الصحيح»، قلت لأبي عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ: إنه يحدث عن أحمد بن عبد الرحمن؟ فقال: إن أحمد بن عبد الرحمن ابتلي بعد خروج مسلم من مصر.

قال الحاكم: فما يشبه حال مسلم معه إلا حال المتقدمين من أصحاب سعيد ابن أبي عروبة أنهم أخذوا عنه قبل الاختلاط فكانوا فيها على أصلهم الصحيح، فكذا مسلم أيضاً أخذ عنه قبل تغيره واختلاطه^(٢).

وقد صرح مسلم رحمه الله بأنه إنما أخذ عن أحمد بن عبد الرحمن قبل اختلاطه.

ففي «صيانة صحيح مسلم» عن إبراهيم بن أبي طالب قال: قلت لمسلم: قد أكثر في «الصحيح» عن أحمد بن عبد الرحمن الوهبي، وحاله قد ظهر، فقال: «إنما نَقَمُوا عليه بعد خروجي من مصر»^(٣).

خامساً: أن يكون الراوي إنما ضَعَفَ في شيوخ لم يمارس حديثهم.

قال أبو بكر الحازمي في «شروط الأئمة الخمسة»: مذهب من خَرَجَ الصحيح أن يعتبر حال الراوي العدل في مشايخه وفيمن روى عنهم وهم ثقات أيضاً، وحديثه عن بعضهم صحيح ثابت يلزمهم إخراجُه، وعن بعضهم مدخول لا يصلح إخراجُه إلا في الشواهد

(١) إكمال تهذيب الكمال لمغلطاي (١/٧٦).

(٢) المدخل إلى الصحيح (٤/١٢٣/١٢٦)، وصيانة صحيح مسلم (ص ٩٧).

(٣) صيانة صحيح مسلم (ص ٩٨)، وسير اعلام النبلاء (١٢/٥٦٨)، وحاشية تدريب الراوي (٢/٣٢٤).



والمتابعات.

وهذا بابٌ فيه غموضٌ، وطريقُه معرفةُ طبقات الرواة عن راوي الأصل ومراتب مداركهم. ولنوضح ذلك بمثال، وهو أن تعلم مثلاً أن أصحاب الزهري على طبقات خمس، ولكل طبقة منها مزية على التي تليها وتفاوت.

فالأولى: في غاية الصحة، نحو مالك، وابن عيينة، وعبيد الله بن عمر، ويونس، وعُقَيْل ونحوهم، وهي مقصد البخاري.

والثانية: شاركت الأولى في العدالة غير أن الأولى جمعت بين الحفظ والإتقان وبين طول الملازمة للزهري، حتى كان فيهم من يُزَامِلُهُ في السفر ويلزمه في الحضر، والثانية لم تُلازم الزهري إلا مدة يسيرة فلم تمارس حديثه، وكانوا في الإتقان دون الطبقة الأولى وهم شرط مسلم، نحو الأوزاعي، والليث بن سعد، والنعمان بن راشد، وعبد الرحمن بن مسافر، ونحوهم.

والثالثة: جماعة لزموا الزهري كالطبقة الأولى، غير أنهم لم يسلموا من غوائل الجرح، فهم بين الرد والقبول، وهو شرط أبي داود والنسائي، نحو سفيان بن حسين السُّلَمي، وجعفر بن بُرْقان، وعبد الله بن عمر العمري، وزَمْعَةُ بن صالح المكي، وغيرهم.

والرابعة: قوم شاركوا أهل الثالثة في الجرح والتعديل وتفرّدوا بقلة ممارستهم لحديث الزهري، لأنهم لم يُصاحبوا الزهري كثيراً، وهم شرط الترمذي، وفي الحقيقة شرط الترمذي أبلغ من شرط أبي داود لأن الحديث إذا كان ضعيفاً أو مَطْلَعُهُ من حديث أهل الطبقة الرابعة، فإنه يُبَيِّنُ ضعفه ويُنبِئُ عليه، فيصيرُ الحديث عنده من باب الشواهد والمتابعات، ويكون اعتماده على ما صح عند الجماعة، ومن هذه الطبقة إسحاق بن يحيى الكلبي، ومعاوية بن يحيى الصَّدَفِي، وإسحاق بن عبد الله بن أبي فروة المدني، وإبراهيم بن يزيد المكي، والمثنى

بن الصباح، ونحوهم.

الخامسة: قوم من الضعفاء والمجهولين لا يجوز لمن يُخَرِّج الحديث على الأبواب أن يُخَرِّج لهم إلا على سبيل الاعتبار والاستشهاد، وهم عند أبي داود فمن دونه، فأما عند الشيخين فلا، كبحر بن كَنِيز السَّقَّاء، والحكم بن عبد الله الأيُّلي، وعبد القدوس بن حبيب، ومحمد بن سعيد المصلوب، وغيرهم وقد يخرج البخاري أحياناً عن أعيان الطبقة الثانية، ومسلم عن أعلام الطبقة الثالثة، وأبو داود عن مشاهير الرابعة، وذلك لأسباب تقتضيه، وبهذا يُعْتَذَر لمسلم في إخراج حديث حمَّاد بن سَلَمَة، فإنه لم يخرج رواياته إلا عن المشهورين، كثابت البناني، وأيوب السَّخْتِيَّاني، وذلك لكثرة ملازمته ثابتاً وطول صحبته إياه، بخلاف أحاديث حمَّاد عن آحاد البصريين، فإن مسلماً لم يخرجها لكثرة ما يوجد في رواياته عنهم من الغرائب، ولقلة ممارسته لحديثهم.

وعلى هذا ينبغي أن يُسَبَّر حال الشخص في الرواية بعد ثبوت عدالته، فمهما حصل الفهم بحالة الراوي على النحو المذكور، وكان الراوي محتوياً على الشرائط المذكورة، تعين إخراج حديثه منفرداً به كان أو مشاركاً.

ولا يقال يلزم البخاري أن يخرج عن أعلام الطبقة الثانية لوجود الصحة، لأننا نقول هو لم يلتزم إخراج كل صحيح كما مر بيانه^(١).

وقسم الحافظ الذهبي من أخرج له الشيخان إلى قسمين:

أحدهما: ما احتجَّ به في الأصول. وثانيهما: من خرَّج له متابعةً وشهادةً واعتباراً. فمن احتجَّ به أو أحدهما، ولم يُوثَّق، ولا غُمِرَ، فهو ثقةٌ، حديثه قوي.

ومن احتجَّ به أو أحدهما وتكلَّم فيه:

(١) شروط الأئمة الخمسة للحازمي (ص ١٥٠ / ١٥٧).



فتارة يكون الكلام في تعنتاً، والجمهور على توثيقه، فهذا حديثه قوي أيضاً.
وتارة يكون الكلام في تليينه وحفظه له اعتبار، فهذا حديثه لا ينحط على مرتبة الحسن،
التي قد نُسِمِها: من أدنى درجات الصحيح.

فما في «الكتابين» بحمد الله رجلٌ احتجَّ به البخاري أو مسلمٌ في الأصول، ورواياته
ضعيفة، بل حسنة أو صحيحة.

ومن خرَّج له البخاري أو مسلم في الشواهد والمتابعات، ففيهم من في حفظه شيء، وفي توثيقه
تردد، فكلٌّ من خرَّج له في «الصحيحين» فقد قفز القنطرة، فلا مَعْدِلُ عنه إلا برهان بين^(١).

وقال ابن دقيق العيد في «الاقتراح»: وكان شيخ شيوخنا الحافظ أبو الحسن المقدسي
يقول في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح: «هذا جاز القنطرة»، يعني بذلك أنه لا يلتفت
إلى ما قيل فيه.

وهكذا نعتقد، وبه نقول، ولا نخرج عنه إلا ببيانٍ شافٍ، وحجةٍ ظاهرة^(٢).

وقد استدرك جماعة على البخاري ومسلم أحاديث أخلاً بشرطهما فيها، ونزلت عن درجة
ما التزمها، وقد ألف الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني في بيان ذلك كتابه المسمى
بـ «الإلزامات والتتبع» وذلك في مائتي حديث مما في الكتابين، ولأبي مسعود الدمشقي
أيضاً استدراك عليهما، ولأبي علي الغساني الجباني في كتاب تقييد المهمل في جزء العلل منه
استدراك أكثره من الرواة، وفيه ما يلزمهما، وقد أجيب عن ذلك كله أو أكثره^(٣). وصوبه
الحافظ، وقال: فإن منها ما الجواب عنه غير منتهض^(٤).

(١) الموقظة (ص ٧٩ / ٨٠).

(٢) الاقتراح (ص ٢٨٣).

(٣) الإكمال لعياض (١ / ٨٦)، وشرح مسلم للنووي (١ / ٢٧).

(٤) هدي الساري (ص ٣٤٦).

المبحث الخامس:

روايات المبتدعة في «الصحيحين»

ذهب أكثر أهل الحديث إلى قبول رواية المبتدع إذا لم يكن داعية إلى بدعته، أو روى ما يُقوّي بدعته، بشرط أن يكون ثقةً ثبّتاً، موصوفاً بالصدق والديانة، والورع والبعد عن خوارم المروءة.

قال الخطيب في «الكفاية»: وقال كثير من العلماء: تُقبل أخبار غير الدعاة من أهل الأهواء، فأما الدعاة فلا يُحتج بأخبارهم^(١).

وفي «شروط الأئمة» للحازمي: ذهب الأكثر إلى المنع إذا كان داعية، واحتملوا رواية من لم يكن داعية^(٢).

وفي «الصحيحين» من هذا الضرب شيء كثير، فقد روى الشيخان أو أحدهما لجماعة رُمُوا بالإرجاء^(٣)، كإبراهيم بن طهمان، وأيوب بن عائذ الطائي، وذو بن عبد الله المُرهبِي، وعبد المجيد بن عبد العزيز الأزدي، وغيرهم.

ولجماعة رُمُوا بالنَّصَب^(٤)، كحريز بن عثمان، وإسحاق بن سويد العدوي، وعبد الله بن سالم الأشعري، وغيرهم.

ولجماعة رُمُوا بالتَّشْيِيع^(٥)، كأبان بن تغلب، وخالد بن مخلد القطواني، وعبد الرزاق ابن

(١) الكفاية للخطيب (ص ١٢١).

(٢) شروط الأئمة الخمسة للحازمي (ص ١٥٠).

(٣) الإرجاء: هو اعتقاد أن الإيمان قول بلا عمل، وأن ترك العمل لا يضر مع الإيمان، وهو مذهب خبيث. والإرجاء الخفيف هو رجاء المغفرة لأهل الكبائر ردّاً على الخوارج وغيرهم الذين يكفرون الناس بالذنوب.

(٤) النصب: هو بغض علي رضي الله عنه والحمل عليه.

(٥) التشيع: هو تقديم علي على سائر الصحابة رضي الله عنهم.



همام الصنعاني، وعُبَيْدُ اللَّهِ بن موسى العَبْسِي، وغيرهم.

ولجماعة رُمُوا بِالْقَدَر^(١) كثور بن يزيد الحِمَصي، وحسان بن عطية المُحَارِبي، وداود بن الحُصَيْن الأموي، وغيرهم.

ولمن رُمِيَ ببدعة ورأي الخوارج كعمران بن حِطَّان. وغيره من أهل الأهواء.

وقد سرد أسماءهم الحافظ السيوطي في «التدريب»^(٢) فبلغ عددهم تسعة وسبعين رجلاً.

فائدة: ومما ينبغي التنبه له قبل إلصاق التهمة بأحد رواة الصحيحين، البحث عن صحة التهمة، واستمراره عليها حتى موته، ومدى غلوّه فيها، وهل هو من الدعاة إليها أو لا، وهل روايته هذه تؤيد بدعته أو لا، وكيف روى له صاحبُ الصحيح: احتجاجاً، أو متابعةً، أو مقروناً، أو تعليقاً. أفاده الشيخ المحقق محمد عوامة^(٣).

وفي «تاريخ نيسابور» للحاكم في ترجمة محمد بن يعقوب بن الأخرم: أن كتاب مُسلم ملآنٌ من الشيعة^(٤).

والجواب عما تقدم أن المعتمد عند أهل الحديث في قبولهم أخبار الرواة إنما هو التثبت في النقل مع صدق اللهجة، والاشتغال بالدين والورع.

قال الخطيب: وإنما احتجوا برواياتهم لما رأوا من تحريم الصدق، وتعظيمهم الكذب، وحفظهم أنفسهم عن المحظورات من الأفعال، وإنكارهم على أهل الريب والطرائق المذمومة، ورواياتهم الأحاديث التي تُخالف آراءهم، ويتعلق بها مخالفوهم في

(١) القَدَر: هو اعتقاد أن الله لم يقدر الشر.

(٢) تدريب الراوي (٤/١٣٩/١٤٣).

(٣) حاشية تدريب الراوي (٤/١٣٩/١٤٠).

(٤) الكفاية للخطيب (ص ١٣١)، شرح التبصرة والتذكرة (١/٣٣٢).

الاحتجاج عليهم^(١).

فالمبتدع إذا صحَّ حديثه، ولم يكن داعيةً إلى بدعته، أو روى ما يؤيدها، فالرواية عنه جائزة. وقد صرح الحافظ الجوزجاني بأن غير الداعية إذا لم يرو ما يُقوّي بدعته قُبِلَ: فقال في «أحوال الرجال»: «ومنهم زائغٌ عن الحق، صدوقٌ اللَّهجة، قد جرى في الناس حديثه، إذ كان مخذولاً في بدعته، مأموناً في روايته، فهؤلاء عندي ليس فيهم حيلة إلا أن يُؤخذ من حديثهم ما يُعرف إذا لم يُقوّ به بدعته فيتَّهم عند ذلك^(٢)».

وفي كتاب «الثقات» لابن حبان: ليس بين أهل الحديث من أئمتنا خلافٌ أن الصدوق المُتَقَنَّ إذا كان فيه بدعةٌ ولم يكن يدعو إليها، أن الاحتجاج بأخباره جائز^(٣).

فهؤلاء جماعةٌ من الرواة بين مُرجيٍّ وقَدَرِيٍّ وشِيعِيٍّ وناصِبِيٍّ غالٍ وخارجيٍّ أُخرجت أحاديثهم في «الصحيحين» وغيرهما، ووُثِّقوا كما سمعت، وهم قطرةٌ من رجال الكتب الستة الذين لهم هذه البدع، وحكموا بصحة أحاديثهم مع الابتداع الذي ليس وراءه وراء، وهل وراء بدعة الخوارج من شيء؟

قال الصنعاني: فهو دليلٌ ناهضٌ على إجماعهم على أن عُمدة قبول الرواية وعِلَّتُها حصولُ الظنِّ بصدق الراوي، وعدم تلوثه بالكذب^(٤).

وقال الحافظ في «مقدمة الفتح»: في ترجمة «خالد بن مخلد القطواني»: أما التشيع فقد قدّمنا أنه إذا كان ثَبَتَ الأخذ والأداء لا يضره، لا سيما ولم يكن داعيةً إلى رأيه^(٥).

(١) الكفاية (ص ١٢٥).

(٢) أحوال الرجال للجوزجاني (ص ٣٢).

(٣) الثقات لابن حبان (٦/ ١٤٠).

(٤) ثمرات النظر في علم الأثر للصنعاني (ص ١٢٩).

(٥) هدي الساري (ص ٤٠٠).



وقال الذهبي في «الميزان» في ترجمة «أبان بن تغلب»: شيعيٌ جلدٌ، لكنه صدوق، فلنا صدُّقه وعليه بدعته.

قال: والبدعة على ضربين: بدعة صغرى، كغلو التشيع^(١)، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف، فهذا كثيرٌ في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق.

فلو رُدَّ حديث هؤلاء لذهب جملةٌ من الآثار النبوية، وهذه مفسدةٌ بينة.

وبدعة كبرى، كالرَّفْض الكامل والغلو فيه، والحطُّ على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يُحتج بهم ولا كرامة.

فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم، هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب علياً رضي الله عنه، وتعرض لسبهم.

والغالي في زماننا وعرفنا، هو الذي يُكفِّر هؤلاء السادة، ويتبرأ من الشيخين أيضاً، فهذا ضالٌّ مُعَثِّر.

ولم يكن أبان بن تغلب يعرض للشيخين أصلاً، بل قد يعتقد علياً أفضل منهم^(٢).

قال الصنعاني: ومن ها هنا تعلم أن القول بأن مطلق التشيع بدعة ليس بصحيح، والقَدْحُ به باطلٌ، ولا قدح به حتى يُضاف إليه الرَفْض الكامل وسبُّ الشيخين رضي الله عنهما، وحينئذٍ فالقدح فيه بسبِّ الصحابي لا بمجرد التشيع^(٣).

وهذا الإمام مالك بن أنس رحمه الله، مع شدة تحريه في الرجال، قد روى عن بعض المبتدعة غير الدعاة، لكونهم لا يستحلون الكذب، ويتحرزون منه غاية التحرز.

(١) وكذا غلو النَّصْب، والرَّفْض، وبدعة الخوارج.

(٢) ميزان الاعتدال (١/١١٨/١١٩).

(٣) ثمرات النظر (ص ٩٧)، لأن التشيع بلا غلو هو موالة آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وحبهم رضي الله عنهم، وكلُّ ذلك واجبٌ شرعاً.

ففي كتاب «الطبقات» للبرقي: سئل مالك: كيف رويت عن داود بن الحصين وثور بن زيد، وذكر غيرهم، وكانوا يُرمون بالقدر؟ فقال: «إنهم كانوا لأنَّ يَحْرُوا

من السماء إلى الأرض أسهل عليهم من أن يكذبوا كذبة»^(١).

قال ابن عبد البر في «التمهيد»: كانا جميعاً يُنسبان إلى القدر وإلى مذهب الخوارج، ولم يُنسب إلى واحدٍ منهما كذبٌ.

وقال أبو داود السَّجِسْتَانِي: «ليس في أهل الأهواء أصحُّ حديثاً من الخوارج، ثم ذكرَ عِمْران بنَ حِطَّان وأبا حَسَّان الأعرج»^(٢).

وأخرج الشيخان لأيوب بن عائذ، وقد قال البخاري فيه: «كان يرى الإرجاء إلا أنه صدوق». فدلَّ كلامه أن المعبر عندهم صِدْقُ اللَّهْجَةِ وضبطُ الرواية.

قال ابن الصلاح في «المقدمة»: اختلفوا في قبول رواية المبتدع الذي لا يكفر في بدعته، فمنهم من ردَّ روايته مطلقاً، لأنه فاسقٌ بدعته، وكما استوى في الكفر المتأول وغير المتأول، يستوي في الفسق المتأول وغير المتأول، ومنهم من قبل رواية المبتدع إذا لم يكن ممن يستحل الكذب في نصرته مذهب أو لأهل مذهبه، سواء كان داعية إلى بدعته أو لم يكن، وعزا بعضهم هذا إلى الشافعي، لقوله: «أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية من الرافضة، لأنهم يرون الشهادة بالزور لموافقيهم».

وقال قومٌ: تُقبل روايته إذا لم يكن داعية، ولا تُقبل إذا كان داعيةً إلى بدعته، وهذا مذهب الكثير أو الأكثر من العلماء.

وحكى بعض أصحاب الشافعي خلافاً بين أصحابه في قبول رواية المبتدع إذا لم يدعُ إلى بدعته، وقال: أما إذا كان داعيةً فلا خلاف بينهم في عدم قبول روايته.

(١) التمهيد لابن عبد البر (٣١٠ / ٢)، وإكمال تهذيب الكمال لمغلطاي (١١٤ / ٣).

(٢) سؤالات الآجري لأبي داود رقم (١٢٩٦). الكفاية للخطيب (ص ١٣٠).



وقال أبو حاتم بن حبان البستي: الداعية إلى البدع لا يجوز الاحتجاج به عند أئمتنا قاطبة، لا أعلم بينهم فيه خلافاً^(١).

قال ابن الصلاح: وهذا المذهب الثالث أعدّها وأولاها، والأول بعيدٌ مباعد للشائع عن أئمة الحديث، فإن كُتِبَهم طافحةً بالرواية عن المبتدعة غير الدعاة وفي الصحيحين كثيرٌ من أحاديثهم في الشواهد والأصول^(٢).

وفي «مقدمة الفتح»: والمفسّق ببدعته كالخوارج والروافض الذين لا يغفلون وغير هؤلاء من الطوائف المخالفين لأهل السنة خلافاً ظاهراً لكنه مستند إلى تأويلٍ ظاهرٍ سائغ، فقد اختلف أهل السنة في قبول حديث من هذا سبيله، إذا كان معروفاً بالتحرز من الكذب مشهوراً بالسلامة من خوارم المروءة، موصوفاً بالديانة والعبادة، فقليل: يُقبل مطلقاً، وقيل: يُرد مطلقاً، والثالث: التفصيل بين أن يكون داعيةً أو غير داعية، فيُقبل غيرُ الداعية، ويُرد حديثُ الداعية، وهذا المذهب هو الأعدل، وصارت إليه طوائفٌ من الأئمة، وادعى ابنُ حبان إجماعَ أهل النقل عليه، لكن في دعوى ذلك نظر.

ثم اختلف القائلون بهذا التفصيل، فبعضُهم أطلق ذلك، وبعضُهم زاده تفصيلاً فقال: إن اشتملت رواية غير الداعية على ما يشيد بدعته ويزينه ويحسنه ظاهراً فلا تُقبل، وإن لم تشتمل فتُقبل، وطرد بعضهم هذا التفصيل بعينه في عكسه في حق الداعية، فقال: إن اشتملت روايته على ما يرد بدعته قبل، وإلا فلا، وعلى هذا إذا اشتملت رواية المبتدع، سواء كان داعية أم لم يكن، على ما لا تعلّق له ببدعته أصلاً هل تُرد مطلقاً أو تُقبل مطلقاً؟ مال أبو الفتح القشيري إلى تفصيل آخر فيه، فقال: إن وافقه غيره فلا يُلتفت إليه هو، إجماداً لبدعته وإطفاءً لناره، وإن لم يوافقه أحد ولم يوجد ذلك الحديث إلا عنده مع ما وصفنا من صدقه وتحزره عن الكذب واشتهاره بالدين وعدم تعلق ذلك الحديث ببدعته، فينبغي أن تُقدم

(١) الثقات لابن حبان (٦/١٤٠/١٤١).

(٢) مقدمة ابن الصلاح (ص ٢٩٨/٣٠٠).



مصلحةٌ تحصيل ذلك الحديث ونشر تلك السنة على مصلحة إهانته وإطفاء بدعته^(١).

وفي «إرشاد النقاد»: قد صحح الأئمة أحاديث جماعة رموهم بالقدر والإرجاء والنصب والتشيع، فأخرج البخاري لهشام الدستوائي وغيره، وأخرج مالك لداود بالحصين وثور بن يزيد، وكم في «الصحيحين» من جماعة صححوا أحاديثهم وهم قدرية وخوارج ومرجئة، وهذا قد يعده الواقف عليه تناقضاً، ويراه لما قرره معارضاً، ويفت عنده من عضد أئمة هذا الشأن، ويظن التصحيح صادراً عن مجازفة من غير إتقان، وليس الأمر كذلك، فإنه إذا حقق صنيع القوم وتبع طرائقهم وقواعدهم، نفى عنهم اللوم، وعلم أنهم أجل من ذلك قدراً وأدق نظراً، وأنصح لأهل الدين من جماعة الثغور المجاهدين، وأنهم لا يعتمدون بعد إيمان الراوي إلا على صدق لهجته وضبط روايته^(٢).

تنبيه: وقول ابن الصلاح: «مذهب الأكثر من العلماء، أن الداعية لا تقبل روايته». معترض بما في «الصحيحين» وغيرهما من رواية الدعاة، كـ«عدي بن ثابت»، فقد سئل عنه الدارقطني فقال: هو ثقة، إلا أنه كان رافضياً غالباً فيه^(٣).

ومن اعترض عليه الحافظ مغلطاي فقال: قد رأينا جماعة ممن حديثهم محتج به في الصحيح، كـ«عبد الحميد بن عبد الرحمن الحنماني»، حديثه عند الشيخين^(٤)، وقال أبو داود: كان داعيةً إلى الإرجاء. و«عمران بن حطان» حديثه عند البخاري، وزعم جماعة أنه من دعاة الشراة. قال أبو الفرج الأصبهاني في «تاريخه الكبير»: كان شاعراً فصيحاً من شعراء الشراة ودعاتهم، والمقدمين في مذهبهم، وكان من القعدة، لأن عمره طال فضعف عن الحرب وحضورها فاقصر على الدعوة والتحريض بلسانه^(٥).

(١) هدي الساري (ص ٣٨٥).

(٢) إرشاد النقاد للصنعاني (ص ١٢٤/١٢٦).

(٣) الإكمال لمغلطاي (٩/٢٠٢).

(٤) قال العراقي: لم يحتج مسلمٌ بعبد الحميد الحنماني، إنما أخرج له في «المقدمة». التقييد والإيضاح (ص ١٢٨).

(٥) إصلاح كتاب ابن الصلاح (ص ١٦٠)، والأغاني للأصبهاني (١٨/١٠٩). والشراة: فرقة من الخوارج.



وما قيل في «عمران بن حطان» أنه رجع عن بدعته، استبعده الحافظ ابن حجر، وقال: إنها أخرج له البخاري على قاعدته في تخريج أحاديث المبتدع إذا كان صادق اللهجة مُتَدِيناً^(١).

وقال في موضع آخر: فإن صح ذلك كان عُذْراً جَيِّداً وإلا فلا يضر التخريجُ عَمَّن هذا سبيله في المتابعات^(٢).

وبمثل ذلك يُعترض على الذهبي قوله: «إن أهل البدعة الكُبرى الحاطين على الشيخين، الدعاة إلى ذلك، لا يُقبلون ولا كرامة».

وقال شيخنا المحدث عبد العزيز الغماري: ويكفي في الدلالة على أن الشيعي محتجٌ بحديثه، مقبولُ الرواية إذا كان ثقةً، وأن هذا هو الذي عليه جماعة أهل الحديث واتَّفقت الأمةُ معهم في ذلك، إخراجُ البخاري ومسلم لحديثه، فإن ذلك دليلٌ على إطباق الأمة سلفها وخلفها على الاحتجاج بالشيعي، لإطباق الأمة على قبول حديث «الصحيحين» والاحتجاج بهما، والحكم عليهما بأنهما أصحُّ الكتب بعد القرآن^(٣).

والحاصل: أن رواية الشيخين عن أهل الأهواء مرجعُها إلى خمسة أمور:

الأول: أن الطعن بالبدعة لم يثبت، لضعف الجراح، أو معاصرته للمجروح، أو اختلافهما في المعتقد.

الثاني: كونُ صاحب البدعة رجع عن بدعته وتاب منها.

الثالث: كونه صادق اللهجة، ثقةً ثبتاً، مشهوراً بالدين والورع.

الرابع: أنها أخرجها له في الشواهد والمتابعات، وقد يخرجها له في الأصول لمتابعة غيره

(١) الفتح (١٠/٢٩٠).

(٢) هدي الساري (١/٤٣٣).

(٣) بيان نكت الناكث (ص ٣٢).

له، إما داخل الصحيح أو خارجه.

الخامس: أنها أخرجوا لغير الداعية، والرواية عنه جائزة.

السادس: أنها أخرجوا للداعية إلى بدعةٍ صغرى، كما قال الذهبي.

فائدة جليلة:

ولنختم هذا الفصلَ بفائدةٍ جليلةٍ من فوائد العلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله، إذ يقول في كتابه «قواعد التحديث»: ها هنا أمرٌ ينبغي التفطن له، وهو أن رجال الجرح والتعديل عَدُّوا في مصنفاتهم كثيراً ممن رُمِيَ ببدعة، وسندُهم في ذلك ما كان يُقال عن أحدٍ من أولئك أنه شيعي، أو خارجي، أو ناصبي، أو غير ذلك، مع أن القول عنهم بما ذكر قد يكون تقوُّلاً، وافتراءً، ومما يدل عليه أن كثيراً ممن رُمِيَ بالتشيع من رواة «الصحيحين» لا تعرفهم الشيعة أصلاً، وقد راجعتُ من كتب رجال الشيعة كتاب: «الكشي» و«النجاشي» فما رأيتُ مَنْ رماهم السيوطي نقلاً عما سَلَفَه بالتشيع في كتابه «التقريب»^(١) ممن خرَّج لهم الشيخان، وعدَّهم خمسةً وعشرين إلا راويين وهما، أبان بن تغلب، وعبد الملك بن أعين، ولم أرَ للبقية في ذينك الكتابين ذكراً، وقد استفدنا بذلك علماً مُهمّاً، وفائدةً جديدةً وهي أنه ينبغي الرجوعُ في المرمي ببدعةٍ إلى مصنفات رجالها، فَبِهَا يظهر الأصيلُ من الدَّخيل والمعروفُ من المنكور^(٢).



(١) يعني: شرح التقريب. واسمه: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي.

(٢) قواعد التحديث للقاسمي (ص ٢٠٣).

المبحث السادس: روايات المدلسين في «الصحيحين»

قال ابن الصلاح: «ما رواه المدلس بلفظٍ مُحْتَمِلٍ لم يبيّن فيه السماع والاتصال، حُكْمُهُ حُكْمُ المرسل وأنواعه، وما رواه بلفظٍ مبيّنٍ للاتصال نحو: سمعت، وحدثنا، وأخبرنا، وأشباهها، فهو مقبولٌ محتجٌّ به.

وفي «الصحيحين» وغيرهما من الكتب المعتمدة من حديث هذا الضرب كثيرٌ جداً، ك: قتادة، والأعمش، والسفيانين، وهشيم بن بشير، وغيرهم»^(١). زاد العراقي: «وعبد الرزاق، والوليد بن مسلم»^(٢).

وتعقبه بقوله: فاقضى كلامه أن من يقبلُ المرسلَ يقبلُ معنعنَ المدلس، وليس ذلك قول جميع من يحتجُّ بالمرسل، بل بعض من يحتجُّ بالمرسل يردُّ معنعنَ المدلس لما فيه من التهمة^(٣). وصرّح الخطيب في «الكفاية» بأن خبر المدلس مقبولٌ عند جمهور من قبل المراسيل من الأحاديث، وزعموا أن نهاية أمره أن يكون التدليسُ بمعنى الإرسال^(٤).

وكلامُ ابن الصلاح يُؤهِمُ أن ما في «الصحيحين» من رواية المدلسين كلّهُ مصرح فيه بالسماع وليس كذلك، بل في «الصحيحين» وغيرهما جملةٌ كثيرةٌ من أحاديث المدلسين بالعنعنة^(٥).

والذي ذهب إليه الجمهور أن ما في «الصحيحين» من رواية المدلسين بالعنعنة محمولٌ على السماع. وهو قول ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، والنووي (ت ٦٧٦هـ)، وقطب الدين

(١) مقدمة ابن الصلاح (ص ٢٣٥).

(٢) شرح التبصرة والتذكرة (١/ ١٨٦)، والتدريب (٣/ ٢٥٦).

(٣) التقييد والإيضاح (ص ٨١).

(٤) الكفاية (ص ٣٦١).

(٥) النكت لابن حجر (٢/ ٦٣٤ / ٦٣٥).

الحلبي (ت ٧٣٥هـ)، وغيرهم.

قال النووي في «الإرشاد»: ما كان في «الصحيحين» وغيرهما من الكتب الصحيحة عن المدلسين بعنٍّ محمولٍ على ثبوت سماعه من جهةٍ أخرى^(١).

وكذا قال الحافظ قطب الدين عبد الكريم الحلبي في «القدح المَعْلَى»^(٢): إن المعنعنات التي في الصحيحين مُنزَلةٌ مُنزَلةُ السماع.

ومنهم من جعل عنعنة المدلسين في «الصحيحين» كغيرها من معنعنات المدلسين خارج «الصحيحين»، وهو اختيار ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ)، وصدر الدين ابن المرحّل (ت ٧١٦هـ)، وغيرهما.

قال الشيخُ صدر الدين بنُ الوكيل، المعروف بابن المرحّل في كتابه «الإنصاف»: لَعَمْرُ اللَّهِ إن في النفس لَغُصَّةً من استثناء أبي عمرو بن الصلاح وغيره من المتأخرين عنعنة المدلسين في «الصحيحين» من بين سائر معنعنات المدلسين.

وَرَدَّ مقالة النووي وقال: «هي دعوى لا تُقبل إلا بدليل لا سيما مع أن كثيراً من الحفاظ يُعللون أحاديث وقعت في «الصحيحين» أو أحدهما بتدليس روايتها كما فعلوا في حديث الوليد بن مسلم في نفي قراءة البسملة في الصلاة وغيره».

قال الزركشي: قد أزال الغُصَّةَ الشيخُ الإمام تقيُّ الدين بنُ دقيق العيد فأشار في كلام له إلى استشكال حول رواية المدلس في «الصحيحين» ورد روايته في غيرهما، قال: «ولا بُدَّ من الثبات على طريقةٍ واحدةٍ، إمَّا القبول أو الرد، الممكن هنا من الأحوال الثلاثة: إما أن تُرد الأحاديث من المدلس مُطلقاً في «الصحيحين» وغيرهما، وإما أن تُقبل مُطلقاً تسويةً بين «الصحيحين» وغيرهما، وإما أن يُفرق بين ما في الصحيح من ذلك وما خَرَجَ عنه.

(١) إرشاد طلاب الحقائق (ص ٢١١)، والنكت لابن حجر (٢/ ٦٣٥).

(٢) القدح المَعْلَى في الاعتراض على «المحلى لابن حزم».



فأما الأول^(١)، فلا سبيل إليه، للاستقرار على ترك التعرض لما في «الصحيحين»، وإن خالف في ذلك الظاهرية من المغاربة، فإني رأيتهم يجسرون على أشياء من أحاديث «الصحيحين» بسبب كلام قيل في بعض الرواة، ولا يجعلون راويها في حمى من تخريج صاحب الصحيح لهم.

وأما الثاني^(٢)، ففيه خروج عن المذهب المشهور في أن رواية المدلس محكوم عليها بالانقطاع حتى يتبين السماع.

وأما الثالث^(٣)، وهو التفصيل بين ما في «الصحيحين» من ذلك وبين غيره، فلا يظهر فيه وجهٌ صحيحٌ في الفرق.

وغاية ما يُوجَّهُ به أحدُ أمرين:

أحدهما: أن يُدَّعى أن تلك الأحاديث عَرَفَ صاحبها الصحيح صحة السماع فيها، وهذا إحالة على جهالة، وإثبات للأمر بمُجرد الاحتمال، وحكمٌ على صاحب الصحيح بأنه يرى هذا المذهب، أعني أن رواية المدلس محمولة على الانقطاع، وإلا فيجوز أن يرى أنها محمولة على السماع حتى يظهر الانقطاع، وإذا جاز وجاز فليس لنا الحكم عليه بأحد الجائزين مع الاحتمال.

والثاني: أن يُدَّعى أن الإجماع على صحة ما في الكتابين دليلٌ على وقوع السماع في هذه الأحاديث، وإلا لكانت الأمة مجمعة على الخطأ، وهو ممتنع، وهذا يحتاج إلى إثبات الإجماع الذي يمتنع أن يقع في نفس الأمر خلاف مقتضاه، وهذا فيه عُسر، ونحن ما ادَّعينا، وإنما ادَّعينا أن الظن الثابت بسبب الإطباق على التصحيح لما في الكتابين أقوى من الظن المقابل له، ويلزم مَنْ سَلَكَ هذه الطريق ألا يستدل بما جاء في رواية المدلس من غير الصحيح، ولا

(١) وهو أن تُرد الأحاديث من المدلس مطلقاً.

(٢) وهو أن تُقبل مطلقاً.

(٣) وهو أن يُفرق بين ما في الصحيح وغيره.



يقول: هذا شرط مسلم فلنحتج به، لأن الإجماع الذي يُدعى ليس موجوداً فيما لم يُخرَج في غير الصحيح.

قال: والأقرب في هذا أن نطلب الجواب من غير هذا الطريق، أعني طريق القدح بسبب التدليس^(١).

وسأل الحافظُ تقي الدين السبكي الحافظُ أبا الحجاج المزي عما وقع في «الصحيحين» من حديث المدلسين مُعنعناً هل نقول إنها اطلّعا على اتصالها؟ فقال: «كذا يقولون، وما فيه إلا تحسينُ الظن بهما، وإلا ففيهما أحاديثُ من رواية المدلسين ما توجد من غير تلك الطريق التي في الصحيح، وما بقي إلا تحسين الظن بهما»^(٢).

وقال ابن رُشيد: تأوّل علماء الصنعة فيما وقع في «الصحيحين» من حديث مَنْ عُلِمَ بالتدليس ممن لم يبين سماعه في ذلك الإسناد الذي أخرجوا الحديث به، فظنوا بهما

ما ينبغي من حُسن الظن، والتماس أحسن المخرج، وأصوب المذهب، لتقدمهما في الإمامة وسعة علمهما وحفظهما وتمييزهما ونقدهما، أن ما أخرجوا من الأحاديث

عن هذا الضرب مما عرّفا سلامته من التدليس^(٣).

فائدة: ليست الأحاديثُ التي في «الصحيحين» بالعننة عن المدلسين كُلّها في الاحتجاج، فيُحمل كلامُهم هنا على ما كان منها في الاحتجاج فقط، أما ما كان في المتابعات، فيَحتمل أن

(١) النكت للزركشي (٢/٩٣/٩٧)، ونقله الحافظ في نكته مختصراً (٢/٦٣٥/٦٣٦)، والصنعاني في توضيح الأفكار (١/٣٥٥).

(٢) سؤالات الحافظ تقي الدين السبكي للحافظ أبي الحجاج المزي (ص ٣٤١) ضمن مجموع يضم ستة عشر كتاباً بخط الحافظ البوصيري، طبع بدار الحديث الثانية، وانظر النكت لابن حجر (٢/٦٣٦)، والنكت الوفية (١/٤٤٤)، وتدريب الراوي (٢/٤٢٥) و(٣/٢٦٥).

(٣) السنن الأبين لابن رشيد (ص ١٥٧/١٥٨).



يكون حَصَلَ التسامحُ في تخريجها كغيرها^(١).

واقترح الحافظ ابنُ حجر رحمه الله أن تُسَبَّر تلك الأحاديثُ بدراسةٍ دقيقة، لتكشف الحقيقة، ويندفع الاعتراض.

فقال: وأما دعوى الانقطاع فمدفوعةٌ عَمَّن أخرج لهم البخاري، لما عُلِمَ من شرطه، ومع ذلك فَحُكِّمَ من ذُكِرَ من رجاله بتدليسٍ، أو إرسال، أن تُسَبَّر أحاديثهم الموجودةُ عنده بالعننة، فإن وُجد التصريحُ بالسماع فيها اندفع الاعتراض، وإلا فلا^(٢).

وقد قام الدكتور عواد الخلف بتطبيق عملي لما اقترحه الحافظ ابنُ حجر، وذلك في بحثه المسمّى: «روايات المدلسين في صحيح البخاري». قال في خاتمته: أقول بعد هذا السبر والتحليل: نعم اندفع الاعتراض، والله الحمد والمنة.

وقال: إن هذا البحث تأكيدٌ لمن حمل عننة المدلس في الصحيح على الاتصال^(٣).

وذكر نحوه في بحثه الآخر المسمّى: «روايات المدلسين في صحيح مسلم»^(٤).

الموصوفون بالتدليس على مراتب خمسة:

لخصها الحافظ ابنُ حجر في كتابه «تعريف أهل التقديس» من كتاب «جامع التحصيل» للحافظ صلاح الدين العلائي.

الأولى: من لم يوصف بذلك إلا نادراً، كيحيى بن سعيد الأنصاري، وهشام بن عروة، وموسى بن عقبة^(٥).

(١) النكت لابن حجر (٢/٦٣٦)، وفتح المغيث للسخاوي (١/٣٢٦).

(٢) هدي الساري (ص ٣٨٤).

(٣) روايات المدلسين في صحيح البخاري (ص ٥٩١).

(٤) روايات المدلسين في صحيح مسلم (٦٦).

(٥) تعريف أهل التقديس (ص ٢٣/٢٤)، وجامع التحصيل (ص ١١٣).



قال الحافظ: وغالب رواياتهم مصرحة بالسماع، والغالب: أن إطلاق من أطلق ذلك عليهم فيه تجوّز من الإرسال إلى التدليس، ومنهم من يُطلق ذلك بناء على الظن، فيكون التحقيق بخلافه كما بينا ذلك في حق شعبة^(١).

وأهل هذه المرتبة عنعنّتهم محمولة على الاتصال، صرحوا بالسماع أولاً.

الثانية: من احتمل الأئمة تدليسه، وأخرجوا له في الصحيح وإن لم يصرح بالسماع، لإمامته وقلة تدليسه في جنب ما روى، كالثوري، أو كان لا يُدلس إلا عن ثقة، كابن عيينة. وأهل هذه المرتبة كالتى قبلهم.

الثالثة: مَنْ أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع، ومنهم من ردّ حديثهم مطلقاً، ومنهم من قبلهم، كأبي الزبير المكي.

الرابعة: من اتفق على أنه لا يُحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع، لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل، كبقية بن الوليد.

الخامسة: من ضَعَفَ بأمرٍ آخر سوى التدليس، فحديثهم مردودٌ ولو صرحوا بالسماع، إلا أن يوثق من كان ضعفه يسيراً، كابن لهيعة.

و بالنظر إلى الأمثلة السبعة التي مثل بها ابنُ الصلاح والعراقي نجد أن بعض هؤلاء من المرتبة الثانية وهم: سليمان الأعمش، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وعبد الرزاق. وواحدٌ من الثالثة وهو: قتادة بن دعامة السدوسي. وواحدٌ من الرابعة وهو: الوليد بن مسلم.

فأهل المرتبة الثانية مَنْ تحمّل الشيخان عنه تدليسه لإمامته وجلالته، أو لقلة تدليسه في جنب ما روى، أو لأنه لا يدلس إلا عن ثقة، وهؤلاء تُقبل رواياتهم بالعننة صرحوا بالسماع أو لا كما تقدم.

(١) قال أحمد: «ما كنتُ أظن أن شعبة يدلس». النكت لابن حجر (٢/ ٦٣٠ / ٦٣٧).

وأما أهل المرتبة الثالثة فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرّحوا فيه بالسماع، ومن هذه المرتبة: قتادة بن دعامه السدوسي.

ورواية شعبة عنه محمولة على السماع، لأنه كان لا يحمل عن شيوخه المعروفين بالتدليس إلا ما سمعوه.

قال شعبة: «كنتُ أتفقّد فَمَ قتادة، فإذا قال: حدثنا وسمعتُ حفظه، وإذا قال: حدث فلان تركته»^(١). وقال: «كفيتكم تدليس ثلاثة: الأعمش، وأبي إسحاق، وقتادة»^(٢).

ومجموع ما في «الصحيحين» من طريق شعبة عن قتادة بالعننة: خمسة وأربعون ومائة (١٤٥) حديث: منها ثلاثة وسبعون (٧٣) حديثاً في «صحيح البخاري»^(٣). واثنان وسبعون (٧٢) حديثاً في «صحيح مسلم»^(٤). وكلُّها في حكم الاتصال لما تقدم.

أما ما رواه قتادة بالعننة وهو من غير طريق شعبة: فثمانية وثمانون (٨٨) حديثاً في «صحيح البخاري»^(٥)، وثمانية وثمانون (٨٨) حديثاً في «صحيح مسلم»^(٦).

وإنما أخرجنا عنه لأمر منها:

— أن جميع هذه الأحاديث صرّح فيها قتادة بالسماع من جهاتٍ أخرى، إما داخل «الصحيحين» أو خارجهما.

— أن يكون الحديث موقوفاً لا مرفوعاً، أو مُعلقاً لا متصلاً، أو في المتابعات لا في

(١) الجرح والتعديل (١/١٦٩)، والمدخل للبيهقي (١/٢٥٦)، والكفاية (ص ٣٦٣).

(٢) المدخل للبيهقي (ص ٢٥٦)، والمعرفة له (١/١٥٢).

(٣) روايات المدلسين في صحيح البخاري (ص ٤٩٨).

(٤) روايات المدلسين في صحيح مسلم (ص ٢٨٣).

(٥) روايات المدلسين في صحيح البخاري (ص ٥٠٧).

(٦) روايات المدلسين في صحيح مسلم (ص ٢٩٣).



الأصول، فليس هو على شرط الشيخين.

— أن يُروى عن بقتادة مقروناً بغيره.

— أن يوجد له متابع^(١).

أما أهل المرتبة الرابعة، فقد اتَّفَق الأئمة على عدم الاحتجاج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسمع، ومن هذه الطبقة: الوليد بن مسلم الدمشقي.

والوليد معروفٌ بتدليس التسوية، مشهورٌ به، وهو من شر أنواع التدليس.

وصورته أن يروي المدلس حديثاً عن شيخ ثقةٍ بسندٍ فيه راوٍ ضعيف، فيحذفه المدلس من بين الثقتين اللذين لقي أحدهما الآخر، ولم يذكر أوَّلهما بالتدليس، ويأتي بلفظٍ محتمل، فيستوي الإسنادُ كله ثقات، ويصرح المدلس بالاتصال عن شيخه، لأنه قد سمعه منه، فلا يظهر في الإسناد ما يقتضي رده، إلا لأهل النقد والمعرفة بالعلل، ويصير الإسنادُ عالياً، وهو في الحقيقة نازل^(٢).

ومجموع أحاديث الوليد بن مسلم في «الصحيحين» كالتالي:

سبعةٌ وثلاثون (٣٧) حديثاً في «صحيح البخاري»، صرح بالسمع في ثلاثين (٣٠) حديثاً، وعنعن في سبعة (٧) أحاديث.

فالسبعة التي لم يصرح فيها بالسمع، بعضها مصرَّحٌ فيه بالسمع من جهاتٍ أخرى داخل «الصحيحين» أو خارجهما.

وبعضها في قوة المصرَّح فيه بالسمع، لكونه من روايته عن الأوزاعي. قال الحافظ ابن

(١) انظر ما كتبه الدكتور عواد الخلف في كتابه «روايات المدلسين في صحيح البخاري»، و«روايات المدلسين في صحيح مسلم».

(٢) فتح المغيث للسخاوي (١/٣٣٩).



حجر: وقد احتجوا به في حديثه عن الأوزاعي^(١).

وبعضها توبع الوليد عليه^(٢).

أما عدد أحاديثه في «صحيح مسلم» فواحد وأربعون (٤١) حديثاً، صرح بالسماع في اثنين وعشرين (٢٢) حديثاً، وعنن في تسعة عشر (١٩) حديثاً.

والروايات التي عنن فيها، منها ما ورد التصريح فيه بالسماع من طرق أخرى عند البخاري وغيره.

ومنها ما هو في قوة المصريح فيه بالسماع، لكونه من روايته عن الأوزاعي.

ومنها ما رواه في المتابعات والشواهد^(٣).

وأضيف هاهنا مثلاً آخر من هذا الباب، وهو: رواية مسلم أحاديث «أبي الزبير المكي عن جابر».

وأبو الزبير هو محمد بن مسلم بن تدرس مولى حكيم بن حزام، روى عن العبادلة الأربعة، وعن عائشة، وجابر، وأبي الطفيل، وغيرهم. وروى عنه عطاء وهو من شيوخه، والزهري، وأيوب، وأيمن بن نابل، وابن عون، والأعمش، وسلمة، وشعبة، ومالك، وغيرهم.

قال يحيى بن معين: ثقة، وقال مرة: صالح. وقال النسائي: ثقة.

وقال ابن عدي: حدث عنه شعبة أحاديث أفراداً، كل حديث ينفرد به رجل عن شعبة. وروى مالك عن أبي الزبير أحاديث، وكفى بأبي الزبير صدقاً أن يحدث عنه مالك، فإن

(١) هدي الساري (ص ٤٥٠).

(٢) روايات المدلسين في صحيح البخاري (ص ٥٨٨).

(٣) روايات المدلسين في صحيح مسلم (ص ٤٥٩).

مالكا لا يروي إلا عن ثقة^(١).

وعن سفيان قال: سمعتُ أبا الزبير يقول: كان عطاء يُقدمني إلى جابر أحفظ لهم الحديث.

وعن عطاء قال: كنا إذا خرجنا من عند جابر بن عبد الله تذاكرنا حديثه، فكان أبو

الزبير من أحفظنا للحديث^(٢).

ولم ينصف من ضعفه، فإنه كان ثقةً حافظاً مكثراً.

قال سفيان: كان أبو الزبير لا يخضب، وكان ثقةً كثير الحديث، إلا أن شعبة تركه لشيء زعم أنه رآه فعله في معاملة، وقد روى عنه الناس^(٣).

قال ورقاء: قلتُ لشعبة: ما لك تركت حديث أبي الزبير؟ قال: رأيته يزن ويسترجح في الميزان^(٤).

وقال ابن حبان: لم ينصف من قدح فيه، لأن من استرجح في الوزن لنفسه لم يستحق الترك لأجله^(٥).

أما التدليس فقد وصفه به غير واحدٍ من الأئمة.

قال الذهبي في «تذكرة الحفاظ»: الحافظ المكثّر الصدوق .. وقال غير واحدٍ هو مُدَلِّسٌ، فإذا صرح بالسمع فهو حجة. وأخرج له البخاري مقروناً بآخر، وحديثه

(١) الكامل لابن عدي (١٢٦/٦).

(٢) المعرفة والتاريخ للفسوي (٢٣/٢٢/٢).

(٣) إكمال تهذيب الكمال لمغلطاي (٣٣٦/١٠).

(٤) الضعفاء للعقيلي (١٣٠/٤).

(٥) الثقات لابن حبان (٣٥٢/٥).



عن عائشة في «صحيح مسلم»^(١) وما أراه لقيها^(٢).

وقال الحافظ في «مقدمة الفتح»: أحد التابعين مشهور، وثقه الجمهور، وضعفه بعضهم لكثرة التدليس وغيره، ولم يرو له البخاري سوى حديث واحد في البيوع قرنه بعطاء عن جابر، وعلق له عدة أحاديث، واحتج به مسلم والباقون^(٣).

وذكره في «الفتح» في القسم الثاني ممن ضعف، وهي طبقة من ضعف بأمر مردود كالتحامل، أو التعنت، أو عدم الاعتماد على المضعف لكونه من غير أهل النقد، ولكونه قليل الخبرة بحديث من تكلم فيه، أو بحاله، أو لتأخر عصره، ونحو ذلك^(٤).

وذكره في «طبقات المدلسين» في المرتبة الثالثة من مراتب الموصوفين بالتدليس^(٥).

وقال البرهان الحلبي في «التبيين»: مشهور بالتدليس^(٦).

وفي «المعرفة والتاريخ»: قال ابن بكير: وأخبرني حبيش بن سعيد، عن الليث بن سعد قال: جئت أبا الزبير، فأخرج إلينا كُتُبًا، فقلت: سماعك من جابر؟ قال: ومن

غيره. قلت: سماعك من جابر؟ فأخرج إلي هذه «الصحيفة»^(٧).

ولهذا توقف جماعة من الأئمة عن الاحتجاج بما لم يروه الليث عن أبي الزبير عن جابر بلفظ «عن».

(١) ليس له في «صحيح مسلم» رواية عن عائشة. قال البخاري: في سماعه من عائشة نظر. العلل الكبرى للترمذي (٢٣٠).

(٢) تذكرة الحفاظ (١/٩٥).

(٣) هدي الساري (ص ٤٤٢).

(٤) هدي الساري (ص ٤٦٣).

(٥) تعريف أهل التقديس (ص ١٠٨).

(٦) التبيين لأسماء المدلسين (ص ٥٤).

(٧) المعرفة والتاريخ (١/١٦٦)، والجامع للخطيب (٢/٢٠٥) (١٦٢٦).

قال ابن حزم في «المحلى»: كُلُّ ما رواه الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر فقد سمعه أبو الزبير من جابر.

ثم أسند من طريق سعيد بن أبي مریم، قال: حدثنا الليث بن سعد، قال: قدمت على أبي الزبير فدفعت إليّ كتابين فسألته: كل هذا سمعته من جابر بن عبد الله؟ فقال: منه ما سمعتُ ومنه ما حدثتُ. فقلت: أعلم لي على كل ما سمعتُ منه فأعلم لي على هذا الذي عندي^(١).

وفي رواية: قال الليث: أتيت أبا الزبير، فقلت له: أخرج إلي كتاب جابر، فأخرج إلي عن جابر كتابين، فقلت له: سمعتهما منه؟ قال: بعض سمعتُ، وبعض لم أسمع، فقلتُ له: علم لي على ما سمعتُ، فعلم لي على شيء، قال أبو جعفر الوراق البستي: فكانت نحواً من ثلاثين^(٢).

ومنهم من نفى عنه تهمة التدليس، وهو ظاهرٌ من رواية حُبِيش بن سعيد المتقدمة.

ويؤيده ما ذكره زكريا السَّاجِي قال: بلغني عن يحيى بن معين أنه قال: استحلف شعبه أبا الزبير بين الرُّكن والمقام: ألهم إنك سمعتَ هذه الأحاديث من جابر؟ فقال: الله إني سمعتها من جابر. يقوله ثلاث مرارٍ يُردها عليه^(٣).

ومن أجل ما وصفوه به من التدليس اتَّقى البخاري روايته عن جابر، فلم يرو له سوى حديثٍ واحدٍ في البيوع^(٤)، قرنه بعطاء عن جابر، وعلَّق له عدة أحاديث^(٥).

فلعل البخاري لم يخرج له من أجل كلام شعبه فيه، فتركه متابعة لشعبه^(٦).

(١) المحلى (٩٩/١٠)، والضعفاء للعقيلي (١٣٣/٤)، والكامل لابن عدي (١٢٤/٦).

(٢) بيان الوهم والإيهام (٣٢١/٤). وفي «صحيح مسلم» منها: اثنان وعشرون حديثاً.

(٣) إكمال تهذيب الكمال (٣٣٧/١٠)، وتهذيب التهذيب (٤٤٣/٩).

(٤) صحيح البخاري رقم (٢١٨٩).

(٥) مقدمة الفتح (ص ٤٤٢).

(٦) تنبيه المسلم (ص ٤٢).



وقال الحافظ العلائي: وفي «صحيح مسلم» عدة أحاديث مما قال فيه أبو الزبير عن جابر وليست من طريق الليث، وكأن مسلماً رحمه الله اطلع على أنها مما رواه الليث عنه وإن لم يروها من طريقه^(١).

قال شيخنا المحدث عبد العزيز الغماري: وهذا غير بعيد، وإنما أسقط مسلم ذكر الأسانيد التي تبين ذلك اختصاراً، أو يكون وقع لمسلم التصريح من أبي الزبير بالسماع لها من جابر من طرق أخرى، فارتفع بذلك عنده الخوف من تدليسها. ثم ذكر قصة استحلاف شعبة أبا الزبير بين الركن والمقام. ثم قال: فهذا إخبارٌ منه بأنه سمع جميع الأحاديث عن جابر، لأن شعبة سألته عن جميع أحاديثه عن جابر.

فيظهر أن هذا اعتماد مسلم رحمه الله في تخريج عنعنة أبي الزبير في «صحيحه»^(٢).

ومن سلك هذا المسلك أيضاً ابنُ حبان في «صحيحه» فإنه ذكر عدة أحاديث من رواية أبي الزبير عن جابر بالعنعنة وليست من رواية الليث عنه. لوقوع التصريح بالسماع فيها من طرق أخرى. فقد صرح بذلك في مقدمة «صحيحه» فقال:

فإذا صح عندي خبرٌ من رواية مدلسٍ أنه بيّن السماع فيه، لا أبالي أن أذكره من غير

بيان السماع في خبره بعد صحته عندي من طريق آخر^(٣).

و جملة ما لأبي الزبير عن جابر في «صحيح مسلم»: مائتا حديث وأربعة أحاديث (٢٠٤). تسعة وتسعون (٩٩) حديثاً منها صرح فيها بالسماع، والباقي بالعنعنة وهي (١٠٥) أحاديث.

اثنان وعشرون (٢٢) حديثاً منها من طريق الليث عنه. وثلاثة وثمانون (٨٣) حديثاً من

(١) جامع التحصيل (ص ١١٠)، والتبيين لأسماء المدلسين (ص ٥٤).

(٢) التأنيس بشرح منظومة الذهبي في أهل التدليس (ص ٥٣).

(٣) ترتيب صحيح ابن حبان (١/١٦٢).

غير رواية الليث عنه^(١).

وهذه المعنعات التي ليست من طريق الليث، توقف فيها بعضهم.

وقال الذهبي: في القلب منها شيء^(٢).

وبعد التتبع نجد أن مسلماً إنما أخرج لأبي الزبير عن جابر لأموه ترجح بها عنده
صحّة روايته:

الأول: أن أبا الزبير لم ينفرد بروايته بل وُجد له عاضدٌ من متابعٍ أو شاهد. الثاني: أن
الحديث في المتابعات والشواهد لا في الأصول. الثالث: ثبوت التصريح بالسماع من أبي
الزبير عن جابر إما داخل الصحيح أو خارجه. الرابع: أنها من طريق الليث عنه، وما رواه
الليث عنه سمعه من جابر. الخامس: أنها بمنزلة المصرح فيها بالسماع كالتى أخرجها ابن
حبان في صحيحه.

والحاصل: أن ما في «الصحيحين» من روايات المدلسين بالعنعة خمسة أقسام:

القسم الأول: تحملاً عنه تدليسه ولم يرياه مُخلاً بصحة الحديث على شرطهما، ولا من
مقتضيات ردّه، كمن لم يوصف به إلا نادراً.

والثاني: تحملاً عنه تدليسه لإمامته وجلالته، أو لقلّة تدليسه في جنب ما روى، أو أنه لا
يدلس إلا عن ثقة.

والثالث: بُحِثَ رواياتهم فوجدَ التصريحُ فيها بالسماع من جهاتٍ أخرى داخل
«الصحيحين» أو خارجهما.

والرابع: عنعناتهم في قوة المصرّح فيها بالسماع.

(١) روايات المدلسين في صحيح مسلم (ص ٣٢٣).

(٢) ميزان الاعتدال (٦/ ٣٣٥).



والخامس: أخرجوا لهم في المتابعات والشواهد لا في الأصول.

وبعد هذه النتائج يُنظر في قول الحافظ المزي رحمه الله: «فيها أحاديث من رواية المدلسين ما توجد من غير تلك الطريق التي في الصحيح»^(١).

وقول شيخ مشايخنا الحافظ أحمد الغماري رحمه الله: أما ادعاء كون جميع ما وقع في «الصحيحين» عن المدلسين بدون تصريح بالسماع ورد مسموعاً خاصاً، فادعاءً دون إقامة الدليل عليه خرطُ القتاد^(٢).

فائدة: فإن قيل: لم اختار الشيخان طرق العنعنة على غيرها؟ فالجواب: أن اختيار صاحبي «الصحيحين» لطريق العنعنة على الطريق المصراحة بالسماع لكون المصراحة ليست على شرطهما^(٣).



(١) تقدم قريباً.

(٢) إبراز الوهم المكنون لأحمد بن الصديق (ص ١١٨).

(٣) النكت الوفية (١/ ٤٤٥)، وتدريب الراوي (٣/ ٢٦٦).

المبحث السابع: روايات المختلطين في «الصحيحين»

الاختلاط جرحٌ يُرد به حديثُ الراوي المختلط إذا رُوي عنه بعد اختلاطه.

قال ابن الصلاح: والحكمُ في المختلطين أنه يُقبل حديثٌ من أخذ عنهم قبل الاختلاط، ولا يُقبل حديثٌ من أخذ عنهم بعد الاختلاط، أو أشكل أمره فلم يدر هل أخذ عنه قبل الاختلاط أو بعده^(١).

أما ما وقع من رواية المختلط في «الصحيحين» أو أحدهما فهو محمولٌ على ما سُمع منه قبل اختلاطه.

قال ابن الصلاح: واعلم أن من كان من هذا القبيل مُحْتَجًّا بروايته في «الصحيحين» أو أحدهما، فإننا نعرف على الجملة، أن ذلك مما تميز وكان مأخوذاً قبل الاختلاط^(٢).

وفي «فتح المغيث» للسخاوي: وما يقع في «الصحيحين» أو أحدهما من التخريج لمن وُصف بالاختلاط من طريق من لم يسمع منه إلا بعده، فإننا نعرف على الجملة أن ذلك مما ثبت عند المخرج أنه من قديم حديثه، ولو لم يكن من سمعه منه قبل الاختلاط على شرطه ولو ضعيفاً يعتبر بحديثه فضلاً عن غيره، لحصول الأمن به من التغير، كما تقدم مثله فيما يقع عندهما اجتماعاً وانفراداً من حديث المدلس، بالعننة^(٣).

قال العراقي: وذلك من تحسين الظن بهما، لتلقى الأمة لهما بالقبول، كما قيل فيما وقع في كتابيهما أو أحدهما من حديث المدلسين بالعننة^(٤).

(١) مقدمة ابن الصلاح (ص ٦٦٠).

(٢) المصدر السابق (ص ٦٦٤).

(٣) فتح المغيث للسخاوي (٤/٤٥٩/٤٦٠).

(٤) التقييد والإيضاح (ص ٣٩١).



ومن رجال «الصحيحين» المختلطين: «سعيد بن أبي عروبة»، احتج به الشيخان.

قال يحيى بن معين: اختلط سعيد بن أبي عروبة بعد هزيمة إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فمن سمع منه سنة اثنتين وأربعين - يعني ومئة - فهو صحيح السماع، ومن سمع منه بعد ذلك فليس بشيء^(١).

وقال ابن حبان: اختلط سنة خمس وأربعين ومائة، وبقي خمس سنين في اختلاطه، وأحبُّ إليَّ أن لا يُحتج به إلا بما روى عنه القدماء قبل اختلاطه، مثل ابن المبارك، ويزيد بن زريع، وذويهما، ويُعتبر برواية المتأخرين عنه دون الاحتجاج بها^(٢).

وقال عبد الرحمن بن إبراهيم دُحَيْم: إن سعيداً اختلط مخرج إبراهيم سنة خمس وأربعين ومائة^(٣).

وفي تحديد وقت اختلاطه خلافٌ يُستفاد منه طولُ مدة اختلاطه.

قال الأبناسي: وأما مدة اختلاطه فقليل: خمس سنين، وقال صاحب «الميزان»:

ثلاث عشرة سنة، وقال في العبر: عشر سنين^(٤).

وفي «سؤالات الآجري»: سألت أبا داود: عن سماع وكيع فقال: بعد الهزيمة، وسمعت صالحاً الخندقي قال: سمعت وكيعاً قال: كنا ندخل على سعيد فنسمع، فما كان من صحيح حديثه أخذناه، وما لم يكن صحيحاً طرحناه^(٥).

وكان سعيد بن أبي عروبة من أثبت الناس في قتادة.

(١) الكامل لابن عدي (٣/ ٣٩٤).

(٢) الثقات لابن حبان (٦/ ٣٦٠)، وإكمال تهذيب الكمال (٥/ ٣٣٠).

(٣) تاريخ أبي زرعة (١/ ٤٥٢).

(٤) الشذا الفياح (٢/ ٧٥٦)، وميزان الاعتدال (٣/ ٢٢٠)، والعبر (١/ ١٧٣).

(٥) تهذيب الكمال للزمري (١١/ ١٠)، وإكمال تهذيب الكمال لمغلطاي (١٢/ ٢٢٧).



وترجمه الحافظ في «مقدمة الفتح» وقال: لم يُخرج له البخاري عن غير قتادة سوى حديث واحدٍ أورده في «كتاب اللباس» من طريق عبد الأعلى عنه، قال: سمعت النضر بن أنس يحدث عن قتادة، عن ابن عباس فذكر حديث: «من صَوَّرَ صورة» وقد وافقه على إخراجهِ مسلم، ورواه أيضاً من حديث هشام، عن قتادة، عن النضر، وأما ما أخرجه البخاري من حديثه عن قتادة، فأكثره من رواية مَنْ سمع منه قبل الاختلاط، وأخرج عَمَّنْ سمع منه بعد الاختلاط قليلاً، كمحمَّد بن عبد الله الأنصاري [خ]، وروح بن عبادة [خ م]، وابن أبي عدي [خ م]، فإذا أخرج من حديث هؤلاء انتقى منه ما توافقوا عليه^(١).

ولنأخذ مثلاً واحداً ليتضح به هذا الحكم، وهو: رواية البخاري لمحمَّد بن أبي عدي عن سعيد بن أبي عروبة، وهو ممن سمع منه بعد الاختلاط.

قال أحمد: كان يحيى بن سعيد يقول: جاء ابنُ أبي عدي إلى سعيد بن أبي عروبة بآخره. يعني وهو مختلط^(٢).

وفي «صحيح البخاري» من رواية ابن أبي عدي عن سعيد: أربعة أحاديث.

الأول: حديث أنس رقم (٧١٠): «إني لأدخل في الصلاة، فأريد إطالتها».

والثاني: حديث أنس رقم (١٠٣١): «كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء».

والثالث: حديث أنس رقم (٣٠٦٤): «أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه رِعل، وذَكوان، وعُصَيَّة، وبنو لحِيان، فزعموا أنهم قد أسلموا».

والرابع: حديث أنس رقم (٣٥٧٢): «أُتي النبي صلى الله عليه وسلم بإناء، وهو بالزوراء، فوضع يده في الإناء، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه».

(١) هدي الساري (ص ٤٠٦).

(٢) العلل ومعرفة الرجال لأحمد رواية ابنه عبد الله رقم (٦٧١)، وشرح علل الترمذي (٢/ ٥٦٧).



فالحديث الأول: رواه البخاري من طريقين آخرين عن أنس، وفيهما مُتَابَعَتَان لابن أبي عدي:

الأولى رقم (٧٠٨): وهي مُتَابَعَةٌ قاصرة، من طريق سليمان بن بلال، عن شريك ابن عبد الله، عنه.

والثانية رقم (٧٠٩): وهي مُتَابَعَةٌ تامة، من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة، عنه. ووافقه مسلمٌ على إخراجها رقم (٤٧٠).

ويزيد بن زريع من أثبت الناس في سعيد، وسماعه منه قديم.

ورواه أيضاً من طريق يحيى بن أبي كثير، عن عبد الله بن أبي قتادة الأنصاري، عن أبيه، رقم (٨٦٧) وهو شاهدٌ صحيح.

وبهذه المتابعات من داخل الصحيح، يزول ما كان يُخشى من سوء حفظه وتخليطه، ويتضح أن ما رواه البخاري عنه هو من صحيح حديثه.

الحديث الثاني: رواه البخاري رقم (٣٥٦٥) من طريق آخر عن يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة. وفيه متابعة يزيد لابن أبي عدي، وتقدم أن سماع يزيد من سعيد صحيح. وتابعه أيضاً عبد الأعلى كما في مسلم رقم (٨٩٥).

الحديث الثالث: رواه البخاري من طريق ابن أبي عدي مقروناً بسهل بن يوسف.

ورواه من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة عن أنس رقم (٤٠٩٠). ومن طريق همام، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عنه رقم (٤٠٩١). ومن طرق أخرى.

الحديث الرابع: رواه البخاري من عدة طرق عن أنس، من طريق مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عنه رقم (١٦٩). ومن طريق عبد الله بن بكر، عن حميد، عنه رقم (١٩٥). ومن طريق حماد، عن ثابت، عنه رقم (٢٠٠).



ومن خلال هذا المثال يتضح صحة ما قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله، أن البخاري إذا أخرج من حديث من روى عن سعيد بعد الاختلاط، انتقى منه ما توافقوا عليه^(١).

وفي «صحيح مسلم» من رواية ابن أبي عدي عن سعيد: ستة عشر حديثاً (١٦).

وأرقامها كالتالي: (١٨)، (١٢٧)، (١٦٤)، (١٩٣)، (٣٩١)، (٣٩٨)، (٤٢٥)، (٦٢٧)، (٧٩٨)، (٨٩٥)، (٩٢٧)، (٩٤٦)، (١٣٣٩ / ٨٢٧)، (١٦٢٢)، (١٩٦٦)، (٢٩٥٧). وليس فيها رواية أصل، إلا موضع واحد رقم (١٦٤)، ذكر له متابعا بعده، والباقي كلها متابعات.

والحاصل: من خلال هذا المثال، أن الشيخين لم يخرجوا من حديث المختلط عمّن روى عنه بعد الاختلاط إلا ما تحقق أنه من صحيح حديثه قبل الاختلاط.

وقد يخرجان من رواية من سمع منه بعد الاختلاط انتقاءً من صحيح حديثه الذي وافقه الثقات عليه، والانتقاء من أحاديث المختلطين معروف عند الحفاظ، شائع بينهم.

قال وكيع: كُنَّا نَدْخُلُ عَلَى سَعِيدٍ فَنَسْمَعُ، فَمَا كَانَ مِنْ صَحِيحٍ حَدِيثِهِ أَخَذْنَاهُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ صَحِيحاً طَرَحْنَاهُ.

قال الحافظ في «النكت»: إنا نعلم في الجملة أن الشيخين لم يُخرجا من رواية المدلسين بالعننة إلا ما تحقق أنه مسموعٌ لهم من جهةٍ أخرى، وكذا لم يُخرجا من حديث المختلطين عمّن سَمِعَ منهم بعد الاختلاط إلا ما تحقق أنه من صحيح حديثهم قبل الاختلاط^(٢).

فائدة: وإنما اختار الشيخان طريق من روى عن المختلط بعد اختلاطه لفائدة، من علوّ، أو تصريحٍ بسماع، أو زيادةٍ، أو نحو ذلك.

(١) هدي الساري (ص ٤٠٦).

(٢) النكت لابن حجر (١/ ٣١٥).



وهذا المحلُّ يحتاج إلى تتبُّعٍ واستقراء، ليُصبح تحسُّنُ الظن بصنيع هذين الإمامين
الكبيرين، يقيناً ينشرح له الصدر، ويرتفع به القدر، لأئمتنا السابقين، من المحدثين
وفقهاءهم، وبه يُعلم أن ما وضعوه من مناهج التصنيف لم يكن عبثاً، وإنما كان بالدقة العالية
التي لا تصل إليها جهود المتأخرين، ومع هذا فإننا لا ندَّعي لهم العصمة من الخطأ، والله
ولي التوفيق.





الفصل السادس

المبحث الأول:

اشتراط اللقاء في الحديث المعنعن عند البخاري ومسلم

مذهب أكثر أهل الحديث أن الراوي إذا اشتهر بالتدليس لا تُقبل عنعنته حتى يُصرَّح بالتحديث أو السماع.

قال يعقوب بن شيبه: سألتُ علي بن المديني عن الرجل يُدلس أيكون حجةً فيما لم يقل حدثنا؟ فقال: «إذا كان الغالب عليه التدليس فلا، حتى يقول: حدثنا»^(١).

قال الخطيب في «الكفاية»: واللفظ الذي يرتفع به الإيهام، ويزول به الإشكال في رواية المدلس أن يقول: سمعتُ فلاناً يقول، ويُحدث، ويُخبر، أو قال لي فلان، أو ذكّر لي، أو حدثني وأخبرني من لفظه، أو حدّث وأنا أسمع، أو قرئ عليه وأنا حاضر، وما يجري مجرى هذه الألفاظ مما لا يحتمل غير السماع، وما كان بسبيله^(٢).

من أجل ذلك الإيهام كان الأئمة يبحثون في حديث المدلس عن التصريح بالسماع، ولا يقبلون منه غيره، أما غير المدلس فلم يكونوا يفتشون عن سماعاته، لسلامته من التهمة.

قال مسلم في مقدمة «صحيحه»: وما علمنا أحداً من أئمة السلف ممن يستعمل الأخبار، ويتفقد صحة الأسانيد وسقمها، مثل أيوب السخّتياني، وابن عون، ومالك بن أنس، وشعبة بن الحجاج، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، ومن بعدهم من أهل الحديث، فتشوا عن موضع السماع في الأسانيد، كما ادّعاه الذي وصفنا قوله من قبل، وإنما كان تفقُّد مَنْ تَفَقَّدَ مِنْهُمْ سماعَ رواة الحديث ممن روى عنهم، إذا كان الراوي ممن عُرِف بالتدليس في الحديث، وشُهرَ به، فحينئذٍ يبحثون عن سماعه في روايته، ويتفقدون ذلك منه

(١) التمهيد لابن عبد البر (١/ ١٨)، والكفاية للخطيب (ص ٣٦٢).

(٢) الكفاية (ص ٣٦٢ / ٣٦٣).

كي تنزاح عنهم علة التدليس^(١).

وما رواه غير المدلس بالعننة فالجمهور على اتصاله. حكى الإجماع على ذلك: الحاكم في «المعرفة»، وابن عبد البر في مقدمة «التمهيد»، والخطيب في «الكفاية»^(٢).

وذهب بعض الأئمة إلى أن ما كان فيه لفظ «عن» فهو من قبيل المرسل المنقطع حتى يتبين اتصاله من جهة أخرى، وهذا القول حكاه ابن الصلاح ولم يُسمَّ قائله^(٣)، ونقله قبله القاضي أبو محمد الرامهرمزي في كتابه «المحدث الفاصل» عن بعض المتأخرين من الفقهاء^(٤)، ونقله الزركشي عن الحارث المحاسبي في كتابه «فهم السنن»^(٥).

وهذا المذهب رفضه جمهور المحدثين بل جميعهم، ولو أن أحداً من السلف اشترط ذلك لضاق الأمر جدًّا، ولم يتحصل من السنة إلا النزر اليسير، فكأن الله تعالى أتاح الإجماع عصمة لذلك وتوسعة علينا. قاله ابن رُشيد^(٦).

واشترط أبو المظفر السمعاني: طول الصحبة^(٧)، واشترط أبو عمرو الداني: أن يكون معروفاً بالرواية عنه^(٨).

واشترط البخاري وابن المديني: اللقاء بين المعنعن ومن روى عنه بالعننة، وهو مذهب

(١) مقدمة صحيح مسلم (١/٢٦).

(٢) معرفة علوم الحديث للحاكم (ص ٣٤)، والتمهيد (١/١٢)، والكفاية (ص ٢٩١).

(٣) قال ابن الصلاح: «فلان عن فلان عده بعض الناس من قبيل المرسل والمنقطع». معرفة أنواع علم الحديث لابن الصلاح (ص ٢٢٠)، والسنن الأبين لابن رشيد (ص ٤٤).

(٤) المحدث الفاصل (ص ٤٥٠)، وجامع التحصيل (ص ١١٦).

(٥) النكت للزركشي (٢/٢٥)، والنكت لابن حجر (٢/٥٨٤).

(٦) السنن الأبين (ص ٤٦/٤٧).

(٧) القواطع في أصول الفقه (٢/٥٩٤)، ومعرفة أنواع علم الحديث (ص ٢٢٤)، وجامع التحصيل (ص ١١٦).

(٨) جزء بيان المسند والمرسل والمنقطع للداني (ص ٦١/٦٢)، ومعرفة أنواع علم الحديث (ص ٢٢٤)، وشرح البخاري للنووي (١/٢٥٣)، وشرح مسلم له (١/٣٢)، والتدريب (٣/٢١١).



الشافعي والمحققين، وهو الأصح^(١). واكتفى مسلمٌ بالمعاصرة مع إمكان اللقاء، وادّعى الإجماع عليه في خطبة «صحيحه»^(٢).

فالمذاهب ثلاثة:

مذهب من تشدد فحكّم بالانقطاع، أو اشترط طول الصحبة.

ومذهب من سهّل فاكتفى بالمعاصرة مع إمكان اللقاء.

ومذهب من توسط فاشترط اللقاء فحسب^(٣)، وهو مذهب أكثر الأئمة^(٤).

ومذهب البخاري ومن معه أحوط، ومذهب مسلم ومن معه أوسع.

❁ هل اشترط البخاريُّ في «صحيحه» ثبوت اللقاء بين المعنعن ومن عنعن عنه؟

اختلف العلماء في شرط البخاري في الحديث المعنعن.

فذهب فريقٌ منهم إلى أن البخاري يشترط ثبوت إما اللقاء أو السماع، لا غير.

واتفقت كتبُ المصطلح على نسبة هذا المذهب إلى علي بن المديني، والبخاري، وغيرهما^(٥).

وقيل: هذا هو المذهب الذي استنكره مسلمٌ في مقدمة «صحيحه»، وبالع في رده،

والتشنيع على قائله. وفي ذلك نظر سيأتي تحقيقه.

(١) شرح البخاري للنووي (٢٥٣/١)، وشرح مسلم له (٣٢/١)، وجامع التحصيل (ص ١١٦).

(٢) مقدمة صحيح مسلم (٢٣/١).

(٣) النكت الوفية (٤٠٩/١)، والتدريب (٢١٣/٢١٢/٣).

(٤) جامع التحصيل للعلائي (ص ١١٦).

(٥) كأحمد، وأبي زرعة، وأبي حاتم. شرح علل الترمذي (٣٦٥/١).



وممن ذكر ذلك ابنُ طاهر المقدسي (ت ٥٠٧هـ)^(١)، والقاضي عياض (٥٤٤هـ)^(٢)، وابن القطان الفاسي (٦٢٨هـ)^(٣)، وابن الصلاح (٦٤٣هـ)^(٤)، وابن رُشيد (٧٢١هـ)^(٥)، وابن جماعة (٧٣٣هـ)^(٦)، والذهبي (٧٤٨هـ)^(٧)، والعلائي (٧٦١هـ)^(٨)، وابن كثير (٧٧٤هـ)^(٩)، وابن رجب (٧٩٥هـ)^(١٠)، والبلقيني (٨٠٥هـ)^(١١)، والعراقي (٨٠٦هـ)^(١٢)، وابن حجر (٨٥٢هـ)^(١٣)، وغيرهم.

والبخاري لم يُصرح بهذا الشرط في «صحيحه» ولا في أي كتابٍ آخر، ولا نَقَلَ أحدٌ عنه شيئاً من ذلك، وإنما عُرِفَ من استقراء «صحيحه»، وأُخِذَ من صنيعه في كتابه. وهذا عند من يقول: إن البخاري شَرَطَ ذلك الشرطَ في «صحيحه» فقط، لا في أصل الصحة.

-
- (١) جواب المتعنت لابن طاهر، نقله عنه الحافظ في هدي الساري (ص ١٥)، والسيوطي في البحر الذي زخر (٧٢٧/٢).
- (٢) إكمال المعلم للقاضي عياض (١/١٦٤).
- (٣) بيان الوهم والإيهام لابن القطان الفاسي (٢/٥٧٦) و(٥/١٠٥).
- (٤) معرفة أنواع علم الحديث (ص ٢٢٤).
- (٥) السنن الأبين لابن رشيد (ص ٥٢).
- (٦) المنهل الروي (ص ٨٢ - الفجي).
- (٧) سير أعلام النبلاء (١٢/٥٧٣).
- (٨) جامع التحصيل للعلائي (ص ١١٦).
- (٩) اختصار علوم الحديث (١/١٦٩).
- (١٠) شرح علل الترمذي (١/٣٦٧). قال: وهذا أضيّق من قول ابن المديني والبخاري، فإن المحكي عنهما: أنه يَعْتَبَرُ أَحَدَ أَمْرَيْنِ: إما السماع وإما اللقاء، وأحمد ومن تبعه عندهم لا بد من ثبوت السماع، وانظر فتح الباري لابن رجب (١/٣٦/٣٧).
- (١١) محاسن الاصطلاح (ص ٢٢٤).
- (١٢) شرح التبصرة والتذكرة (١/١٦٣).
- (١٣) النكت لابن حجر (٢/٥٩٥)، وشرح النخبة (ص ١٢٣).

فهو إذا شرطُ عَمَلِيَّ اعتمده البخاري في «صحيحه»، ولم يثبت تخلفه في واحدٍ من أحاديث كتابه - هكذا قالوا - .

أما من يقول: إنه شرطُ في أصل الصحة، فحُجَّتُهُم أن البخاري تكلم على أحاديث في «تاريخه الكبير»، وفي «جزء القراءة»، وغيرهما من مصنفاته، وعلَّلها بعدم ثبوت السماع أو اللقاء فيها^(١).

قالوا: فلو لا أنه يشترط ثبوت اللقاء أو السماع، لما وجدناه يُعلِّل الأحاديث بعدم ثبوت السماع فيها. وهذه حجةٌ وجيهة.

وإليك بعض الأمثلة:

روى الترمذي في «العلل الكبير» من حديث محمد بن موسى المخزومي، عن يعقوب بن سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه».

قال الترمذي: سألتُ محمدًا عن هذا الحديث فقال: محمد بن موسى المخزومي لا بأس به مقارب الحديث، ويعقوب بن سلمة مدني لا يُعرف له سماعٌ من أبيه، ولا يعرف لأبيه سماعٌ من أبي هريرة^(٢).

وفي جزء «القراءة خلف الإمام»: روى علي بن صالح، عن الأصبهاني، عن المختار بن عبد الله بن أبي ليلي، عن أبيه: «من قرأ خلف الإمام فقد أخطأ الفطرة» وهذا لا يصح، لأنه لا يُعرف المختار، ولا يُدرى أنه سمعه من أبيه أم لا؟ وأبوه من علي، ولا يحتج أهل الحديث بمثله^(٣).

(١) موقف الإمامين لخالد الدريس (١/ ١٣٩).

(٢) العلل الكبير للترمذي رقم (١٧).

(٣) خير الكلام في القراءة خلف الإمام للبخاري (ص ٥).



وروى في «التاريخ الكبير»: من طريق إسماعيل بن إبراهيم المخزومي، عن أبيه، عن جده عبد الله بن أبي ربيعة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استسلفه مالا بضعة عشر ألفاً، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حُنين وقدم عليه، فقال: «ادعوا إلي ابن أبي ربيعة»، فقال له: «خذ ما أسلفت بارك الله لك في مالك وولدك إنما جزاء السلف الحمد والوفاء». وعبد الله: هو الذي بعثته قريش مع عمرو بن العاص إلى الحبشة هو أخو أبي جهل لأمه.

قال أبو عبد الله: إبراهيم لا أدري سمع من أبيه أم لا^(١).

والبخاري لا يشترط ثبوت اللقاء دائماً، بل يكفي أحياناً بالقرائن التي تُقوي احتمال اللقاء:

مثاله: ما أخرجه الترمذي في «العلل الكبير» من حديث زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي واقد الليثي، قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يجبون أسنمة الإبل ويقطعون أليات الغنم فقال: «ما قطع من البهيمة وهي حية فهي ميتة».

قال الترمذي: سألت محمداً عن هذا الحديث فقلتُ له: أترى هذا الحديث محفوظاً؟ قال: نعم. قلتُ له: عطاء بن يسار أدرك أبا واقد؟ فقال: ينبغي أن يكون أدركه، عطاء بن يسار قديم^(٢).

مثال آخر: ما أخرج البخاري في «الصحيح» من طريق أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، قال: وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان، حتى كان الحجاج قال: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا^(٣).

وأبو عبد الرحمن السلمي اسمه عبد الله بن حبيب، لم يسمع من عثمان بن عفان.

(١) التاريخ الكبير للبخاري (١٠ / ٥).

(٢) العلل الكبير للترمذي رقم (٤٣٧)، تدريب الراوي (٢٠٧ / ٣).

(٣) صحيح البخاري رقم (٥٠٢٧).



قال شعبة: لم يسمع من ابن مسعود، ولا من عثمان، ولكن سمع من علي^(١).

وقال أبو حاتم: أبو عبد الرحمن السلمي ليس تثبت روايته عن علي. فقل له سمع من عثمان بن عفان؟ قال قد روى عنه، ولم يذكر سماعاً^(٢).

قال أبو عوانة: اختلف أهل العلم من أهل التمييز في سماع أبي عبد الرحمن من عثمان^(٣). ومع هذا فقد أثبت البخاري سماعه من عثمان في «تاريخه الكبير»^(٤).

ولم يقع التصريح بتحديث عثمان لأبي عبد الرحمن إلا في طريقٍ ضعيفةٍ أخرجها ابن عدي في ترجمة عبد الله بن محمد بن أبي مريم من طريق ابن جريج، عن عبد الكريم، عن أبي عبد الرحمن حدثني عثمان^(٥).

❁ فما هي القرينة التي اعتمد عليها البخاري لإخراج هذا الحديث؟

ذكر الحافظ ابن حجر أن البخاري اعتمد في ترجيح لقاء أبي عبد الرحمن لعثمان على قرينتين:

الأولى: قوله: «هذا الذي أقعدني هذا المقعد»، فدل على أنه سمعه زمن عثمان، وبما أنه غير مدلس، فتحمل عننته على السماع.

والثانية: ما اشتهر بين القراء أنه قرأ القرآن على عثمان، وأسندوا ذلك عنه من رواية عاصم بن أبي النجود وغيره.

(١) طبقات ابن سعد (٨/٢٩١).

(٢) المراسيل لابن أبي حاتم (٣٨٣).

(٣) مستخرج أبي عوانة رقم (٣٧٧٦) (٢/٤٤٧).

(٤) التاريخ الكبير للبخاري (٥/٧٣).

(٥) الكامل لابن عدي (٤/٢٥٦).

قال الحافظ: فكان هذا أولى من قول من قال: إنه لم يسمع منه^(١).

❁ ما الحامل للبخاري على اشتراط اللقاء أو السماع؟

قال ابن حجر: والحامل للبخاري على اشتراط ذلك تجويزُ أهل ذلك العصر للإرسال، فلو لم يكن مدلساً، وحدث عن بعض من عاصره لم يدل ذلك على أنه سمع منه، لأنه وإن كان غير مدلس، فقد يحتمل أن يكون أرسل عنه لشيوع الإرسال بينهم، فاشتراط أن يثبت أنه لقيه وسمع منه ليحمل ما يرويه عنه بالعننة على السماع، لأنه لو لم يُحمل على السماع لكان مدلساً، والغرض السلامة من التدليس.

قال: وأما احتجاج مسلم على فساد ذلك بأن لنا أحاديث اتفق الأئمة على صحتها، ومع ذلك ما رُويت إلا معننة، ولم يأت في خبرٍ قط أن بعض رواها لقي شيخه، فلا يلزم من نفي ذلك عنده نفيه في نفس الأمر.

فالحافظ ينفي وجود ذلك في نفس الأمر، ومقتضاه نفيه عن «صحيح البخاري»، وقد صرح بذلك، فقال: وإنما كان يتم له النقض والإلزام لو رأى في «صحيح البخاري» حديثاً معنعناً لم يثبت لقي راويه لشيخه فيه، فكان ذلك وارداً عليه، وإلا فتعليل البخاري لشرطه المذكور متجه^(٢).

والذي يظهر لي أن الحافظ عنى بقوله: «لم يثبت لقي راويه لشيخه» وجود قرينة دالة على عدم الاتصال، لا ثبوت اللقاء في كل حديثٍ تصريحاً، لأن البخاري يعتمد أحياناً على القرائن القوية الدالة على اللقاء كما تقدم.

(١) الفتح (٧٦/٩).

(٢) النكت لابن حجر (٥٩٨/٢).

والبخاري يخرج ما لا تعلق له بالباب ليثبت به سماع الراوي من شيخه:

قال في «مقدمة الفتح»: والبخاري لا يحمل ذلك على الاتصال حتى يثبت اجتماعهما ولو مرة، وقد أظهر البخاري هذا المذهب في «تاريخه» وجرى عليه في «صحيحه» وأكثر منه حتى أنه ربما خرج الحديث الذي لا تعلق له بالباب جملة إلا لبيان سماع راوٍ من شيخه، لكونه قد أخرج له قبل ذلك شيئاً معنعناً^(١).

وقد ذكروا أن من أغراض البخاري في إيراد الحديث مكرراً بيان التصريح بالسماع، فيورد الحديث معنعناً، ثم يورده من طرق أخرى صرح فيها الراوي بالسماع، وما ذلك إلا لاشتراطه ثبوت اللقاء.

مثاله: ما رواه البخاري في باب: قوله: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

قال: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا شبابة، حدثنا شعبة، عن قتادة، قال: سمعت عقبة بن صُهَبَانَ، عن عبد الله بن مغفل المزني، إني ممن شهد الشجرة، «نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحذف».

ثم ساق بعده حديث: عقبة بن صُهَبَانَ، قال: سمعت عبد الله بن مغفل المزني «في البول، في المغتسل، يأخذ منه الوسواس»^(٢).

وهذا الحديث - كما هو ظاهر - ليس له تعلق بالباب، وإنما ذكره البخاري لبيان أن عقبة قد سمع من عبد الله بن مغفل.

قال الحافظ: وهذا من صنيعة في غاية الدقة، وحسن التصرف، فله دره^(٣).

(١) هدي الساري (ص ١٢)، و(ص ١٥).

(٢) صحيح البخاري رقم (٤٨٤٢).

(٣) فتح الباري (٨/ ٥٨٨)، وموقف الإمامين (ص ٩٣).



وذهب البعض إلى أن البخاري يشترط السماع ولا يكتفي باللقاء.

واختار هذا القول: ابنُ رشيد، والزركشي، ومال إليه ابنُ رجب.

قال ابن رشيد: وينبغي أن يُحمل قولُ البخاري وابنِ المديني على أنهما يُريدان باللقاء السماع. وهذا الحرف لم نجد عليه تنصيصاً يعتمد، وإنما وجدتُ ظواهر محتملة أن يحصل الاكتفاء عندهم باللقاء المحقق وإن لم يذكر سماع، وأن لا يحصل الاكتفاء إلا بالسماع، وأنه الأليق بتحرّيهما والأقرب إلى الصواب، فيكون مرادهما باللقاء والسماع معنى واحداً^(١).

وقال الزركشي: فمما شرطه البخاري ثبوتُ السماع، ولم يكتفِ بإمكان اللقاء والمعاصرة^(٢).

وقال ابن رجب: وما قاله ابن المديني والبخاري هو مقتضى كلام أحمد، وأبي زرعة، وأبي حاتم، وغيرهم من أعيان الحفاظ، بل كلامهم يدلُّ على اشتراط ثبوت السماع كما تقدم عن الشافعي رضي الله عنه^(٣).

وهذا المذهب فيه تشدد، والراجح عندي أن البخاري ومن معه يشترطون ثبوت السماع بمعناه الواسع وهو ثبوت اللقاء وإمكانيته، رفعاً لاحتمال الانقطاع والإرسال.

وكل ما ثبت عنهم من التنصيص على ثبوت السماع، إنما هو لرفع احتمال الانقطاع. وأما تعليلُهم الحديثَ بأن فلاناً لم يسمعه من فلان، فالمراد منه بيان انتفاء اللقاء وامتناع السماع. وهذا الباب مداره على وجود القرائن قوةً وضعفاً، ولا يخوض فيه إلا الجهابذة الذين أُوتوا الفهم الدقيق، والحفظ المتين، والاطلاع الواسع، والإلهام.

فائدة: قال الزركشي: وهل البخاري يشترط ثبوت السماع في كل حديثٍ أو إذا ثبت السماعُ

(١) السنن الأبين (ص ٥٤ / ٥٥).

(٢) النكت للزركشي (١ / ١١٤).

(٣) شرح علل الترمذي (١ / ٣٦٥).



في حديث واحدٍ حُمِلَ الباقي عليه حتى يَدُلَّ دليلٌ على خلافه؟ فيه نظر، والأقرب الثاني^(١). وإذا كان الأمر كذلك، فإن مسلماً لم يُردَّ برَدُّ البخاري^(٢)، لأنه انتقد مذهب من يشترط السماع بين كل راوٍ ومن روى عنه، والبخاري لا يشترط ذلك، بل يكتفي بالسماع مرةً واحدة. يقول مسلم محاوراً خصمه: وإن هو ادَّعى فيما زعم دليلاً يحتج به، قيل: وما ذاك الدليل؟ فإن قال: قلته لأنني وجدتُ رواة الأخبار قديماً وحديثاً يروي أحدهم عن الآخر الحديث، ولما يعاينه ولا سمع منه شيئاً قط، فلما رأيتهم استجازوا رواية الحديث بينهم هكذا على الإرسال من غير سماع... احتجتُ لما وصفتُ من العلة إلى البحث عن سماع راوي كل خبرٍ عن راويه، فإذا أنا هجمتُ على سماعه منه لأدنى شيءٍ ثَبَتَ عندي بذلك جميعُ ما يروي عنه بعدُ، فإن عَزَبَ عني معرفة ذلك أوقفْتُ الخبر، ولم يكن عندي موضعُ حُجَّةٍ لإمكان الإرسال فيه^(٣).

وثبوت اللقاء مرةً لا يستلزم سماعَ كُلِّ حديثٍ حتى يُصرح بالسماع، فيلزم البخاري ألا يقبل المعنعن أصلاً لاحتمال الإرسال فيما لم يثبت سماعه. فإن قيل: هذا في المدلس، ومسألتنا في غير المدلس. قلنا: وهذا الجواب نفسه يكفي لدفع الإرسال المحتمل في الاكتفاء بالمعاصرة مع إمكان اللقاء.

(١) النكت للزركشي (٢/٣٩/٤٠).

(٢) ومما يستبعد كونه أراد برَدُّه الشديد شيخه البخاري وشيخه ابن المديني قوله في معرض رده: «وقد تكلم بعض منتحلي الحديث من أهل عصرنا إلخ». فكيف يصف شيخه «بمنتحل الحديث» مع ما كان يُبديه له من التعظيم والتبجيل والاحترام والتوقير والشهادة بالتفوق في علم الحديث ووصفه بأستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في عِلِّه. أما ابن المديني فتكفيه شهادة تلميذه البخاري أنه ما استصغر نفسه إلا عنده. فادعاء كونه عناهما برده مستبعدٌ جداً. لذلك قال ابن رشيد: «لعله لم يعلم أنه قول ابن المديني والبخاري، وكأنه إنما تكلم مع بعض أقرانه أو من دونه ممن قال بذلك المذهب». السنن الأبين (ص ١٤٩).

(٣) مقدمة صحيح مسلم (١/٢٤).



لذلك نقول: إن الاكتفاء بالتصريح بسماع حديث واحد، أو الاكتفاء بلقاء واحد بينهما، ثم البناء على هذا السماع الوحيد أو اللقاء الوحيد حكماً باتصال عشرات الأحاديث ما هو إلا عملٌ بالقرينة المطمئنة لا أكثر، وعلى هذا فلا ضير أن تكون هذه القرينة متوسطة، كالتي اكتفى بها مسلم رحمه الله وهي إمكان اللقاء بينهما، كالعلم بحضورهما موسم الحج، أو رحلة أحدهما إلى بلد الآخر وهو حاضرٌ فيها ونحو ذلك^(١).

فمذهبُ مسلم وجيهٌ، ومذهب البخاري أَوْجَه.

ولم يكن مسلمٌ رحمه الله يرى خلاف ما يراه البخاري من اشتراط اللقاء ولو مرة واحدة، حتى يَرُد عليه، وإنما اكتفى بالمعاصرة مع إمكانية اللقاء، فالخلاف بينهما في درجة القرينة على غلبة ظن اللقاء.

ويشهد لهذا ما رواه الحاكم والبيهقي من طريق أبي حامد أحمد بن حمدون القصار، يقول: سمعتُ مسلم بن الحجاج، وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري فقبل بين عينيه، وقال: دعني حتى أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطيب الحديث في عله، حدثك محمد بن سلام، حدثنا مخلد بن يزيد الحراني، أخبرنا ابن جريج، حدثني موسى بن عقبة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في كفارة المجلس، فما علته؟ قال محمد بن إسماعيل: هذا حديثٌ مليح، ولا أعلم بهذا الإسناد في الدنيا حديثاً غير هذا، إلا أنه معلول، حدثنا به موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثنا سهيل، عن عون ابن عبد الله، قوله. قال محمد بن إسماعيل: هذا أولى، ولا نذكر لموسى بن عقبة سماعاً من سهيل^(٢).

وأخطأ من ظنَّ أن مسلماً رجع عما كتبه في مقدمة «صحيحه» لكونه رضي بتعليل البخاري

(١) اللقاء بين الراويين لمحمد عوامة (ص ٩).

(٢) المعرفة للحاكم (ص ١١٣ / ١١٤)، والمدخل للبيهقي (١ / ٢٦٨)، وتاريخ بغداد (١٥ / ١٢٤)، وسير أعلام النبلاء (١٢ / ٤٣٦ / ٤٣٧)، ومقدمة الفتوح (ص ٤٨٨).

بأشراط اللقاء، كما في القصة المتقدمة.

فقد بينا فيما سبق أن مسلماً ردّ في «مقدمته» على من يشترط ثبوت السماع بين كل راوٍ ومَنْ روى عنه، والبخاري لا يشترط ذلك.

وهناك من ذهب إلى أن البخاري لم يشترط شيئاً من ذلك، لا اللقاء ولا السماع.

وهو ما حاول إثباته الدكتور حاتم العوني في كتابه «إجماع المحدثين».

والحاصل: أن الشيخين اتفقا في الحالات التالية:

- ١ . إذا ثبت اللقاء أو السماع بين المعنعن ومن روى عنه بالعننة، فإنهما يحتجّان به.
- ٢ . إذا روى غير المدّلس عمّن عاصره، بالعننة، وقامت قرينة قوية على إمكانية اللقاء، فإنهما يحتجّان به.
- ٣ . إذا روى غير المدّلس عمّن عاصره، بالعننة، وقامت قرينة على عدم اللقاء، فإنهما لا يحتجّان به.

واختلفا في الآتي:

- ١ . اشترط البخاري في قبول الحديث المعنعن ثبوت اللقاء ولو مرة واحدة، واكتفى مسلماً بالمعاصرة مع إمكانية اللقاء.
- ٢ . اشترط مسلماً، إذا لم يثبت اللقاء، أن يكون احتمالُه ممكناً ولو مع ضعف القرينة، واشترط البخاري أن يكون ذلك الاحتمال قوياً لقوة القرائن^(١).

وختاماً: نقول إن ما اشترطه البخاري يدل على أصحية كتابه، وما اكتفى به مسلم هو شرط الحديث الصحيح. والله أعلم.

(١) موقف الإمامين (ص ٤٧٨).

المبحث الثاني:

هل اشترط البخاريُّ اللقاءَ في «صحيحه» أو في أصل الصحة؟

اعلم أن الشرط الذي اشترطه البخاريُّ من اللقاء في الحديث المعنعن، للعلماء فيه مذهبان:

المذهب الأول: أن البخاري التزم ذلك في «صحيحه» فقط، ولم يشترطه في أصل الحديث الصحيح. وممن نص على ذلك، الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث»، والبلقيني في «محاسن الاصطلاح»، والزركشي في «النكت».

قال ابن كثير: وهذا هو الذي اعتمده مسلم في «صحيحه»: وشنع في خطبته على من يشترط مع المعاصرة اللقي، حتى قيل: إنه يريد البخاري، والظاهر أنه يريد علي بن المديني، فإنه يشترط ذلك في أصل صحة الحديث، وأما البخاري فإنه لا يشترطه في أصل الصحة، ولكن التزم ذلك في كتابه «الصحيح»^(١).

وقال البلقيني: قيل: يريد مسلم بذلك البخاري، إلا أن البخاري لا يشترط ذلك في أصل الصحة، ولكن التزمه في جامعه. ولعله يريد ابن المديني فإنه يشترط ذلك في أصل الصحة^(٢).

وقال الزركشي في «النكت»: قيل يريد به البخاري، نعم البخاري لا يشترط ذلك في أصل الصحة ولكن التزمه في «جامعه»، فلعله يريد ابن المديني فإنه يشترط ذلك في أصل الصحة على ما قيل^(٣).

والمذهب الثاني: أن البخاري شرط ذلك في أصل الصحة. وممن اختار هذا المذهب ابن رجب، قال في «شرح العلل»: وأما جمهور المتقدمين فعلى ما قاله ابن المديني والبخاري،

(١) اختصار علوم الحديث لابن كثير (١/١٦٩)، والنكت الوفية (١/٤١٤)، وتدريب الراوي (٣/٢١٠).

(٢) محاسن الاصطلاح للبلقيني (ص ٢٢٤).

(٣) النكت للزركشي (٢/٣٩).



وهو القول الذي أنكره مسلم على من قاله^(١).

ثم قال: والمحكي عنهما: أنه يُعتبر أحد أمرين: إما السماع، وإما اللقاء^(٢).

فُفهم من كلامه أن المذهب الذي أنكره مسلم هو مذهبهما الذي مقتضاه أن ثبوت

اللقاء شرط في أصل الصحة^(٣).

واختاره أيضاً الحافظ ابن حجر، قال في «النكت»: ادعى بعضهم أن البخاري إنما التزم ذلك في «جامعه» لا في أصل الصحة، وأخطأ في هذه الدعوى، بل هذا شرط في أصل الصحة عند البخاري، فقد أكثر من تعليل الأحاديث في «تاريخه» بمجرد ذلك^(٤). واختاره السخاوي في «فتح المغيث»^(٥).

ومن الغريب أن البقاعي نقل في كتابه «النكت الوفية»^(٦) كلام ابن كثير السابق وأقره، ولم يُشر أدنى إشارة إلى كلام شيخه ابن حجر المتقدم، مع أنه كثير النقل عنه، فلعله لم يره مقبولا فأعرض عنه.

وكلام الحافظ هذا متناقض مع ما ذكره هو نفسه في «مقدمة الفتح» في ترجمة عبد الله بن صالح كاتب الليث، فبعد أن نقل اعتراض الإسماعيلي على البخاري احتجاجه به وقوله كيف يحتج به إذا كان منقطعاً ولا يحتج به إذا كان متصلاً. أجاب الحافظ بأن البخاري إنما صنع ذلك لما قررناه أن الذي يورده من أحاديثه صحيح عنده، قد انتقاه من حديثه، لكنه لا

(١) شرح علل الترمذي (١/٣٦٥).

(٢) شرح علل الترمذي (١/٣٦٧).

(٣) موقف الإمامين لخالد الدريس (ص ١٣٩).

(٤) النكت لابن حجر (٢/٥٩٥).

(٥) فتح المغيث للسخاوي (١/٢٨٨).

(٦) النكت الوفية (١/٤١٤).



يكون على شرطه الذي هو أعلى شروط الصحة، فلهذا لا يسوقه مساق أصل الكتاب^(١).

وممن اختار هذا القول من المعاصرين الشيخ عبد الرحمن المعلمي، قال: زعم بعض علماء العصر أن اشتراط البخاري العلم باللقاء، إنما هو لما يخرج في «صحيحه» لا للصحة في الجملة، كذا قال، وفي كلام البخاري على الأحاديث في عدة من كتبه كـ «جزء القراءة» وغيره ما يدفع هذا^(٢).

وقال بعض المعاصرين: إن البخاري التزم ذلك في الحديث الصحيح عموماً، ولم يلتزمه في الحديث الحسن اهـ.

وهذا الحكم يحتاج إلى استقراء تام لجميع الأحاديث التي حسنها البخاري.

والمذهب الثاني^(٣) غريب، إذ يلزم منه أن يكون كل ما رواه مسلم في «صحيحه» من الأحاديث المعنونة، مما لم يتحقق فيه اللقاء، ضعيفاً على مذهب البخاري، وهو قول مردودٌ باتفاق الأمة على إطلاق اسم الصحة على جميع ما رواه الشيخان في «صحيحهما»، وإنما اختلفوا في الأصحية.

وإلى هذا المعنى أشار مسلم بقوله: «ولو ذهبنا نعدد الأخبار الصحاح عند أهل العلم ممن يهين بزعم هذا القائل، ونحصيلها لعجزنا عن تقصي ذكرها وإحصائها كلها»^(٤).

وأغرب الإمام النووي رحمه الله فقال: لا نحكم على مسلم بعمله في صحيحه بهذا المذهب، لكونه يجمع طرقاً كثيرةً يتعذر معها وجود هذا الحكم الذي جوزه^(٥).

(١) هدي الساري (ص ٤١٥)، والتمات بذيل الموقظة لأبي غدة (ص ١٣٦).

(٢) التنكيل (٧٩/١).

(٣) وهو أن البخاري اشترط ذلك في أصل الصحة.

(٤) مقدمة صحيح مسلم (٢٦/١).

(٥) شرح مسلم للنووي (١٤/١).



قال الشيخ المعلمي: هذا سهوٌ من النووي، فقد ذكر مسلمٌ في ذلك الكلام أحاديثَ كثيرةً زعم أنه لم يصرح فيها بالسماع ولا علم لقاء، وأنها صحاحٌ عند أهل العلم، ثم أخرج منها في أثناء «صحيحه» تسعة عشر حديثاً، كما ذكره النووي نفسه، ومنها ستة في «صحيح البخاري» كما ذكره النووي أيضاً^(١).

ويردُّه أيضاً ما تقدم عن تقي الدين السبكي أنه سأل الحافظ المزي عما وقع في «الصحيحين» من حديث المدلسين مُعنعناً هل نقول إنها اطلَّعا على اتصاها؟ فقال: «كذا يقولون، وما فيه إلا تحسينُ الظن بهما، وإلا ففيهما أحاديثٌ من رواية المدلسين ما توجد من غير تلك الطريق التي في الصحيح، وما بقي إلا تحسين الظن بهما»^(٢).



(١) التنكيل (١/٧٩).

(٢) سؤالات الحافظ تقي الدين السبكي للحافظ أبي الحجاج المزي (ص ٣٤١) ضمن مجموع يضم ستة عشر كتاباً بخط الحافظ البوصيري، طبع بدار الحديث الكتانية، وانظر النكت لابن حجر (٢/٦٣٦)، والنكت الوفية (١/٤٤٤)، وتدريب الراوي (٢/٤٢٥) و(٣/٢٦٥).

الفصل السابع

معنى قولهم: على شرط البخاري ومسلم

اختلف أهل العلم بالحديث في تحديد «شرط الشيخين»، ويرجع هذا الاختلاف إلى أمور: منها: أن البخاري ومسلماً لم يُبينَا شرطيهما، كما تقدم، ولا نصّاً عليه في شيء من مصنفاتهما سوى إشاراتٍ خفية.

ومنها: أن المحرّرين لهذا الشرط عمدتهم فيما وصلوا إليه من نتائج إنما هو الاجتهاد والنظر في «الصحيحين» والسبر والتبّع لطريقتي الشيخين، والمجتهدون في أي علم من العلوم قلّما يتواردون على معنى واحد متفق عليه، بل تكون نتائجهم في الغالب مختلفة لاختلاف مداركهم وتباين أنظارهم.

ومنها: أن العلماء اختلفوا في اعتبار كيفية إخراج صاحبي «الصحيحين» عن راوٍ ما، فبعضهم يعتبرها والبعض الآخر لا يعتبرها، والمعتبرون لها تختلف وجهات نظرهم في كيفية هذا الاعتبار وشروطه، فيحصل بسبب ذلك الاختلاف بينهم كما يحصل الاختلاف بين ناقدَيْن في صحيح حديثٍ ما أو تضعيفه، وهذا معلومٌ لكل من مارس علم الحديث.

فقد روى الحاكم حديثاً من طريق محمد بن إسحاق، قال: ذكر محمد بن مسلم الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فضل الصلاة التي يستاك لها على الصلاة التي لا يستاك لها سبعين ضعفاً».

قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم، ولم يخرجاه».

فاعترضه ابنُ القيم في «المنار المنيف» بقوله: لم يصنع الحاكم شيئاً، فإن مسلماً لم يرو في كتابه بهذا الإسناد حديثاً واحداً، ولا احتجّ بابن إسحاق، وإنما أخرج له في المتابعات



والشواهد، وأما أن يكون ذكرُ ابنِ إسحاق عن الزهري من شرط مسلم فلا^(١).

وصحح المنذري حديث: « غفران ما تقدم وتأخر » من طريق بحر بن نصر، عن ابن وهب، عن مالك ويونس، عن الزهري، عن سعيد وأبي سلمة، عن أبي هريرة. وقال بعده: بحر بن نصر ثقة، وابن وهب ومن فوقه محتجٌّ بهم في «الصحيحين».

فتعقبه الحافظ ابنُ حجر بقوله: ولا يلزم من كون رجال الإسناد من رجال الصحيح أن يكون الحديث الوارد به صحيحاً، لاحتمال أن يكون فيه شذوذاً أو علةً، وقد وُجد هذا الاحتمالُ هنا، فإنها روايةٌ شاذةٌ، وقد بينتُ ذلك بطرقه والكلام عليه في جزء مفرد، ولخصته في كتاب بيان المدرج^(٢).

وصحح الحافظ الدميّ حديث «ماء زمزم لما شرب له»، وقال: هذا على رسم الصحيح، لأن سويداً احتجَّ به مسلم، وعبد الرحمن بن أبي الموالي احتجَّ به البخاري.

فاعترضه الحافظ أيضاً بقوله: وليس فيه حكم على الحديث بالصحة لما قدمناه من أنه لا يلزم من كون الإسناد محتجاً بروايته في الصحيح أن يكون الحديث الذي يروي به صحيحاً لما يطرأ عليه من العلل^(٣).

وما اعترض به الحافظ صحيح، فإن مسلماً أخرج لسويد بن سعيد في المتابعات والشواهد ما تحقق أنه من صحيح حديثه، لا ما انفرد به، كما تقدم في محله.

ومنها: اختلافهم في مراد الحاكم و مقصوده من كتابه «المستدرک» الذي وضعه على «الصحيحين» استدرك فيه ما لم يذكره وهو على شرطهما أو أحدهما، حيث قال: «وأنا أستعين الله على إخراج أحاديث رواها ثقات، قد احتج بمثلها الشيخان رضي الله عنهما أو

(١) المنار المنيف لابن القيم (ص ٢١).

(٢) النكت لابن حجر (١/ ٢٧٤).

(٣) النكت لابن حجر (١/ ٢٧٤ / ٢٧٥).

أحدهما». وسيأتي تحرير ذلك قريباً.

يقول الدكتور إبراهيم بن الصديق: ثم إن الحاكم رحمه الله لم يُبين مقصوده من كتابه وضوحاً بيناً، ولا شفى الغليل بالنسبة إلى مراده بالشروط التي عنون بها كتابه، كما أنه لم يسر فيه على وفق ما أصّله في كتابه «المدخل»، ولا سار فيه على منوال واحد يُمكن من استقراء منهجه واستخراج قاعدة عامة منه، وإنما عرض جزءاً من منهجه في ديباجة مقتضبة هي غاية في الإبهام وتطرق شتى الاحتمالات، فكان هذا الغموض هو الذي أثار الخلاف حول شرطه هو أولاً ثم شرط الشيخين^(١).

وبعد هذا نقول:

إن قولهم: «صحيح على شرط البخاري ومسلم» للناس في تحرير معناه ثلاثة مذاهب:

الأول: أن يكون الإسناد قد اشتمل على رجال فيهم من الصفات مثل ما في الرواة الذين خرج لهم الشيخان. وهذا أوسع المذاهب.

الثاني: أن يكون رجال الإسناد قد خرجوا لهم في كتابيهما. وهو المذهب الأوسط.

الثالث: أن يكون رجال إسناده رجالهما مع مراعاة كيفية رواية بعضهم عن بعض. وهذا أضيق المذاهب.

أما الأول: فهو اختيار زين الدين العراقي، والزركشي^(٢)، والسيوطي^(٣).

قال العراقي في «شرح التذكرة والتبصرة»: قال الحاكم في خطبة «المستدرک»: «وأنا أستعين الله تعالى على إخراج أحاديث رواتها ثقات قد احتج بمثلها الشيخان أو أحدهما».

(١) المستدرک على الصحيحين وما قيل حول شرطهما. للدكتور إبراهيم بن الصديق (ص ١٥).

(٢) النكت للزركشي (١/١٩٨).

(٣) البحر الذي زخر (٢/٨٢٥).



فقول الحاكم: «بمثلها»، أي بمثل رواتها، لا بهم أنفسهم، ويحتمل أن يُراد بمثل تلك الأحاديث، وإنما يكون بمثلها إذا كانت بنفس رواتها. وفيه نظر^(١).

فالحافظ العراقي حمل «المثلية» في كلام الحاكم على معنى التماثل في الصفات لا في الذوات. وهو الأصل اللغوي لكلمة مثل، لأن المثل مغاير لمثله لغة.

وقال في «شرحه الكبير»: ثم ما المراد بالمثلية عندهما، أو عند غيرهما، فقد يكون بعض من لم يُخَرَّج عنه في الصحيح مثل من خُرِّج عنه فيه، أو أعلى منه عند غير الشيخين، ولا يكون الأمر عندهما على ذلك، فالظاهر أن المعتبر وجود المثلية عندهما، ثم المثلية عندهما تُعرف إما بتنصيبهما على أن فلاناً مثل فلان، أو أرفع منه، وقُلَّ ما يوجد ذلك، وإما بالألفاظ الدالة على مراتب التعديل، كأن يقولوا في بعض من احتجنا به: ثقة، أو ثبت، أو صدوق، أو لا بأس به، أو غير ذلك من ألفاظ التوثيق، ثم وجدنا عنهما أنهما قالوا ذلك أو أعلى منه في بعض من لم يحتجنا به في كتابيهما، فيُستدل بذلك على أنه عندهما في رتبة من احتجنا به، لأن مراتب الرواة معيار معرفتها ألفاظ التعديل والجرح.

ولكن هنا أمر فيه غموض لا بُدَّ من الإشارة إليه، وذلك أنهم لا يكتفون في التصحيح بمجرد حال الراوي في العدالة والاتصال، من غير نظرٍ إلى غيره، بل ينظرون في حاله مع من روى عنه، في كثرة ملازمته له، أو قلَّتها، أو كونه من بلده ممارساً لحديثه، أو غريباً من بلد من أخذ عنه، وهذه أمورٌ تظهر بتصفح كلامهم، وعملهم في ذلك^(٢).

وقد ذكر هذا الكلام ردًّا على ابن دقيق العيد، والذهبي.

وتعقب كلامه تلميذه الحافظ ابن حجر فقال: ما اعترض به شيخنا على ابن دقيق العيد والذهبي ليس بجيد، لأن الحاكم استعمل لفظة «مثل» في أعم من الحقيقة والمجاز، في

(١) شرح التذكرة والتبصرة (١/٦٦)، والتقيد والإيضاح (ص ١٨).

(٢) النكت الوفية (١/١٦٦/١٦٧)، والتدريب (٢/٤٧٩/٤٨٠).



الأسانيد والمتون، دَلَّ على ذلك صنيعُه، فإنه تارة يقول: على شرطهما، وتارة: على شرط البخاري، وتارة: على شرط مسلم، وتارة: صحيح الإسناد، ولا يعزوه لأحدهما، وأيضاً فلو قصد بكلمة «مِثْل» معناها الحقيقي حتى يكون المراد: احتج بغيرها ممن فيهم من الصفات مثل ما في الرواة الذين خرَّجا عنهم لم يقل قط: على شرط البخاري، فإن شرط مسلم دونه، فما كان على شرطه فهو على شرطهما لأنه حوى شرط مسلم وزاد.

قال: ووراء ذلك كله أن يُروى إسنادٌ ملفَّقٌ من رجالهما، «كسماك»، عن عكرمة، عن ابن عباس «فسماكٌ على شرط مسلم فقط، وعكرمةٌ انفرد به البخاري، والحق أن هذا ليس على شرط واحدٍ منهما».

وأدقُّ من هذا أن يروى عن أناسٍ ثقاتٍ ضَعَّفوا في أناسٍ مخصوصين من غير حديث الذين ضَعَّفوا فيهم، فيجيء عنهم حديثٌ من طريق مَنْ ضَعَّفوا فيه برجال كلِّهم في الكتابين أو أحدهما، فنسبته أنه على شرط من خرَّج له غلطٌ، كأن يُقال في هُشَيْمٍ عن الزهري: كُلُّ من هُشَيْمٍ والزهري أخرجا له فهو على شرطهما، فيقال: بل ليس على شرط واحدٍ منهما، لأنها إنما أخرجا لهشيم من غير حديث الزهري، فإنه ضَعَّف فيه، لأنه كان رَحَلَ إليه فأخذ منه عشرين حديثاً، فلقية صاحبٌ له وهو راجعٌ فسأله روايته، وكان ثمَّ ريحٌ شديدةٌ فذهبت بالأوراق من يد الرجل، فصار هُشَيْمٌ يحدث بما علق منها بذهنه، ولم يكن أتقن حفظها، فوهم في أشياء منها ضَعَف في الزهري بسببها.

وكذا همَّامٌ ضعيفٌ في ابن جريج، مع أن كلاهما أخرجا له، لكن لم يخرججا له عن ابن جريج شيئاً، فعلى من يعزوه إلى شرطهما أو شرط واحدٍ منهما أن يسوق ذلك السند بنسقٍ رواية من نُسب إلى شرطه، ولو في موضع من كتابه^(١).

أما الثاني: وهو أن يكون رجالُ إسنادِه قد خرَّجا لهما في كتابيهما، فهو اختيار: ابن

(١) النكت على ابن الصلاح (١/٣١٩/٣٢٠)، وتدريب الراوي (٢/٤٨٠/٤٨٤).

الصلاح^(١)، والنووي^(٢)، وابن دقيق العيد^(٣)، والذهبي^(٤)، والعلائي^(٥)، ومن المتأخرين الحافظ أحمد الغماري^(٦).

وأصحاب هذا المذهب يحملون المثلية في كلام الحاكم على معنى مخالفٍ للأصل، فيعتبرون المثلية في الأعيان لا في الأوصاف، فيكون قوله: «بمثلها» أي بمثل رواتها. واحتجوا لذلك بأن الحاكم يُخَرِّج الحديث برواتها أو أحدهما ثم يقول: صحيح على شرطهما أو شرط أحدهما، وإذا خرَّجه برواة ليسوا من رجالهما فإنه لا يقول ذلك.

مثاله: حديث أبي عثمان عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تُنزع الرحمة إلا من شقي» أخرجه الحاكم في «المستدرک» وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ الإسناد، وأبو عثمان هذا ليس هو النهدي، ولو كان هو النهدي لحكمتُ بالحديث على شرط الشيخين^(٧).

وهذا مذهبٌ مشهور، يمكن تطبيقه على الأحاديث التي لم يخرجها الشيخان، والحكمُ عليها بأنها على شرطهما أو شرط أحدهما، بدون عناءٍ كبير.

بخلاف المذهب الأول، فإن تطبيقه يقتضي الإحاطة بأحوال الرواة وأوصافهم، ثم معرفة الشرائط التي تحرَّرها الشيخان في كتابيهما، وتنزيل ذلك على كلِّ حديث لم يخرجاه، وهذا في غاية الصعوبة، إن لم يكن متعذراً.

قال العلامة الدكتور إبراهيم بن الصديق: لا أكون مبالغاً إذا قلتُ إن أحداً لم يفعل هذا

(١) معرفة أنواع علم الحديث (ص ١٦٤).

(٢) إرشاد طلاب الحقائق (ص ١٢٤).

(٣) الإمام بأحاديث الأحكام (٥٧٢)، (٦١٩)، (١٢٠١)، ونصب الراية للزيلعي (٤١٦/٢). والتقييد والإيضاح (ص ١٨)، وشرح التبصرة والتذكرة (٦٦/١).

(٤) التقييد والإيضاح (ص ١٨)، والنكت للزركشي (١٩٨/١).

(٥) الجواهر والدرر للسخاوي (٨٩٥/٢).

(٦) إبراز الوهم المكنون (ص ٧٤)، والمداوي (١٦١/١)، ودر الغمام الرقيق (ص ٦١).

(٧) المستدرک (٢٧٧/٤).



منذ وجود الكتابين، ومن هنا كانت هذه المدرسة التي انتمى إليها عدد

من العلماء مدرسةً نظريةً محضة، لا يمكن تطبيق نظريتها بحال من الأحوال^(١).

لكن ينبغي أن يُخصَّصَ هذا المذهبُ بالرواة الذين لم يُعرفُوا بجرح، كالتدليس، أو الاختلاط، أو رُمُوا بالبدعة، أو ضُعِّفُوا في بعض الشيوخ، فإن هؤلاء إنما خرجوا لهم الشيخان انتقاءً من صحيح أحاديثهم التي وافقوا فيها الثقات.

قال ابن الصلاح في «المقدمة»: واعتنى الحاكم أبو عبد الله الحافظ بالزيادة في عدد الحديث الصحيح، على ما في «الصحيحين»، وجمع ذلك في كتاب سماه «المستدرک» أودعه ما ليس في واحدٍ من «الصحيحين» مما رآه على شرط الشيخين، قد أخرجاً عن رواته في كتابيهما^(٢).

وقال النووي في «الإرشاد»: ومعنى كونه على شرطهما أنها أخرجاً لرواته في صحيحيهما^(٣). قال العراقي: أخذ النووي هذا من مقدمة ابن الصلاح^(٤).

فظاهر كلام ابن الصلاح أن مراد الحاكم بشرطهما رجالهما، من غير اعتبارٍ لأُمور أخرى، لكنه ذكر في «صيانة صحيح مسلم» أن النظر في كيفية الرواية لا بُدَّ منه. وسأُنقل نص كلامه قريباً.

وأقرَّه النووي في مقدمة «المنهاج»^(٥).

قال العراقي: وعلى هذا عمل ابن دقيق العيد^(٦) فإنه ينقل عن الحاكم تصحيحه الحديث على شرط البخاري مثلاً ثم يعترض عليه بأن فيه فلاناً ولم يخرج له البخاري.

(١) المستدرک على الصحيحين وما قيل حول شرطهما (ص ١٣). للدكتور إبراهيم بن الصديق.

(٢) معرفة أنواع علم الحديث (ص ١٦٤).

(٣) إرشاد طلاب الحقائق (ص ١٢٤).

(٤) شرح التبصرة والتذكرة (١/٦٦).

(٥) شرح مسلم للنووي (١/٢٤).

(٦) انظر الإمام بأحاديث الأحكام (٥٧٢)، (٦١٩)، (١٢٠١)، ونصب الراية للزيلعي (٢/٤١٦).



وكذلك فعل الذهبي في «مختصر المستدرک»^(١).

وهل يعتبر ابن دقيق العيد كيفية الرواية، أم يكتفي بوجود رجالها فقط؟

تصرّفه في كتابه «الاقتراح» يُرشد إلى الأول، فإنه ذكر أحاديث صحيحة من الصحيح المتفق عليه والمختلف فيه، وقسمها إلى سبعة أقسام: القسم الأول: المتفق على إخرجه في صحيح البخاري ومسلم، وذكر فيه أربعين حديثاً. والقسم الثاني: ما انفرد به البخاري، وذكر فيه أربعين حديثاً. والقسم الثالث: ما انفرد به مسلم وذكر فيه أربعين حديثاً. والقسم الرابع: أحاديث رواها من أخرج له الشيخان في صحيحهما ولم يخرجها تلك الأحاديث، وذكر أربعين حديثاً. والقسم الخامس: أحاديث رواها قومٌ خَرَجَ عنهم البخاري في الصحيح، ولم يخرج عنهم مسلم، أو خَرَجَ عنهم مع الاقتران بالغير، وذكر أربعين حديثاً. والقسم السادس: أحاديث أخرج مسلمٌ عن رجالها في الصحيح ولم يحتج بهم البخاري، وذكر أربعين حديثاً. والقسم السابع والأخير: أحاديث يصححها بعض الأئمة ليست من شرط الشيخين، وذكر أربعين حديثاً.

والذي يهمنا من هذه الأقسام وهو القسم الأخير، إذ بالنظر فيه نستنتج مذهبه في شرط الشيخين، لأنه ذكر أنها أحاديث صحيحة وليست على شرطهما.

ولنكتف بذكر مثال واحدٍ نستوضح منه مذهب هذا الإمام، وهو حديث ابن عباس قال: اغتسل بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في جفنة، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليتوضأ منها أو يغتسل، فقالت له: يا رسول الله إني كنت جنباً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الماء لا يجنب». أخرجه الأربعة وصححه الترمذي.

قلت: أخرجه الترمذي في الجامع^(٢) قال: حدثنا قتيبة، قال: حدثنا أبو الأحوص، عن

(١) شرح التبصرة والتذكرة (١/٦٦)، والتقييد والإيضاح (ص ١٨)، والنكت للزركشي (١/١٩٨).

(٢) سنن الترمذي رقم (٦٥).



سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس به.

وهذا سند رجاله رجال مسلم، غير أن مسلماً لم يرو لسماك عن عكرمة في «صحيحه»، من أجل ما قيل فيه من اضطراب روايته عنه خاصة.

وهو حديث صحيح، قال الحافظ في «الفتح»: وقد أعله قوم بسماك بن حرب راويه عن عكرمة، لأنه كان يقبل التلقين، لكن قد رواه شعبة، وهو لا يحمل عن مشايخه إلا صحيح حديثهم^(١).

وإنما لم يجعله ابن دقيق العيد من شرط الشيخين، من أجل أن مسلماً أخرج لسماك لكن من غير روايته عن عكرمة. فدلنا هذا التصرف على طريقة ابن دقيق العيد في التصحيح على شرط الشيخين، وأنه لا يكتفي بوجود رجالهما، بل يعتبر كيفية إخراج صاحبي «الصحيحين» عن الرواة، ورواية بعضهم عن بعض.

وذكر الحافظ ابن حجر في «النكت» أن ابن دقيق العيد قد صرح بذلك^(٢).

ومما يؤيد أن شرطهما رواتهما ما ذكره النووي في مقدمة «المنهاج» نقلاً عن ابن الصلاح قال: إذا كان الحديث رواه كلهم ثقات، غير أن فيهم أبا الزبير المكي مثلاً، أو سهيل بن أبي صالح، أو العلاء بن عبد الرحمن، أو حماد بن سلمة، قالوا فيه: هذا حديث صحيح علي شرط مسلم، وليس بصحيح علي شرط البخاري، لكون هؤلاء علي شرط مسلم ممن اجتمعت فيهم الشروط المعتبرة، ولم يثبت عند البخاري ذلك فيهم، وكذا حال البخاري فيما أخرجه من حديث عكرمة مولى ابن عباس، وإسحاق بن محمد الفروي، وعمرو بن مرزوق، وغيرهم ممن احتج بهم البخاري ولم يحتج بهم مسلم^(٣).

(١) فتح الباري (١/ ٣٠٠).

(٢) النكت لابن حجر (١/ ٣١٥).

(٣) صيانة صحيح مسلم (ص ٧٣ / ٧٤)، وشرح مسلم للنووي (١/ ١٥).



ونقل الحافظ ابن حجر عن الحافظ صلاح الدين العلائي أنه ذكر في مقدمة كتاب «الأحكام» أن مراد الحاكم بقوله: على شرط فلان، أن رجال ذلك السند يكون من نسب إليه الشرط أخرج لكل منهم احتجاجاً. هذا هو الأصل، وقد يتسامح الحاكم، فيُغضى عمن يتفق أنه وقع في السند ممن هو في مرتبة من أخرج له، وإن لم يكن عينه، وذلك قليلاً بالنسبة إلى المثل، وتراه يُنوع العبارة، فتارة يقول: على شرطهما، وذلك حيث يتفرد أحدهما بالتخريج لراوٍ من ذلك السند، كعكرمة بالنسبة للبخاري، وحماد بن سلمة بالنسبة لمسلم، ففي الأول يقول: على شرط البخاري، وفي الثاني يقول: على شرط مسلم، كما لو اتفق أنهما أخرجاً للجميع، فيقول: على شرطهما. ومتى كان أكثر السند ممن لم يُخرج له، قال: صحيح الإسناد ولا ينسبه إلى شرط واحدٍ منهما، وربما أورد الخبر، ولا يتكلم عليه، فكأنه أراد تحصيله، وآخر التنقيب عليه، فعُوجِلَ بالموت من قبل أن يتقن ذلك^(١).

قال الحافظ أحمد الغماري: قول الحاكم: «صحيح على شرط البخاري ومسلم»: فمراده رجالهما، فإذا كان الرجال رويًا لهم جميعاً فهو على شرطهما، وإذا كان في السند رجلٌ واحدٌ روى له أحدهما فقط فهو على شرطه فقط، ولو كان باقي السند على شرطهما، لأن الحكم في السند للأقل على الأكثر كما هو معلوم^(٢).

أما الثالث: وهو أن يكون رجالُ إسناده رجالهما مع مراعاة كيفية رواية بعضهم عن بعض: فاختره ابنُ الصلاح في «صيانة صحيح مسلم» وأقرّه النووي في مقدمة «المنهاج»، واختاره تقي الدين ابنُ تيمية، وابنُ عبد الهادي. وهو الأحوط والأقوى.

قال ابن الصلاح: من حكم لشخصٍ بمجرد رواية مسلم عنه في «صحيحه» بأنه من شرط الصحيح عند مسلم فقد غفل وأخطأ، بل ذلك يتوقف على النظر في أنه كيف روى

(١) الجواهر والدرر (٢/ ١٩٥).

(٢) در الغمام الرقيق (ص ٦١).



عنه، وعلى أي وجهٍ روى عنه^(١).

وهو اختيار الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» قال رحمه الله: ثم يُقدَّم في الأرجحية من حيث الأصحية ما وافقه شرطُهما، لأن المراد به رواتهما مع باقي

شروط الصحيح^(٢). أي من الضبط والعدالة ونفي الشذوذ والعلة.

وسئل تقي الدين ابن تيمية عن شرط البخاري ومسلم فأجاب: وأما شرط البخاري ومسلم، فلهذا رجالٌ يروي عنهم يختصُّ بهم، ولهذا رجالٌ يروي عنهم يختصُّ بهم، وهما مشتركان في رجال آخرين، وهؤلاء الذين اتَّفقا عليهم، عليهم مدارُ الحديث المتفق عليه.

وقد يروي أحدهم عن رجلٍ في المتابعات والشواهد دون الأصل، وقد يروي عنه ما عَرَفه من طريق غيره، ولا يروي ما انفرد به، وقد يترك من حديث الثقة ما عَلِم أنه أخطأ فيه، فيظنُّ من لا خبرة له أن كُلَّ ما رواه ذلك الشخص يَحْتَجُّ به أصحابُ الصحيح، وليس الأمر كذلك، فإن معرفة علل الحديث علمٌ شريفٌ يعرفه أئمة الفن: كيحيى بن سعيد القطان، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، والبخاري صاحب الصحيح، والدارقطني وغيرهم. وهذه علوم يعرفها أصحابها^(٣).

وقال ابن عبد الهادي: واعلم أن كثيراً ما يروي أصحابُ الصحيح حديثُ الرجل عن شيخٍ معينٍ لخصوصيته به، ومعرفة به حديثه، وضبطه له، ولا يُخرجون حديثه عن غيره، لكونه غير مشهورٍ بالرواية عنه، ولا معروفٍ بضبط حديثه، أو لغير ذلك، فيجيء من لا تحقيق عنده، فيرى ذلك الرجل المخرَّج له في الصحيح قد روى حديثاً عمَّن خرَّج له في الصحيح من غير طريق ذلك الرجل، فيقول: هذا على شرط الشيخين، أو على شرط البخاري، أو على شرط مسلم، لأنهم احتجوا بذلك الرجل في الجملة.

(١) صيانة صحيح مسلم (ص ١٠٠)، وشرح مسلم للنووي (١/٢٦).

(٢) نزهة النظر لابن حجر (ص ٥٩).

(٣) مجموع الفتاوى (١٨/٤٢).



وهذا فيه نوعٌ تساهل، فإن صاحبي الصحيح لم يحتجوا به إلا في شيخٍ معينٍ لا في غيره، فلا يكون على شرطهما^(١).

مثاله: أخرج البخاري ومسلم حديث «خالد بن مخلد القَطَواني» عن سليمان بن بلال، وعلي بن مُسَهَر وغيرهما، ولا يخرجان حديثه عن عبد الله بن المثنى.

وابن المثنى من رجال البخاري، لكنه روى له من غير رواية خالد عنه.

فإذا قال قائلٌ في حديثه عن عبد الله بن المثنى: هذا على شرط البخاري، لأن كلاً من خالد وعبد الله قد روى لهما البخاري، فيكون فيه نوع تساهل.

أخرج الدارقطني في «السنن» من طريق خالد بن مخلد، عن عبد الله بن المثنى، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، قال: أوَّلُ ما كُرِهت الحِجَامَةُ للصَّائِمِ أن جعفر بن أبي طالب احتجم وهو صائم، فمر به النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «أفطر هذان»، ثم رخص النبي صلى الله عليه وسلم بعدُ في الحِجَامَةِ للصَّائِمِ، وكان أنس يحتجم وهو صائم. فهذا السند رجاله كلُّهم ثقاتٌ، لكنه ليس على شرط البخاري، لأن خالداً غير مشهورٍ بالرواية عن عبد الله بن المثنى.

مثال آخر: أخرج مسلم حديث «سُوَيْد بن سعيد»، عن حفص بن ميسرة الصنعاني، مع أن سويداً ممن كَثُرَ الكلام فيه واشتهر، لأن نسخة حفص ثابتةٌ عند مسلم من طريق غير سويد لكن بُزُول، وهي عنده من رواية سويد بعلوٍّ، فلذلك رواها عنه، فليس لقائل أن يقول في كل حديثٍ رواه سويد بن سعيد عن رجل روى له مسلم من غير طريق سويد عنه: هذا على شرط مسلم.

وذهب شيخُ مشايخنا الحافظ أحمد بن الصديق الغماري في «إبراز الوهم المكنون» إلى أن شرطهما رجالهما مع مراعاة ما اعتبره الشيخان من المتابعات والشواهد، أو ثبوت أصل

(١) الصارم المنكي (ص ١٩٤/١٩٥).



الحديث من غير طريق الراوي المتكلم فيه، لكن ذلك ليس على إطلاقه، بل هو خاصٌّ بما إذا كان في رجال إسناده الحديث ممن خرَّجا عنهم من تُكَلِّم فيه.

قال رحمه الله: ومن المعلوم أن شرطهما رجالهما الذين أخرجنا عنهم في «صحيحهما»، فمتى وُجد حديثٌ خارج «الصحيحين» رجال إسناده رجالهما كان على شرطهما، أو مُخرَّج عنهم في أحدهما دون الآخر كان على شرطه.

فإن قلت: إن من رجالهما من فيه ضعفٌ، أو هو ضعيفٌ، وإنما أخرجنا عنه لوجود المتابعة، أو ثبوت أصل حديثه من غير طريقه، وإنما اختارا الرواية عنه لنكتة كالعلو ونحوه، وحينئذ لا يُحكم لكل حديثٍ رجالٌ إسناده رجالهما بأنه على شرطهما كما صرح به ابن الصلاح في شرح مسلم، ونقله عنه النووي في مقدمة المنهاج.

قلت: نعم الأمر على ما ذكر ابن الصلاح، وأنه لا ينبغي أن يُحكم لحديثٍ بما ذكر إلا بعد مراعاة ما راعاه واعتبره الشيخان من وجود المتابعات والشواهد وثبوت أصل الحديث، لكن ليس ذلك على إطلاقه أيضاً، بل هو خاصٌّ بما إذا كان في رجال إسناده الحديث ممن خرَّجا عنهم من تُكَلِّم فيه، وإلا فالحكم على إطلاقه بعد المعرفة التامة بأحوال الرجال، والعناية الكاملة، والتبصر الكافي بالعلل الظاهرة والخفية^(١). وهذا كلامٌ في غاية الظهور.



(١) إبراز الوهم المكنون (ص ٧٤ / ٧٥).

الفصل الثامن

منهج الحاكم في «المستدرک»

قال ابن الصلاح في «المقدمة»: واعتنى الحاكم أبو عبد الله الحافظ بالزيادة في عدد الحديث الصحيح على ما في الصحيحين وجمع ذلك في كتاب سماه «المستدرک» أودعه ما ليس في واحدٍ من «الصحيحين» مما رآه على شرط الشيخين، قد أخرجاً عن رواته في كتابيهما، أو على شرط البخاري وحده، أو على شرط مسلم وحده، وما أدى اجتهاده إلى تصحيحه، وإن لم يكن على شرط واحدٍ منهما. وهو واسع الخطو في الشرط الصحيح، متساهلٌ في القضاء به. فالأولى أن نتوسط في أمره، فنقول: ما حكم بصحته ولم نجد ذلك فيه لغيره من الأئمة، إن لم يكن من قبيل الصحيح، فهو من قبيل الحسن يُحتج به ويعمل به، إلا أن تظهر فيه علةٌ توجب ضعفه^(١).

وتبعه على رأيه هذا النووي في «التقريب»، فقال: واعتنى الحاكم بضبط الزائد عليهما، وهو متساهلٌ، فما صححه ولم نجد فيه لغيره من المعتمدين تصحيحاً ولا تضعيفاً حكّمنا بأنه حسنٌ، إلا أن يظهر فيه علةٌ توجب ضعفه^(٢).

قال السيوطي: والعجب من النووي كيف تابع ابن الصلاح في هذه المسألة، ثم

خالفه في المبني عليها^(٣). يعني: مسألة التصحيح.

وتعقبه القاضي بدر الدين بن جماعة، فقال في مختصره «المنهل الروي»: وفي قوله: «يُجعل حسناً» نظر، بل ينبغي أن يُتبع في أصله وسنده وسلامته، ثم يحكم عليه بحاله^(٤). أي: من

(١) معرفة أنواع علم الحديث (ص ١٦٤).

(٢) التقريب والتيسير (ص ٢٦ / ٢٧).

(٣) تدريب الراوي (٢ / ٣٨٧).

(٤) المنهل الروي لابن جماعة (ص ٨٩ - الفجي).

الصحة أو الحسن أو الضعف.

ووافقه العراقي في «تقييده» وقال: وهذا هو الصواب، إلا أن الشيخ أبا عمرو رحمه الله رَأْيُهُ أنه قد انقطع التصحيح في هذه الأعصار، فليس لأحد أن يُصحح، فلهذا قطع النظر عن الكشف عليه^(١).

❁ كلام الأئمة حول تساهل الحاكم في الحكم على الأحاديث:

اتَّفقت كلمةُ الأئمة على أن الحاكم أبا عبد الله متساهلٌ في الحكم على الأحاديث، وشنَّعوا عليه كثيراً إدخاله أحاديثٍ ساقطةً وموضوعةً في «مستدركه» على «الصحيحين»، ألزم بها الشيخين، حتى قال الذهبي في «تذكرة الحفاظ»: لا ريب أن في «المستدرك» أحاديثٌ ليست على شرط الصحة، بل فيه أحاديثٌ موضوعةٌ شأن «المستدرك» بإخراجها فيه ... وليته لم يصنّف «المستدرك» فإنه غَضَّ من فضائله بسوء تصرفه^(٢).

وقال ابن الصلاح: هو واسع الخطو في شرط الصحيح، متساهلٌ في القضاء به^(٣).

وقال النووي في «الإرشاد»: والحاكم رحمه الله متساهلٌ في التصحيح، معروفٌ عند أهل العلم بذلك، والمشاهدة تدل عليه^(٤).

وقال في «شرح المذهب»: اتفق الحفاظ على أن تلميذه البيهقي أشدَّ تحريماً منه^(٥).

وقال أبو بكر الحازمي: ابنُ حبان أمكنُ في الحديث من الحاكم^(٦).

(١) التقييد والإيضاح (ص ١٨)، وفتح المغيث للسخاوي (١/ ٦٣)، وتدريب الراوي (٢/ ٣٨٦ / ٣٨٧).

(٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٦٤ / ١٦٥).

(٣) مقدمة ابن الصلاح (ص ١٦٤).

(٤) إرشاد طلاب الحقائق (ص ١٢٤)، والتقريب (ص ٢٦).

(٥) شرح المذهب للنووي (١/ ٢٦٨)، (٤/ ٥٤٦)، (٥/ ٣٥)، وتدريب (٢/ ٣٧٧).

(٦) شروط الأئمة الخمسة (ص ١٣٣)، والتقييد والإيضاح (ص ١٨)، وشرح التبصرة والتذكرة (١/ ٥٦).



وقال ابن دحية في «العلم المشهور»: يجب على أهل الحديث أن يتحفظوا من قول الحاكم، فإنه كثير الغلط، ظاهر السقط، وقد غفل عن ذلك كثير ممن جاء بعده، وقلده في ذلك^(١).

ومن نص على تساهله أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية: قال: أهل العلم متفقون على أن الحاكم فيه من التساهل والتسامح في باب التصحيح، حتى إن تصحيحه دون تصحيح الترمذي، والدارقطني، وأمثالهما بلا نزاع، فكيف بتصحيح البخاري، ومسلم، بل تصحيحه دون تصحيح أبي بكر ابن خزيمة، وأبي حاتم بن حبان البستي، وأمثالهما، بل تصحيح الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي في «مختارته» خير من تصحيح الحاكم، فكتابه في هذا الباب خير من كتاب الحاكم بلا ريب عند من يعرف الحديث، وتحسين الترمذي أحياناً يكون مثل تصحيحه أو أرجح^(٢).

وقال في «قاعدة جلية»: أهل العلم بالحديث لا يعتمدون على مجرد تصحيح الحاكم، وإن كان غالب ما يصححه فهو صحيح، لكن هو في المصححين بمنزلة الثقة الذي يكثر غلظه، وإن كان الصواب أغلب عليه، وليس فيمن يصحح الحديث أضعف من تصحيحه. بخلاف أبي حاتم بن حبان البستي، فإن تصحيحه فوق تصحيح الحاكم وأجل قدراً.

وقال ابن القيم في «الفروسية»: لا يعبأ الحفاظ أطباء علل الحديث بتصحيح الحاكم شيئاً، ولا يرفعون به رأساً ألبتة، بل لا يعدل تصحيحه، ولا يدل على حسن الحديث، بل يُصححُ أشياء موضوعاً بلا شك عند أهل العلم بالحديث، وإن كان مَنْ لا علم له بالحديث لا يعرف ذلك، فليس بمعيارٍ على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يعبأ أهل الحديث به شيئاً.

والحاكم نفسه يُصحح أحاديث جماعة وقد أخبر في كتاب «المدخل» له أنه لا يُحتج بهم، وأطلق الكذب على بعضهم، هذا مع أن مستند تصحيحه ظاهر سنده، وأن رواته ثقات،

(١) نصب الراية للزيلعي (١/٣٤١).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٢/٤٢٦).



ولهذا قال: صحيح الإسناد. وقد علم أن صحة الإسناد شرط من شروط صحة الحديث، وليست موجبة لصحته، فإن الحديث إنما يصح بمجموع أمور، منها: صحة سنده، وانتفاء عِلَّتِهِ، وعدم شذوذه ونكارتة، وأن لا يكون راويه قد خالف الثقات أو شذَّ عنهم^(١).

وقال ابن كثير: وقد التزم ابن خزيمة وابن حبان الصحة، وهما خير من المستدرک بكثير، وأنظف أسانيد ومتوناً^(٢).

وفي «نصب الراية» للزيلعي: صاحبها الصحيح إذا أخرجنا لمن تُكَلِّم فيه فإنهم ينتقون من حديثه ما تُوبع عليه وظهرت شواهده، وعلم أن له أصلاً، ولا يروون ما تفرَّد به، سيما إذا خالفه الثقات، كما أخرج مسلم لأبي أويس حديث: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي» لأنه لم يتفرَّد به، بل رواه غيره من الأثبات كمالك، وشعبة، وابن عيينة، فصار حديثه متابعة.

وهذه العلة راجت على كثير ممن استدرک على «الصحيحين» فتساهلوا في استدراكهم، ومن أكثرهم تساهلاً الحاكم أبو عبد الله في كتابة «المستدرک». فإنه يقول: هذا حديث على شرط الشيخين أو أحدهما. وفيه هذه العلة، إذ لا يلزم من كون الراوي محتجاً به في «الصحيح» أنه إذا وُجد في أي حديث كان ذلك الحديث على شرطه، لما بيَّناه.

بل الحاكم كثيراً ما يجيء إلى حديث لم يُجَرِّج لغالب رواته في «الصحيح»، كحديث روي عن عكرمة عن ابن عباس، فيقول فيه: هذا حديث على شرط البخاري. يعني لكون البخاري أخرج لعكرمة، وهذا أيضاً تساهل.

وكثيراً ما يُخرج حديثاً بعض رجاله للبخاري وبعضهم لمسلم، فيقول: هذا على شرط الشيخين. وهذا أيضاً تساهل.

وربما جاء إلى حديث فيه رجل قد أخرج له صاحباً «الصحيح» عن شيخ معين لضبطه

(١) الفروسية لابن القيم (ص ١٨٦ / ١٨٧).

(٢) اختصار علوم الحديث (١ / ١٠٩).



حديثه وخصوصيته به، ولم يُخرج حديثه عن غيره لضعفه فيه، أو لعدم ضبطه حديثه، أو لكونه غير مشهور بالرواية عنه، أو لغير ذلك، فيخرجه هو عن غير ذلك الشيخ، ثم يقول: هذا على شرط الشيخين أو البخاري أو مسلم. وهذا أيضاً تساهل، لأن صاحبي «الصحيح» لم يحتجاً به إلا في شيخ معين، لا في غيره، فلا يكون على شرطهما. وهذا كما أخرج البخاري ومسلم حديث خالد بن مخلد القَطَوَانِي، عن سليمان بن بلال وغيره، ولم يخرج حديثه عن عبد الله بن المثنى، فإنَّ خالداً غير معروف بالرواية عن ابن المثنى، فإذا قال قائلٌ في حديث يرويه خالد بن مخلد عن ابن المثنى: هذا على شرط البخاري ومسلم كان متساهلاً.

وكثيراً ما يجيء إلى حديث فيه رجلٌ ضعيفٌ أو متَّهمٌ بالكذب، وغالب رجاله رجالٌ الصحيح، فيقول: هذا على شرط الشيخين أو البخاري أو مسلم. وهذا أيضاً تساهلٌ فاحش، ومن تأمل كتابه «المستدرک» تبين له ما ذكرناه^(١).

وقال الحافظ العراقي في «ألفيته»: وكالمستدرک على تساهل ..

وقال العيني في «البنية»: قد عُرف تساهله وتصحيحه للأحاديث الضعيفة بل الموضوعية^(٢).

وذكر الحافظ ابن حجر: أن الحاكم متساهلاً في التصحيح، وتساهله أعدم الانتفاع بكتابه^(٣).

وقال الشيخ زكرياء الأنصاري في «فتح الباقي»: هو معروفٌ عند أهل العلم بالتساهل في الصحيح^(٤).

(١) نصب الراية للزيلعي (١/٣٤١)، وهو مأخوذ من كلام ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي» (ص ١٩٤/١٩٥).

(٢) البنية شرح الهداية (٢/٢٠٧)، والأجوبة الفاضلة (ص ٨٠).

(٣) النكت الوفية (١/٥٤٩)، والتدريب (٣/٤٥١).

(٤) فتح الباقي (١/٥٥).



وقال أبو سعيد الماليني: طالعتُ «المستدرک» على الشيخين الذي صنّفه الحاکم من أوله إلى آخره فلم أجد فيه حديثاً على شرطهما.

قال الحافظ الذهبي: وهذا غلو وإسراف، وإلا ففي «المستدرک» جملةٌ وافرةٌ على شرطهما، وجملةٌ كثيرةٌ على شرط أحدهما، ومجموع ذلك نحو نصف الكتاب، وفيه نحو الربع مما صحّ سنّده، وفيه بعضُ الشيء معلّل، وما بقي مناكير وواهيات لا تصح، وفي ذلك بعض موضوعات أفردتها بجزء^(١).

❁ سبب تساهل الحاکم في «مستدرکه»:

ما ذكر به الحاکم من التساهل هو خاص بكتابه «المستدرک» دون كتبه الأخرى.

قال الحازمي: والحاکم أبو عبد الله أحد أركان الحديث، وممن خرّج التخاريج الكثيرة، وكتابه المؤلف في الأسماء والكنى يشهد له بتبحره في علم الصنعة^(٢).

قال في التنكيل: فكتبه في الجرح والتعديل لم يغمزه أحدٌ بشيء مما فيها فيما أعلم^(٣).

❁ فما الذي جعل الحاکم يهمل ويخطئ في «مستدرکه» حتى وُصف بالتساهل؟

قال الحافظ في «لسان الميزان»: والحاکم أجلُّ قدراً، وأعظم خطراً، وأكبر ذكراً من أن يُذكر في الضعفاء، لكن قيل في الاعتذار عنه: أنه عند تصنيفه للمستدرک كان في أواخر عمره، وذكر بعضهم أنه حصل له تغيرٌ وغفلةٌ في آخر عمره، ويدل على ذلك أنه ذكر جماعةً في كتاب «الضعفاء» له، وقطع بترك الرواية عنهم، ومنع من الاحتجاج بهم، ثم أخرج

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (٨٩/٩)، وسير أعلام النبلاء (١٧/١٧٥/١٧٦)، وطبقات الشافعية للسبكي

(٤/١٦٥)، والنكت لابن حجر (٣١٢/١)، والتدريب (٨١/١)، وتوضيح الأفكار (٦٦/).

(٢) شروط الأئمة الخمسة (ص ١٢٢).

(٣) التنكيل (٤٥٩/١).



أحاديث بعضهم في «مستدركه» وصححها^(١).

وقال أيضاً: إنما وقع للحاكم التساهل لأنه سَوَّدَ الكتاب لِيُنْقَحَ فأعجلته المنية، أو لغير ذلك، قال: ومما يؤيد الأول أني وجدت في قريب نصف الجزء الثاني من تجزئة ستة من «المستدرك»: إلى هنا انتهى إملاء الحاكم.

قال: وما عدا ذلك من الكتاب لا يوجد عنه إلا بطريق الإجازة، فمن أكبر أصحابه، وأكثر الناس له ملازمة البيهقي، وهو إذا ساق عنه من غير المُمْلَى شيئاً لا يذكره إلا بالإجازة. قال: والتساهل في القدر المُمْلَى قليل جداً بالنسبة إلى ما بعده^(٢).

وقال في موضع آخر: وقد وقفتُ على نسخة من «المستدرك» في ست مجلدات، فوجدت في هامش صفحة من أثناء النصف الثاني من المجلد الثاني: «إلى هنا انتهى الحافظ الحاكم». ففهمت من هذا أنه قد حرر من أول الكتاب إلى هنا، وأن الباقي استمر بغير تحرير^(٣).

وفي «فتح المغيث» للسخاوي: تساهل الحاكم بإدخاله في «المستدرك» عدة موضوعات حمَلَهُ على تصحيحها: إما التعصُّب، لما رُوي به من التشيع، وإما غيره، فضلاً عن الضعيف وغيره، بل يقال: إن السبب في ذلك أنه صَنَّفَه في أواخر عمره، وقد حصلت له غفلة وتغَيَّرَ، أو أنه لم يتيسر له تحريره وتنقيحه، ويدل له أن تساهله في قدر الخمس الأول منه قليل جداً بالنسبة لباقيه، فإنه وجد عنده: إلى هنا انتهى إملاء الحاكم^(٤).

أشار ابن حجر والسخاوي إلى ثلاثة أسباب:

الأول: ما عُرِف به من التشيع حمَله على تصحيح أحاديث ضعيفة لنصرة مذهبه.

(١) لسان الميزان (٧/٢٥٦/٢٥٧).

(٢) النكت الوفية (١/١٤١/١٤٢).

(٣) الجواهر والدرر (٢/٨٩٦).

(٤) فتح المغيث للسخاوي (١/٦٢).



الثاني: أنه صنف «المستدرک» في أواخر عمره بعدما ضعف وحصل له تغير.

الثالث: أن المنية أدركته قبل أن يُنقح كتابه ويحرره ويهذهبه.

وقوله: إن سبب تساهله هو تعصبه لمذهب الشيعة، ردّه المعلمي وقال: لا أرى الذنب للتشيع، فإنه يتساهل في فضائل بقية الصحابة كالشيخين وغيرهم^(١).

لكن ميله إلى التشيع جعله يتساهل في بعض الأحاديث ويستدرکها على الشيخين كحديث الطير، وقد أنكر عليه أصحاب الحديث ذلك، ولم يلتفتوا فيه إلى قوله، ولا صوبوه في فعله^(٢).

وقال الحافظ أحمد الغماري: إن تساهل الحاكم له بواعث: منها: أنه أملى كتابه إملاء ومات قبل تنقيحه، وإنما نقح منه نحو الربع الأول، ولذلك لا يوجد الموضوع والمنكر إلا فيما بعد ذلك في الثلثين الآخرين، على أن جميع الموضوع فيه نحو مائة حديث، جردها الذهبي في جزء. ومنها: أنه كان متشيعاً فكان يحب أحاديث الفضائل ويروي عن الشيعة تحسناً للظن بهم. ومنها: اجتهاده في توثيق الرجال الذين يضعفهم غيره. ثم بعد هذا كله أوهام لا يسلم منها غالب الناس، وإلا فهو حافظٌ كبيرٌ جداً^(٣).

وذكر الشيخ المعلمي في «التنكيل» خمسة أسباب لتساهل الحاكم نُجملها فيما يلي:

الأول: حرص الحاكم على الإكثار من إخراج الأحاديث، ردّاً على المبتدعة الذين

يقولون بأن جميع ما يصح عندكم من الحديث لا يبلغ عشرة آلاف.

الثاني: أنه يقع له الحديث بسند عال، أو يكون غريباً مما يتنافس فيه المحدثون، فيحرص على إثباته.

(١) التنكيل (١/٤٥٧).

(٢) تاريخ بغداد (٣/٥١٠/٥١١)، والسير (١٧/١٦٨).

(٣) در الغمام الرقيق (ص ٦٩).



الثالث: أنه لأجل السبيين الأولين، ولكي يخفف عن نفسه من التعب في البحث والنظر، لم يلتزم أن لا يخرج ما له علة، وقد أشار إلى ذلك في خطبة كتابه، ولم يصب في هذا، وظاهر كلامه أنه لم يلتفت إلى العلل البتة، وأنه يخرج ما كان رجاله مثل رجالهما وإن لم يغلب على ظنه أنه ليس له علة قاذحة.

الرابع: أنه لأجل السبيين الأولين توسع في معنى قوله: «بأسانيد يحتج بمثلها»، فبنى على أن في رجال الصحيحين مَنْ فيه كلام، فأخرج عن جماعة يعلم أن فيهم كلاماً.

الخامس: أنه شرع في تأليف «المستدرک» بعد أن بلغ عمره اثنتين وسبعين سنة وقد ضعفت ذاكرته، وكان تحت يده كتبٌ أخرى يصنفها مع «المستدرک»، وكان حريصاً على إتمامها قبل موته، فحصلت له أوهام^(١).

ومنهج الحاكم في «المستدرک» على الصحيحين يصعب ضبطه دون نسبة واضعه إلى الوهم، فإنه قد أودع كتابه ما ليس في واحدٍ من «الصحيحين»، مما رآه على شرط الشيخين، أو أحدهما، وما أدى اجتهاده إلى تصحيحه، وإن لم يكن على شرط واحدٍ منهما.

واعترض عليه بأن فلاناً لم يخرج له الشيخان، أو أحدهما، كما يفعله الذهبي في «تلخيصه»، والمندري في «ترغيبه»، وغيرهما.

وساق ابن القيم في «المنار المنيف» حديثاً من طريق محمد بن إسحاق، قال: ذكر محمد بن مسلم الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فصل الصلاة التي يُستاك لها على الصلاة التي لا يُستاك لها سبعين ضعفاً». ثم قال: قد أخرجه الحاكم في صحيحه وقال: «هو صحيح على شرط مسلم». ولم يصنع الحاكم شيئاً، فإن مسلماً لم يرو في كتابه بهذا الإسناد حديثاً واحداً، ولا احتجَّ بابن إسحاق، وإنما أخرج له في المتابعات والشواهد، وأما أن يكون ذكر ابن إسحاق عن الزهري من شرط مسلم فلا،

(١) التنكيل (١/٤٥٧).



وهذا وأمثاله هو الذي شان كتابه ووضع، وجعل تصحيحه دون تحسين غيره^(١).

وهذا جنوحٌ منهم إلى أن الحاكم يُريد بشرطهما رجالهما.

وردّه العراقي بأنه مخالفٌ لما صرّح به في خطبة كتابه «المستدرک»، حيث يقول: وأنا أستعينُ الله تعالى على إخراج أحاديث رواتها ثقات، قد احتج بمثلها الشيخان، أو أحدهما. فقلوه: «بمثلها»، أي: بمثل رواتها، لا بهم أنفسهم^(٢).

قال الزركشي: فكان ينبغي منازعته في تحقيق المماثلة بين رجاله ورجال «الصحيحين».

نعم القومُ معذورون، فإنه قال عقب أحاديثٍ أخرجها: هو صحيح على شرط مسلم، فقد احتج بفلانٍ، وفلانٍ - يعني المذكورين في سنده - فهذا منه جنوحٌ إلى إرادة نفسٍ رجال الصحيح، وهو يخالف ما ذكره في مقدمة كتابه، ثم إنه خالف الاصطلاحين في أثناء كتابه، وقال لما أخرج التاريخ والسير: ولا بُدَّ لنا من نقل كلام ابن إسحاق والواقدي^(٣).

وهذا الإشكال هو ما جعل العلماء يعترضون عليه.

وما اعتذر به العراقي: أجاب عنه تلميذه ابن حجر بأن تصرف الحاكم يقوي أحد الاحتمالين، فإنه إذا كان عنده الحديث قد أخرجاً أو أحدهما لرواته قال: صحيح على شرط الشيخين، أو أحدهما. وإذا كان بعض رواته لم يُخرج له قال: صحيح الإسناد فحسب.

ويوضح ذلك قوله - في باب التوبة - لما أورد حديث أبي عثمان عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تُنزع الرحمة إلا من شقي». قال: هذا حديثٌ صحيحٌ الإسناد، وأبو عثمان هذا ليس هو النهدي، ولو كان هو النهدي لحكمتُ بالحديث على شرط الشيخين.

(١) المنار المنيف (ص ٢١).

(٢) شرح التذكرة والتبصرة (١/٦٦)، والتقيد والإيضاح (ص ١٨).

(٣) النكت للزركشي (١/١٩٨/١٩٩)، والبحر الذي زخر (٢/٧١١)، والمستدرک (٣/٦٤).

فدّل هذا على أنه إذا لم يخرج لأحد رواية الحديث لا يحكم به على شرطهما، وهو عين ما ادّعى ابن دقيق العيد وغيره.

وإن كان الحاكم قد يغفل عن هذا في بعض الأحيان، فيصحح على شرطهما بعض ما لم يُخرج لبعض رواته، فيحمل ذلك على السهو والنسيان، ويتوجه به حينئذ عليه الاعتراض^(١).

❁ ما هو موضوع «المستدرک»؟

سُئل الحافظ ابن حجر عن «مستدرک» الحاكم هل موضوعه أن يخرج ما هو على شرط الشيخين أو أحدهما ولم يخرجاه، أو أعمّ من ذلك، وهو كلّ حديثٍ صحّ عنده؟

فأجاب: بأن تصرفه يقتضي أنه بنى على الثاني، وهو الأعم، ويُعذر عمّا أُوردَ عليه أن الكتاب بذلك يخرج عن أن يكون مستدركاً على «الصحيحين» بأن يُقال: الأصل فيه أن يخرج ما يستدرک به على «الصحيحين»، وما زاد على ذلك، فهو بطريق التبعيّة، لقصد تحصيل ما يمكن أن يطلق عليه اسم الصحيح، ولو على أدنى الوجوه^(٢).

وللحاكم في مستدركه ثلاثة أحكام على الأحاديث:

الأول: أحاديثٌ صححها على شرط الشيخين أو أحدهما.

الثاني: أحاديثٌ حكم عليها بالصحة دون تقييدها بأحد الكتابين.

الثالث: أحاديثٌ سكت عنها.

أما القسم الأول، فقد اختلفوا فيه، هل المرادُ بشرطهما نفسُ رجال الصحيحين، أو رجالٌ اتصفوا بصفاتٍ تماثل صفاتِ رجالهما.

(١) النكت لابن حجر (١/٣٢٠ / ٣٢١).

(٢) الجواهر والدرر (٢/٨٩٥).



والظاهر من تصرفه في كتابه أنه يريد الأول، فإذا وجدناه يصحح على شرطهما لما لم يُخرّجا لبعض رواته حملناه على السهو والنسيان.

وإذا كان يريد الثاني، فلا اعتراض عليه، ويكون ما صححه مما لم يُخرّجا أو أحدهما لرواته، محمولاً على أن هؤلاء الرواة قد بلغوا في العدالة والضبط مرتبة رجال «الصحيحين» أو أعلى منها، وما صححه مما خرّجا أو أحدهما لرواته فهو كذلك، لأنه مندرجٌ تحت شرطه من باب أولى.

لكن يبقى الاعتراض عليه في تحقق المثلية وعدم تحققها، وهل هي عندهما أو عند غيرهما. ويُعترض عليه أيضاً بأن الشيخين لا يعتبران في التصحيح صفات العدالة والضبط والاتصال فحسب، بل لهما اعتبارات أخرى:

كحال الراوي مع من روى عنه، في كثرة ملازمته، أو قلّتها، أو كونه من بلده، أو غريباً عنه.

وقد ينتقيان من حديث الضعيف ما هو من صحيح حديثه.

وقد يخرجان له في المتابعات والشواهد دون الأصول فلا يكون من شرطهما، إلى غير ذلك من الأمور التي تظهر لمن مارس «الصحيحين» ممارسة دقيقة معمّقة.

واعترض عليه: بأنه يرى رجلاً قد وثّق وشُهد له بالصدق والعدالة، أو حديثه في الصحيح، فيجعل كلّ ما رواه هذا الراوي على شرط الصحيح، وليس كذلك، لأنه إنما يكون على شرط الصحيح إذا انتفت عنه العلل والشذوذ والنكارة، وتوبع عليه، فأما مع وجود ذلك أو بعضه فلا يكون صحيحاً، ولا على شرط الصحيح.

قال ابن الملقن في «البدر المنير»: وفي كونه على شرط مسلم نظر، لأن ابن إسحاق لم يرو له مسلم شيئاً محتجاً به، وإنما روى له متابعة.



وقد عُلِمَ من عادة مسلمٍ وغيره من أهل الحديث أنهم يذكرون في المتابعات من لا يُحتج به للتقوية لا للاحتجاج، ويكون اعتمادُهم على الإسناد الأول، وهذا مشهورٌ معروفٌ عندهم. نعم هذه عادةُ أبي عبد الله الحاكم، يُطلق على من أخرج له في الصحيح استشهاداً ونحوه: أنه على شرطه. كذا استقرأته من «مستدركه»^(١).

قال ابن حجر: لا يكون على شرطهما إلا إذا كان سالماً من العلل، احترازاً عما إذا احتجنا بجميع رواته على صورة الاجتماع، إلا أنَّ منهم من وُصِفَ بالتدليس، أو اختلط في آخر عمره، فإننا نعلم في الجملة أنَّ الشيخين لم يخرجنا من رواية المدلسين بالعنينة إلا ما تحققنا أنه مسموع لهم من جهة أخرى، وكذا لم يخرجنا من حديث المختلطين عمَّن سُمع منهم بعد الاختلاط إلا ما تحققنا أنه من صحيح حديثهم قبل الاختلاط، فإذا كان كذلك لم يجز الحكم للحديث الذي فيه مدلسٌ قد عنعنه، أو شيخٌ سمع ممن اختلط بعد اختلاطه، بأنه على شرطهما، وإن كانا قد أخرجنا ذلك الإسناد بعينه.

إلا إذا صرح المدلسُ من جهةٍ أخرى بالسماع، أو وُضِّح أن الراوي سمع من شيخه قبل اختلاطه، فهذا القسمُ يوصف بكونه على شرطهما أو على شرط أحدهما، ولا يوجد في «المستدرك» حديثٌ بهذه الشروط لم يخرجنا له نظيراً أو أصلاً إلا القليل كما قدمناه، نعم، وفيه جملةٌ مستكثرة بهذه الشروط، لكنها مما أخرجها الشيخان أو أحدهما، استدركها الحاكم واهما في ذلك، ظاناً أنهما لم يخرجاهما.

وكذلك إذا كان إسنادُ الحديث الذي يخرج به قد احتجنا برواته على صورة الانفراد، كسفيان بن حسين عن الزهري، فإنهما احتجنا بكلٍّ منهما، ولم يحتجنا برواية سفيان بن حسين عن الزهري، لأن سماعه من الزهري ضعيف دون بقية مشايخه. فإذا وُجِدَ حديثٌ من روايته عن الزهري لا يقال: على شرط الشيخين، لأنهما احتجنا بكلٍّ منهما، بل لا يكون على

(١) البدر المنير (٢/ ١٥)، وحاشية تدريب الراوي لمحمد عوامة (٢/ ٣٣٤).



شرطهما إلا إذا احتجا بكل منهما على صورة الاجتماع، وكذا إذا كان الإسناد قد احتج كلُّ منهما برجلٍ منه ولم يحتج بآخر منه، كالحديث الذي يُروى عن طريق: شعبة مثلاً، عن سمالك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، فإن مسلماً احتج بحديث سمالك إذا كان من رواية الثقات عنه، ولم يحتج بعكرمة، واحتج البخاري بعكرمة دون سمالك، فلا يكون الإسناد، والحالة هذه، على شرطهما حتى يجتمع فيه صورة الاجتماع، وقد صرح بذلك الإمام أبو الفتح القشيري وغيره.

وكذلك إذا كان إسناد الحديث قد أخرجاً لجميع رواته لا على سبيل الاحتجاج بل في الشواهد والمتابعات والتعليق أو مقروناً بغيره.

ويلحق بذلك ما إذا أخرجاً لرجلٍ وتجنباً ما تفرد به، أو ما خالف فيه. كما أخرج مسلم من نسخة العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة ما لم يتفرد به.

فلا يحسن أن يقال إن باقي النسخة على شرط مسلم، لأنه ما خرَّج بعضها إلا بعدما تبين له أن ذلك مما لم ينفرد به. فما كان بهذه المثابة لا يلحق أفراداً بشرطهما.

وقد عقد الحاكم في كتاب «المدخل» باباً مستقلاً ذكر فيه من أخرج له الشيخان في المتابعات، وعدد ما أخرجاً من ذلك، ثم إنه مع هذا الاطلاع يخرج أحاديث هؤلاء في «المستدرک» زاعماً أنها على شرطهما.

ولا شك في نزول أحاديثه عن درجة الصحيح بل ربما كان فيها الشاذ والضعيف، لكن أكثرها لا ينزل عن درجة الحسن، والحاكم وإن كان ممن لا يفرق بين الصحيح والحسن بل يجعل الجميع صحيحاً تبعاً لمشايعه، كما قدمناه عن ابن خزيمة وابن حبان، فإنما يناقش في دعواه أن أحاديث هؤلاء على شرط الشيخين أو أحدهما. وهذا القسم هو عمدة الكتاب^(١).

ويمكن أن يُعتذر للحاكم بأن هذا اصطلاحٌ له ولا مشاحة فيه، فإن قيل: إنه يصحح على

(١) النكت لابن حجر (١/٣١٤/٣١٧)، والبحر الذي زخر (٢/٨١٤/٨١٩).



«شرط الشيخين» والواجب على من يخوض غمار هذا البحر أن يلتزم بشرطه. فجوابه: أين هو شرط البخاري ومسلم منصوباً عليه؟ بل المعروف أن الشيخين لم يصراً بشرطهما، وإنما هو استنباطٌ استنتجه العلماء بعد السبر لكتابيهما، من غير قطع بأنه شرطهما، والإنكار في الظني غير ملزم.

واعترض عليه: بأنه يُخرَج الحديث ويقول: على شرط الشيخين، أو أحدهما. ويكون الحديث بذلك اللفظ فيهما، أو في أحدهما.

مثاله: حديث حماد بن سلمة، عن حميد، عن بكر بن عبد الله، عن عبد الله بن رباح، عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا عرس بليل اضطجع على يمينه، وإذا عرس قبل الصبح نصب ذراعيه نصباً، ووضع رأسه على كفه. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»^(١). والحديث قد أخرجه مسلم رقم (٦٨٣).

ومنها: حديث موسى بن عقبة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، ومن تحوّل عافيتك، ومن فجأة نقمتك، ومن جميع سخطك». الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»^(٢). وقد أخرجه مسلم رقم (٢٧٣٩).

ومنها: حديث يحيى بن معين، ثنا إسماعيل بن مجالد، عن بيان، عن عروة، عن همام بن الحارث، عن عمار بن ياسر قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وما معه إلا خمسة أعبد، وامرأتان، وأبو بكر. قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»^(٣). والحديث أخرجه البخاري رقم (٣٨٥٧).

(١) المستدرك (١/٦١٣).

(٢) المستدرك (١/٧١٣).

(٣) المستدرك (٣/٤٤٤).

وذكر الزركشي في «النكت» عشرة أمثلة لهذا الوهم^(١).

واعترض عليه: بأنه يدّعي أن الحديث على شرط البخاري، ويكون البخاري قد نص على ضعفه^(٢).

مثاله: حديث سعيد بن عامر، ثنا شعبة، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من وجد تمرًا فليفطر عليه، ومن لا فليفطر على الماء فإنه طهور». قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه^(٣).

وليس كما قال، فإن الترمذي في «العلل» قال: سألت محمدًا عن هذا الحديث، فقال: الصحيح حديث شعبة، عن عاصم، عن حفصة بنت سيرين، عن سلمان بن عامر، عن النبي صلى الله عليه وسلم. وحديث سعيد بن عامر وهم^(٤).

ومنها: حديث عبد الله بن صالح المصري، حدثني يحيى بن أيوب، عن ابن جريج، عن نافع، عن ابن عمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من أذن اثنتي عشرة سنةً وجبت له الجنة، وكُتِبَ له بتأذينه في كل مرة ستون حسنة، وبإقامته ثلاثون حسنة». قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري، وله شاهد من حديث عبد الله بن لهيعة، وقد استشهد به مسلم رحمه الله»^(٥).

قال البيهقي: وقد رواه يحيى بن المتوكل عن ابن جريج عن حدثه، عن نافع قال

(١) النكت للزركشي (١/٢٠١/٢١٠).

(٢) النكت للزركشي (١/٢١٠/٢١٤).

(٣) المستدرک (١/٥٩٦).

(٤) العلل الكبير للترمذي رقم (١٩٤).

(٥) المستدرک (١/٣٢٢).

البخاري: وهذا أشبه^(١). يعني المنقطع.

ومنها: حديث جرير بن حازم، عن ثابت، عن أنس، قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عن المنبر فيعرض له الرجل في الحاجة فيقوم معه حتى يقضي حاجته». قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»^(٢).

وهذا الحديث أخرجه الأربعة^(٣) من جهة جرير، قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث جرير، سمعت محمدًا يقول: وهم جريرٌ في هذا، والصحيح ما روي عن ثابت، عن أنس قال: أقيمت الصلاة، فأخذ رجلٌ بيد النبي صلى الله عليه وسلم، فما زال يكلمه حتى نعس بعض القوم. والحديث هو هذا، وجرير ربما يهمل في الشيء، وهو صدوق^(٤).

أما القسم الثاني: وهي الأحاديث التي حكم عليها بالصحة دون تقييدها بأحد الكتابين، فهو داخلٌ في شرطه الذي ذكره في مقدمة «المستدرک» فقال: وأنا أستعين الله على إخراج أحاديث رواتها ثقات، قد احتج بمثلها الشيخان رضي الله عنهما أو أحدهما، وهذا شرطُ الصحيح عند كافة فقهاء أهل الإسلام: أن الزيادة في الأسانيد والمتون من الثقات مقبولة.

ففي القسم الأول ذكر أحاديث رجالها رجال الشيخين، وجعلها على شرطهما.

وفي القسم الثاني ذكر أحاديث رواتها ثقات مثل رجال الشيخين في العدالة والضبط، ويدخل في هذا القسم أحاديث رواتها عدول، وإن لم تبلغ درجة أحاديث «الصحيحين»، فإن أحاديث هؤلاء مقبولة كما يقول.

وقد اجتهد الحاكم في التصحيح والتضعيف كما اجتهد غيره، فإن كان شرطه فيه تساهلٌ

(١) السنن الكبرى للبيهقي (١/٦٦٣).

(٢) المستدرک (١/٤٢٧).

(٣) أبو داود رقم (١١٢٠)، والترمذي رقم (٥١٧)، والنسائي (٣/١١٠)، وابن ماجه رقم (١١١٧).

(٤) سنن الترمذي (١/٥٢٣).



فقد سبقه إلى ذلك شيخه ابنُ حبان، فالعدل عنده هو من لم يجرحه أحد، وقد صرح الحاكم في «مستدركه» بنحو ذلك فقال عقب حديث ابن عباس في الاستسقاء رقم (١٢١٨): هذا حديثٌ رواه مصريون ومدنيون، ولا أعلم أحداً منهم منسوباً إلى نوعٍ من الجرح، ولم يخرجاه.

وقال عقب حديث رقم (٧٨٨٥): هذا حديثٌ ليس في إسناده أحدٌ منسوبٌ إلى نوعٍ من الجرح، وإذا كان هكذا فإنه صحيح، ولم يخرجاه.

وقال عقب حديث رقم (٨٦٤٤): هذا حديثٌ رواه كلُّهم مدنيون ممن لم يُنسبوا إلى نوعٍ من الجرح.

وذكر حديثاً لكثير بن أبي كثير (٤١٠) ثم قال: «هذا حديث صحيح» فإن كثير بن أبي كثير كوفي سكن البصرة، روى عنه يحيى بن سعيد القطان، وعيسى بن يونس، ولم يُذكر بجرح.

وذكر حديثاً لمصعب بن ثابت رقم (٧٩٨) ثم قال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، فإنهما لم يخرجاه مصعب بن ثابت، ولم يذكره بجرح».

قال ابن حجر: القسم الثالث من أقسام المستدرک:

أن يكون الإسنادُ لم يخرج له لا في الاحتجاج ولا في المتابعات. وهذا قد أكثر منه الحاكم، فيخرج أحاديثَ عن خلقٍ ليسوا في الكتابين ويصححها، لكن لا يدَّعي أنها على شرط واحدٍ منهما، وربما ادَّعى ذلك على سبيل الوهم.

وكثيرٌ منها يُعلَّقُ القول بصحتها على سلامتها من بعض رواياتها. كالحديث الذي أخرجه من طريق الليث، عن إسحاق بن بزرج، عن الحسن بن علي: في التزيين للعيد. قال في أثره: «لولا جهالة إسحاق لحكمت بصحته»^(١).

(١) المستدرک (٤/٢٥٦/٢٥٧).



وكثيرٌ منها لا يتعرض للكلام عليه أصلاً.

ومن هنا دخلت الآفة كثيراً فيما صححه، وقل أن تجد في هذا القسم حديثاً يلتحق بدرجة الصحيح فضلاً عن أن يرتفع إلى درجة الشيخين.

ومن العجيب ما وقع للحاكم أنه أخرج لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وقال بعد روايته: «هذا صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن». مع أنه قال في كتابه الذي جمعه في الضعفاء: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه.

وقال في آخر هذا الكتاب: فهؤلاء الذين ذكرتهم قد ظهر عندي جرحهم، لأن الجرح لا أستحله تقليداً.

قال ابن حجر: فكان هذا من عجائب ما وقع له من التساهل والغفلة^(١).

فإذا كان الأمر كما علمت فإنه لا ينبغي نسبة الحاكم إلى التساهل في شروطه وقواعده وتأصيل أحكامه.

كما لا ينبغي نسبته إلى التساهل في تطبيق الأحكام وتنزيلها على الأحاديث التي يرويها، لما عُلم من أنه لم يتيسر له الوقت لتنقيح كتابه وتحريره^(٢).

تنبيه: من اصطلاحات الحاكم أنه لا يفرق بين الحسن والصحيح^(٣).

وقد قسم الحافظ ابن حجر أحاديث «المستدرک» وحررها تحريراً دقيقاً أسوق كلامه هاهنا لنفاسته. قال رحمه الله تعالى ونفعنا به:

(١) النكت لابن حجر (٣١٩/١).

(٢) حاشية تدريب الراوي لمحمد عوامة (٣٨١/٢).

(٣) النكت (٤٧٩/١)، وفيض اللطيف من أحكام الحديث الضعيف، لمحمد أحناش الغماري (ص ٣٢).

ينقسم المستدرک أقساماً، كل قسم منها يمكن تقسيمه:

الأول: أن يكون إسناد الحديث الذي يخرج منه محتجاً برواته في «الصحيحين» أو أحدهما على صورة الاجتماع سالماً من العلل، واحترازنا بقولنا: على صورة الاجتماع. عما احتج برواته على صورة الانفراد، كسفيان بن حسين عن الزهري، فإنهما احتجا بكل منهما، ولم يحتجا برواية سفيان بن حسين عن الزهري، لأن سماعه من الزهري ضعيفٌ دون بقية مشايخه.

فإذا وُجد حديثٌ من روايته عن الزهري، لا يُقال: على شرط الشيخين، لأنها احتجا بكل منهما. بل لا يكون على شرطهما إلا إذا احتجا بكل منهما على صورة الاجتماع.

وكذا إذا كان الإسناد قد احتج كل منهما برجلٍ منه، ولم يحتج بآخر منه، كالحديث الذي يُروى عن طريق شعبة مثلاً، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، فإن مسلماً احتج بحديث سماك إذا كان من رواية الثقات عنه، ولم يحتج بعكرمة، واحتج البخاري بعكرمة دون سماك، فلا يكون الإسناد والحالة هذه على شرطهما، فلا يجتمع فيه صورة الاجتماع، وقد صرح بذلك الإمام أبو الفتح القشيري وغيره.

واحتزرت بقولي: أن يكون سالماً من العلل. بما إذا احتجا بجميع رواته على صورة الاجتماع إلا أن فيهم من وُصف بالتدليس، أو اختلط في آخر عمره، فإننا نعلم في الجملة أن الشيخين لم يخرجاً من رواية المدلسين بالعننة إلا ما تحقق أنه مسموع لهم من جهة أخرى، وكذا لم يخرجاً من حديث المختلطين عمّن سمع منهم بعد الاختلاط إلا ما تحقق أنه من صحيح حديثهم قبل الاختلاط.

فإذا كان كذلك لم يجز الحكم للحديث الذي فيه مدلسٌ قد عنعنه، أو شيخ سمع ممن اختلط بعد اختلاطه، بأنه على شرطهما، وإن كانا قد أخرجا ذلك الإسناد بعينه. إلا إذا صرح المدلس من جهةٍ أخرى بالسماع، وصح أن الراوي سمع من شيخه قبل اختلاطه، فهذا القسم يوصف بكونه على شرطهما أو على شرط أحدهما.



ولا يوجد في «المستدرک» حديثٌ بهذه الشروط لم يخرجها له نظيراً أو أصلاً إلا القليل كما قدمنا.

نعم، وفيه جملةٌ مستكثرةٌ بهذه الشروط، لكنها مما أخرجها الشيخان أو أحدهما استدركها الحاكم وإهماً في ذلك ظناً أنهما لم يخرجاهما.

القسم الثاني: أن يكون إسنادُ الحديث قد أخرجاً لجميع رواته لا على سبيل الاحتجاج، بل في الشواهد والمتابعات والتعاليق، أو مقروناً بغيره. ويلحق بذلك ما إذا أخرجاً لرجلٍ وتجنبنا ما تفرّد به أو ما خالف فيه.

كما أخرج مسلم من نسخة العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ما لم يتفرّد به.

فلا يحسن أن يقال: إن باقي النسخة على شرط مسلم. لأنه ما خرّج بعضها إلا بعدما تبين له أن ذلك مما لم ينفرّد به. فما كان بهذه المثابة لا يلحق أفرادها بشرطهما.

وقد عقد الحاكم في كتاب «المدخل» باباً مستقلاً ذكر فيه من أخرج له الشيخان في المتابعات، وعدد ما أخرجاً من ذلك، ثم أنه مع هذا الاطلاع يُخرج أحاديث هؤلاء في «المستدرک» زاعماً أنها على شرطهما.

ولا شك في نزول أحاديثه عن درجة الصحيح، بل ربما كان فيها الشاذ والضعيف، لكن أكثرها لا ينزل عن درجة الحسن.

والحاكم وإن كان ممن لا يفرق بين الصحيح والحسن، بل يجعل الجميع صحيحاً تبعاً لمشايعه كما قدمناه عن ابن خزيمة وابن حبان، فإنما يُناقش في دعواه أن أحاديث هؤلاء على شرط الشيخين أو أحدهما. وهذا القسم هو عمدة الكتاب.

القسم الثالث: أن يكون الإسنادُ لم يخرجها له لا في الاحتجاج ولا في المتابعات. وهذا قد



أكثر منه الحاكم، فيخرج أحاديث عن خلق ليسوا في الكتابين ويصححها، لكن لا يدعي أنها على شرط واحدٍ منهما، وربما ادّعى ذلك على سبيل الوهم. وكثير منها يُعلق القول بصحتها على سلامتها من بعض رواياتها. كالحديث الذي أخرجه من طريق الليث، عن إسحاق بن بزرج، عن الحسن بن علي: في التزيين للعيد. قال في أثره: «لولا جهالةُ إسحاق لحكمتُ بصحته». وكثيرٌ منها لا يتعرض للكلام عليه أصلاً.

ومن هنا دخلت الآفة كثيراً فيما صححه، وقلَّ أن تجد في هذا القسم حديثاً يلتحق بدرجة الصحيح فضلاً عن أن يرتفع إلى درجة الشيخين والله أعلم^(١).

❁ دفاع الحافظ السيوطي عن الحاكم:

قال السيوطي: إن الحاكم مظلومٌ في كثير مما نُسب إليه من التساهل.

وقال في «البحر»: قد لخص الذهبي كتاب «المستدرک» فعلق أحاديثه، وتعقب كثيراً منها بالضعف والنكارة والوضع، وجمع جزءاً في الأحاديث التي فيه وهي موضوعة، فذكر نحو مائة حديث، وأملى الحافظ أبو الفضل العراقي عليه «مستخرجاً» وصل فيه إلى أبواب الصلاة، حرر فيه الكلام على أحاديثه تحريراً بالغاً، ورأيتُ في فهرست مؤلفات الحافظ ابن حجر أنه شرع في تعليق على «المستدرک» ولم نقف على شيءٍ منه، وقد شرعتُ في تعليق سميته: «توضيح المدرک في تصحيح المستدرک».

فأقول والله المستعان: إن الحاكم مظلومٌ في كثير مما نُسب إليه من التساهل، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في «نكته» في قسم الحسن أنه اعتبر كثيراً من أحاديث «الصحيحين» فوجدها لا يتم الحكم عليها بالصحة إلا بإدخالها في قسم الصحيح لغيره، من ذلك:

حديث أبي بن العباس بن سهل بن سعد، عن أبيه، عن جده: في ذكر خيل النبي صلى الله عليه وسلم، فإنَّ أبا قد ضعفوه لسوء حفظه، ولكن تابعه أخوه عبد المهيمن، وعبد المهيمن

(١) النكت لابن حجر (١/٣١٤/٣١٨).



ضعيفاً أيضاً فاعتضد، وانضاف إلى ذلك أنه ليس من أحاديث الأحكام، فلهذه الصورة المجموعة حكم البخاري بصحته.

قال: وفي «صحيح البخاري» من ذلك أمثلة كثيرة، وفي «كتاب مسلم» منها أضعاف ما في البخاري، هذا كلام ابن حجر.

وإذا اعتبرت الأحاديث التي صححها الحاكم وتعقبوه بضعف رواة في سندها، وجدتها على هذه الشريطة، لراويها متابع، والحديث ليس من أحاديث الأحكام، فصح بهذا الاعتبار أنه صحيح على شرط البخاري ومسلم، لوجود الشرط الذي اعتمده في التصحيح في كثير من الأحاديث فيه، مع استحضار ما تقدم من أن الحاكم لم يشترط عَيْنَ رواية^(١) الشيخين بل مثلهم، ولهذا لما وصل إلى باب الدعاء والذكر قال: «سوف أجري في «الدعوات» على مذهب ابن مهدي، فإنه قال: إذا رويناه في الحلال والحرام تشددنا في الرجال، وإذا رويناه في الفضائل والمباحات تساهلنا في الأسانيد»، ولما وصل إلى «التاريخ والسير» قال: «لا بد لنا من نقل كلام ابن إسحاق والواقدي»^(٢).

وهذه أمثلة من ذلك: أخرج من طريق الليث، عن عياش القتباني، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر خرج إلى المسجد فوجد معاذاً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقال: ما يبكيك؟ قال: حديث سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اليسير من الرياء شرك، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا، وإن حضروا لم يُعرفوا، قلوبهم مصابيح الدُّجى، يخرجون من كلِّ غبراء مظلمة^(٣).

(١) لعله أراد: رواية الشيخين.

(٢) المستدرك (٣/ ٦٤)، قال الحاكم: «أما الشيخان فإنهما لم يزيدا على المناقب، وقد بدأنا في أول ذكر الصحابي بمعرفة نسبه ووفاته، ثم بما يصح على شرطهما من مناقبه مما لم يخرجاه فلم أستغن عن ذكر محمد بن عمر الواقدي وأقرانه في المعرفة».

(٣) المستدرك (١/ ٤٤).



وقال: «صحيح ولا علة له». وتعقبه الذهبي فقال: «فيه جهالة».

وتعقبه العراقي في «مستخرجه» فقال: علته الانقطاع بين عياش وزيد بن أسلم، فإن بينهما عيسى بن عبد الرحمن بن فروة الزرقى كما ثبت عند «الطبراني»، وسقط عند الحاكم، وعيسى قال فيه البخاري وأبو حاتم: منكر الحديث.

وقال ابن حبان: يروي المناكير عن المشاهير.

وقال العراقي: وله طريق أمثل من هذه، ثم أخرجه من «معجم الطبراني» من وجه آخر عن معاذ، وقال: هذا حديث حسن، لا أعلم في رواته مجروحاً.

فصح قول الحاكم: «إنه صحيح»، لأن له طريقين:

أحدهما: على شرط الحسن، واعتضد بالطريق الآخر وإن كان فيه مقال، وانضم إليه أنه ليس من أحاديث الأحكام، فارتقى إلى درجة الصحة.

وأخرج من طريق حماد بن غسان، عن معن، عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بال قائماً من جرح كان بمأبضه. وتعقبه الذهبي: بأن حماداً ضعفه الدارقطني، ويجاب بأن شاهده حديث الصحيحين عن حذيفة: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سباطة قوم فبال قائماً. فلم يزد في حديث الحاكم إلا بيان العذر، وليس حكماً يُشدد في إسناده، بل فيه موافقة للأحاديث الصحيحة عن عائشة وغيرها في إنكار أنه صلى الله عليه وسلم كان يبول قائماً.

وأخرج عن أنس قال: صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم، وخلف أبي بكر، وخلف عمر، وخلف عثمان، وخلف علي فكلهم كانوا يجهرون بقراءة بسم الله الرحمن الرحيم.

وتعقبه الذهبي فقال: أما استحيى المؤلف أن يورد هذا الحديث الموضوع، فأشهد بالله والله إنه كذب.



واعترض العراقي كلام الذهبي بأنه ليس في إسناده متّهم، وأكثر ما فيه مخالفة الحديث الثابت في ترك الجهر فيكون شاذّاً لا موضوعاً.

وقال بعض الحفاظ^(١): الحديث صحيحٌ ثابتٌ سقطت منه لفظة «لا».

ومن جملة الأحاديث التي حكم بنكارتها فيه: حديث الطير المتقدم ذكره، وقد أخرجه الترمذي، والنسائي في خصائص علي.

وتكلم عليه الحافظ أبو سعيد العلائي فقال: «إنه ربما ينتهي إلى درجة الحسن، أو يكون ضعيفاً يُحتمل ضعفه أما إنه موضوع فلا. قال: وقد أخرجه الحاكم برجال كلهم ثقاتٌ معروفون، سوى أحمد بن عياض، فلم أر من ذكره بتوثيق ولا جرح.

ومن جملة الأحاديث التي حكم بوضعها فيه، حديث: «أنا مدينة العلم وعلي بابها». وهذا أخرجه الترمذي، وتكلم عليه العلائي أيضاً، وحسنه، وسئل عنه الحافظ ابن حجر فأجاب بأنه حسن، لا صحيح كما قال الحاكم، ولا موضوع كما قال ابن الجوزي.

وأرجو من فضل تعالى أن يُمّنَ بإتمام التعليق الذي شرعت فيه، وتحرير الأحاديث المتكلم فيها حديثاً حديثاً. انتهى كلام السيوطي.

و«تلخيص» المستدرک، فيه هو أيضاً أو هامٌ في التصحيح والتضعيف والجرح والتعديل، متابعاً أو مخالفاً للحاكم، لذلك اعترف هو نفسه بأن «تلخيصه»: يعوز عملاً وتحريراً^(٢).

وقال الشيخ أحمد شاكر: وعندي أنه - أي الحاكم - لم يتساهل في التصحيح، كما نبزه كثيرٌ من العلماء، وإنما خرّج كتابه مُسَوِّدَةً لم تُبَيِّضْ، ولم تُحرَّرْ، فكان فيه ما كان من تصحيح أحاديث ضعاف، ومن إخراج أحاديث أخرجهما الشيخان، أو أحدهما.

(١) هو ابن عبد الهادي الحنبلي. انظر تنقيح التحقيق (٢/ ١٩٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٧٦). إذا علمت هذا، فاعلم أن الاعتماد على تصحيح الحاكم وموافقه الذهبي له والاحتفاء بهما دون تثبت ليس من دأب المحققين.



قال: وقد استدرك عليه الحافظ الذهبي في «تلخيصه» كثيراً مما أخطأ فيه، ولم يخلُ استدراك الذهبي نفسه أيضاً من خطأ في التصحيح أو التضعيف، والجرح أو التعديل، كما يتبين ذلك لمن مارس الكتاب، وتتبع كثيراً منه^(١).

ومما يؤخذ على الذهبي أيضاً قسوته الشديدة على الحاكم في بعض المواضع من تلخيصه: كقوله: «ما كنتُ أحسب أن الجاهل يبلغ بالحاكم إلى أن يصحح هذا» وقوله: «فما أجهلك على سعة علمك». وقوله: «أفما استحيت أيها المؤلف أن تورده هذه الأملقات».

لكنها غضبات لله تعالى، فهذا شأن من أخذ الله عليه الذود عن حريم السنة المشرفة يغضب لله ويغار لله، فتحمله الغيرة على مثل هذا الكلام، ورحم الله الجميع.

ومع ذلك فالكتاب جم الفوائد، عظيم النفع والعوائد، لا يستغني عنه عالم ولا متعلم، بيد أنه يحتاج إلى خدمة ودراسة وتحقيق علمي نزيه يليق بمكانه مصنّفه في الحديث وعلومه.

فله الحمد عوداً وبدءاً، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

وبهذا تم الكتاب وكان الفراغ منه: الثالث والعشرين من شهر ربيع الأنوار ١٤٤٠ هـ.

وكتب أبو السعد محمد بن أحمد أحناش الغماري، بحر المجاز مرتيل.



(١) مقدمة التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان لأحمد شاكر (١/ ١٥).

المصادر والمراجع

- إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون، لأحمد بن الصديق الغماري، مكتبة الترقى، دمشق، ١٣٤٧هـ.
- إثارة الفوائد المجموعة في الإشارة إلى الفرائد المسموعة لصلاح الدين العلائي، تحقيق مرزق بن هياس الزهراني، مكتبة العلوم والحكم.
- الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، لمحمد عبد الحي اللكنوي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
- أحاديث الصحيحين بين الظن واليقين، لثناء الله الزاهدي، دار ابن رجب، المدينة المنورة.
- الأحاديث المنتقدة في الصحيحين، لمصطفى باحو، مكتبة الضياء، طنطا.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لعلاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد، تعليق: محمد منير الدمشقي الأزهرى، تصوير: دار الكتب العلمية، بيروت.
- أحوال الرجال، للجوزجاني، تحقيق: صبحي السامرائي، مؤسسة الرسالة.
- اختصار علوم الحديث لابن كثير، شرح أحمد شاكر، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، مكتبة المعارف، الرياض.
- اختلاف الحديث للشافعي، طبع ضمن كتاب الأم، تحقيق: الدكتور رفعت فوزي، دار الوفاء، مصر.
- أدب الإملاء والاستملاء لأبي سعد السمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الأدب المفرد للبخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر، بيروت.



- الأذكار للنووي، تحقيق: عبده علي كوشك، مكتبة نظام يعقوبي، البحرين.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين ابن الأثير، دار الفكر، بيروت.
- إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، لابن الأكفاني، تحقيق: عبد المنعم محمد عمر، دار الفكر العربي، القاهرة.
- إرشاد طلاب الحقائق، للنووي، تحقيق: عبد الباري فتح الله، دار البشائر.
- الإرشاد في معرفة علماء الحديث، لأبي يعلى الخليل، تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، الأولى: ١٤٠٩ هـ.
- إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد، للصنعاني، تحقيق: صلاح الدين مقبول، الدار السلفية، الكويت، الأولى: ١٤٠٥ هـ.
- أسامي من روى عنهم البخاري في الجامع الصحيح، لابن عدي، تحقيق: عامر حسن صبري، دار البشائر، الأولى: ١٤١٤ هـ.
- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، لأبي عمر بن عبد البر، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الاستذكار، لأبي عمر بن عبد البر، تحقيق: الدكتور عبدالمعطي أمين قلعجي، دار قتيبة دمشق، دار الوعي حلب.
- إصلاح كتاب ابن الصلاح، لمغلطاي، تحقيق: ناصر عبد العزيز، أضواء السلف، الأولى: ١٤٢٨ هـ.
- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للخطابي، تحقيق: الدكتور محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة.
- الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.
- الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق: عبد الكريم الغزبائي، إشراف: محمد أبو



- الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م.
- إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح، لابن رشيد، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار التونسية للنشر.
- الاقتراح في بيان الاصطلاح، لابن دقيق العيد، تحقيق: عامر حسن صبري، دار البشائر، بيروت.
- إكمال تهذيب الكمال، لعلاء الدين مغلطي، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد، أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر.
- الإلزامات والتتبع، للدارقطني، تحقيق: مقبل بن هادي الوادعي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ألفية السيوطي في مصطلح الحديث، شرح: محمد محيي الدين عبد الحميد، اعتنى بها: طارق بن عوض الله، دار ابن القيم، دار ابن عفان.
- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، للقاضي عياض، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس.
- الإمام بأحاديث الأحكام، لابن دقيق العيد، تحقيق: حسين إسماعيل الجمل، دار المعراج الرياض، دار ابن حزم بيروت.
- أليس الصبح بقريب، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون تونس، دار السلام القاهرة.
- الإمام الترمذي والموازنة بين جامعهِ وبين الصحيحين، لنور الدين عتر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر.
- الإمام في معرفة أحاديث الأحكام لابن دقيق العيد، تحقيق: سعيد بن عبد الله آل حميد، دار المحقق للنشر والتوزيع.



- الانتصار لأصحاب الحديث لأبي المظفر السمعاني، تحقيق: محمد بن حسين بن حسن الجيزاني، مكتبة أضواء المنار السعودية.
- أوجز المسالك إلى موطأ مالك لمحمد زكريا الكاندهلوي، بعناية: تقي الدين الندوي، دار القلم، دمشق.
- إيضاح الإشكال، لابن طاهر المقدسي، المحقق: باسم الجوابرة، مكتبة المعلا، الكويت، الأولى، ١٤٠٨هـ.
- الباحث عن علل الطعن في الحارث لعبد العزيز بن الصديق، مكتبة القاهرة، الأولى: ١٤٢٦هـ.
- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لأحمد شاكر، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، مكتبة المعارف، الرياض.
- البحر الذي زخر في شرح ألفية الأثر لجلال الدين السيوطي، تحقيق: أنيس بن أحمد بن طاهر الأندونوسي، مكتبة الغرباء الأثرية.
- البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق: علي الشيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت.
- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير لسراج الدين ابن الملقن، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وغيره، دار الهجرة، الرياض.
- بذل المجهود في حل أبي داود لخليل أحمد السهارنفوري، تعليق: محمد زكريا الكاندهلوي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- برنامج التجيبي، للقاسم بن يوسف التجيبي، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨١ م.
- بلوغ المرام من أدلة الأحكام للحافظ ابن حجر، تحقيق: عبده علي كوشك، مكتبة نظام يعقوبي، البحرين.



- البناية في شرح الهداية، للعيني، دار الكتب العلمية، الأولى: ١٤٢٠هـ.
- بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري لابن أبي جمرة، تصوير: دار الكتب العلمية، بيروت.
- بيان نكت الناكث المتعدي بتضعيف الحارث، لعبد العزيز بن الصديق الغماري، مكتبة القاهرة، الثانية: ١٤٢٧هـ.
- بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام، لأبي الحسن ابن القطان الفاسي، تحقيق: الحسين آيت سعيد، دار طيبة، الرياض.
- البيان والتحصيل لابن رشد، تحقيق: الدكتور محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- التأنيس بشرح منظومة الذهبي في أهل التدليس، لعبد العزيز بن الصديق، مؤسسة الرسالة، الأولى: ١٤٠٤هـ.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، الأولى: ٢٠٠٣م.
- تاريخ ابن معين رواية الدوري، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة.
- تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تحقيق: شكر الله القوجاني، مجمع اللغة العربية، دمشق.
- تاريخ بغداد، للخطيب، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، الأولى: ١٤٢٢هـ.
- تاريخ بغداد، للخطيب، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة. تصوير دار الفكر، بيروت.
- تاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت.
- التاريخ الكبير، للبخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، تصوير: دار الكتب العلمية.



- التاريخ الأوسط، للبخاري، تحقيق: محمد بن إبراهيم اللحيدان، مكتبة دار الصميعي، الأولى: ١٤١٨ هـ.
- التبيين لأسماء المدلسين، لبرهان الدين الحلبي، تحقيق: يحيى شفيق، دار الكتب العلمية.
- تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، مكتبة القدسي، تصوير: دار الكتب العلمية، بيروت.
- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي لمحمد عبد الرحمن المباركفوري، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، تصوير دار الفكر، بيروت.
- التحفة المرضية في حل بعض المشكلات الحديثية لحسين بن محسن بن محمد الأنصاري اليماني، بعناية: راشد بن عامر الغفيلي، دار الأصمعي، الرياض.
- تحقيق اسمي الصحيحين واسم جامع الترمذي، لأبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤١٤ هـ.
- تحقيق المراد في أن النهي يقتضي الفساد، لصلاح الدين العلائي، تحقيق: إبراهيم محمد السلفيتي، دار الكتب الثقافية، الكويت.
- التحقيق في مسائل الخلاف، لابن الجوزي، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التحقيق في اختلاف الحديث، لابن الجوزي، تحقيق: محمد حامد الفقي، الجزء الأول، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٣ هـ.
- تحقيق النصوص ونشرها، لعبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ١٤١٨ هـ.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للسيوطي، تحقيق: محمد عوامة، دار اليسر، دار المنهاج، الأولى ١٤٣٧ هـ.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للسيوطي، تحقيق: أحمد عمر هاشم، دار الكتاب العربي، بيروت.



- تذكرة الحفاظ، لشمس الدين الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التذكرة في الأحاديث المشتهرة، للزركشي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٠٦ هـ.
- ترتيب المدارك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض، تحقيق: محمد بن تاويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.
- الترغيب والترهيب، للمنذري، تحقيق: مصطفى محمد عمارة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، لابن حجر العسقلاني، بعناية: أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، لأبي الوليد الباجي، تحقيق: أبو لبابة حسين، دار اللواء، الرياض، الأولى: ١٤٠٦ هـ.
- تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، للحافظ ابن حجر، تحقيق: عبد الغفار البنداري و محمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ.
- تعليقات الدارقطني على المجروحين لابن حبان، تحقيق: خليل بن محمد العربي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.
- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.
- تفسير الكشاف، لجار الله محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت.
- مقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، طبع الهند.
- تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق وتقديم: محمد عوامة، دار ابن حزم، بيروت.
- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، للنووي، تحقيق: محمد



- عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تقييد المهمل وتمييز المشكل، لأبي علي الجبائي، تحقيق: علي بن محمد العمران ومحمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، الأولى: ١٤٢١ هـ.
- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لابن نقطة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح، لزين الدين العراقي، تحقيق: محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية، ١٣٥٠ هـ.
- التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح، لزين الدين العراقي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التلخيص شرح الجامع الصحيح للبخاري، للنووي، تحقيق: نظر الفاريابي، دار طيبة، الأولى: ١٤٢٩ هـ.
- تلقيح فهم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، لابن الجوزي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الأولى، ١٩٩٧ م.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر بن عبد البر، تحقيق: لجنة من العلماء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.
- تنبيه المسلم، لمحمود سعيد ممدوح، مكتبة المجلد العربي، القاهرة، الثانية، ١٤٣٢ هـ.
- تنقيح التحقيق، لابن عبد الهادي، تحقيق: سامي بن محمد بن جاد الله، وعبد العزيز بن ناصر الحباني، أضواء السلف، الرياض، الأولى، ١٤٢٨ هـ.
- التنقيح في مسألة التصحيح، للسيوطي، تحقيق: راشد الغفيلي، دار البشائر.
- التنكيل، لعبد الرحمن المعلمي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة



المعارف، الرياض.

- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، لجلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.
- تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، تحقيق: علي محمد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار النفائس، بيروت.
- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند
- الطبعة: الأولى، ١٣٢٦هـ.
- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت.
- تهذيب سنن أبي داود، لابن قيم الجوزية، مطبوع مع معالم السنن للخطابي، ومختصر السنن للمنذري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأبي الحجاج المزي، تحقيق: بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤٠٠هـ.
- توثيق النصوص وضبطها عند المحدثين، لموفق بن عبد الله، المكتبة المكية، الأولى: ١٤١٤هـ.
- توجيه النظر إلى أصول الأثر لطاهر الجزائري، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، دار البشائر، بيروت.
- التوضيح الأبهري لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم البخاري، مكتبة أضواء السلف، الرياض.
- التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن، تحقيق: خالد الرباط، جمعة فتحي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.
- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، للأمير الصنعاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
- الثقات، لمحمد بن حبان البستي، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن،



- الهند. تصوير دار الفكر، بيروت.
- ثمرات النظر في علم الأثر، للصنعاني، تحقيق: عبد الحميد بن صالح، دار ابن حزم.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير الجزري، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.
- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، لأبي عمر بن عبد البر، تحقيق: أبي عبد الرحمن فواز أحمد زمري، مؤسسة الريان، دار ابن حزم.
- جامع التحصيل في أحكام المراسيل، للعلائي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب، مكتبة النهضة، بيروت.
- الجامع لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض.
- الجامع المسند الصحيح لمحمد بن إسماعيل البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة.
- الجامع المختصر من السنن ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند. تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- جزء في بيان المتصل والمرسل والموقوف والمنقطع، لأبي عمرو الداني، تحقيق: مشهور آل سلمان، الدار الأثرية، ١٤٢٧هـ.
- جزء في الأوهام التي وقعت في الصحيحين وموطأ مالك، لابن حزم الأندلسي والخطيب البغدادي، تحقيق: بدر العمراني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- جزء ما لا يسع المحدث جهله، للميانشي، تحقيق: أبو غدة، مكتب المطبوعات



- الإسلامية، دار البشائر، الثانية: ١٤٣١ هـ.
- جواب الحافظ عبد العظيم المنذري عن أسئلة في الجرح والتعديل، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، الثانية: ١٤٢٦ هـ.
- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت.
- الحاوي للفتاوي لجلال الدين السيوطي، طبعة ١٣٥٢ هـ، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.
- حجة الله البالغة لولي الله الدهلوي، تحقيق: السيد سابق، دار الجيل، بيروت.
- الحديث المرسل حجته وأثره في الفقه الإسلامي، لمحمد حسن هيتو، دار الفكر، بيروت.
- حصول التفريع بأصول التخريج لأحمد بن الصديق الغماري، مكتبة طبرية، الرياض.
- الحطة في ذكر الصحاح الستة لصديق حسن خان القنوجي، تحقيق: علي حسن الحلبي، دار الجيل بيروت، دار عمار عمان.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، دار الفكر، بيروت.
- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال لصفي الدين الخزرجي، بعناية: عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
- الخلاصة في أصول الحديث لشرف الدين الطيبي، تحقيق: صبحي السامرائي، مطبعة الإرشاد، بغداد.
- خير الكلام في القراءة خلف الإمام للبخاري، المطبعة الخيرية، الأولى: ١٣٢٠ هـ.
- دراسة عن أقدم نسخة من صحيح البخاري وشيء من مناهج العلماء وطرائقهم في تحقيق الصحيح، لأحمد بن فارس السلوم.
- در الغمام الرقيق برسائل الشيخ السيد أحمد بن الصديق، جمع وتخريج: عبد الله



- التليدي، دار ابن حزم، الأولى: ١٤٢١هـ.
- دلائل النبوة، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دار الريان للتراث، القاهرة.
- ذم الكلام، للهروي، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
- رسالة أبي داود إلى أهل مكة، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
- رسالة البيهقي إلى الجويني، تحقيق: فراس بن خليل مشعل، دار البشائر، بيروت.
- رسالة في وصل البلاغات الأربعة في الموطأ، لابن الصلاح، تحقيق: عبد الله بن الصديق، بعناية: أبو غدة، مكتب المطبوعات، دار البشائر، الثانية: ١٤٣١هـ.
- الرسالة المستطرفة في مشهور كتب السنة المشرفة، لمحمد بن جعفر الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- رفع الإشكال عن شيام ستة أيام من شوال، للعلائي، تحقيق: صلاح بن عايض الشلاحي، دار ابن حزم.
- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، لمحمد عبد الحي اللكنوي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
- روايات الجامع الصحيح ونسخه، لجمعة فتحي عبد الحليم، دار الفلاح، الأولى: ١٤٣٤هـ.
- روايات المدلسين في صحيح البخاري، لعواد الخلف، دار البشائر، ١٤٢٣هـ.
- روايات المدلسين في صحيح مسلم، لعواد الخلف، دار البشائر، ١٤٢١هـ.
- روضة الطالبين وعمدة المفتين، لمحيي الدين النووي، تحقيق: زهير الشاوش، المكتب الإسلامي، بيروت.



- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الزهد، لأحمد بن حنبل، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- زهر الربى على المجتبى، لجلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ، دار الفكر، بيروت.
- سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني، تحقيق: عبد العليم البستوي، مكتبة دار الاستقامة، مكة المكرمة، مؤسسة الريان، بيروت، ١٤١٨ هـ.
- سؤالات البرذعي لأبي زرعة (الضعفاء لأبي زرعة).
- سؤالات الحاكم النيسابوري للدارقطني، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، مكتبة المعارف، الرياض، الأولى، ١٤٠٤ هـ.
- سؤالات عثمان بن أبي شيبة لعلي بن المديني، تحقيق: محمد بن علي الأزهرى، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، لمحمد ناصر الدين الألباني، المعارف، الرياض.
- السنن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المعنعن، لابن رشيد السبتي، تحقيق: صلاح بن سالم المصري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الأولى، ١٤١٧ هـ.
- السنن، لابن ماجه القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- السنن، لأبي داود السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.



- السنن، لأبي عبد الرحمن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ، دار الفكر، بيروت.
- السنن، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، دار الفكر، بيروت.
- السنن الكبرى، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السنن الكبرى، للبيهقي، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن، الهند، تصوير دار الفكر.
- السنن الكبرى، للنسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- السنن، لأبي محمد الدارمي، بعناية محمد أحمد دهمان، دار إحياء السنة النبوية، القاهرة.
- السنن، لأبي الحسن الدارقطني، ومعه التعليق المغني على الدارقطني، لأبي الطيب محمد آبادي، عالم الكتب، بيروت.
- السنن، لأبي الحسن الدارقطني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني، دار المحاسن، القاهرة.
- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وجماعة، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح، للأبناسي، تحقيق: صلاح فتحي هلال، مكتبة الرشد، الأولى: ١٤١٨ هـ.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، دار الآفاق، بيروت.
- شرح الإمام بأحاديث الأحكام، لابن دقيق العيد، تحقيق: محمد خلوف العبد الله، دار



النوادر، الثانية، ١٤٣٠ هـ.

- شرح التبصرة والتذكرة، للعراقي، تحقيق: محمد بن الحسين العراقي الحسيني، المطبعة الجديدة، فاس، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح السنة، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت.
- شرح شرح نخبة الفكر، للملا علي القاري، تحقيق: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، تقديم: عبد الفتاح أبو غدة، شركة دار الأرقم، بيروت.
- شرح الشفا، للملا علي القاري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح صحيح البخاري، لابن بطلال، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض.
- شرح صحيح البخاري، للنووي (التلخيص شرح الجامع الصحيح).
- شرح صحيح مسلم، للنووي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح علل الترمذي، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: نور الدين عتر، دار السلام، الثانية: ١٤٣٥ هـ.
- شرح المشكاة، للطبي المسمى الكاشف عن حقائق السنن، تحقيق: عبد الحميد هنداي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض.
- شرح مشكل الوسيط، لأبي عمرو ابن الصلاح، تحقيق: عبد المنعم خليفة أحمد بلال، دار كنوز، المملكة العربية السعودية.
- شرح المذهب (المجموع)، لمحيي الدين النووي، إدارة الطباعة المنيرية، مصر. تصوير دار الفكر، بيروت.
- شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، تحقيق: محمد سعيد خطي أوغلي، أنقرة.
- شروط الأئمة الخمسة، للحازمي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب.



- شروط الأئمة الستة، لابن طاهر، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب.
- شفاء السقام في زيارة خير الأنام، لتقي الدين السبكي، دار جوامع الكلم، القاهرة.
- الصارم المنكي في الرد على السبكي، لابن عبد الهادي الحنبلي، تحقيق: عقيل بن محمد اليماني، مؤسسة الريان، بيروت، الأولى، ١٤٢٤هـ.
- صحيح الإمام البخاري بخط الحافظ الصدي، للدكتور عبد الهادي التازي.
- صحيح البخاري في الدراسات المغربية من خلال رواته الأولين ورواياته وأصوله، للأستاذ محمد المنوني.
- صحيح البخاري مع فتح الباري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة.
- صحيح ابن حبان بالإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لابن بلبان الفارسي.
- صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
- صحيح الجامع الصغير، للسيوطي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- صحيح مسلم بشرح النووي، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- صحيفتا عمرو بن شعيب وبهز بن حكيم عن أبيهما عن جدهما، لمحمد بن علي بن الصديق، وزارة الأوقاف المغربية، الأولى: ١٤١٢هـ.
- صفوة التصوف، لابن طاهر، تحقيق: غادة المقدم عدرة، دار المنتخب العربي، بيروت.
- صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط، لابن الصلاح، تحقيق: موفق بن عبدالله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- صيد الخاطر، لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق: حسن المساحي سويدان، دار



القلم، دمشق.

- الضعفاء الكبير، للعقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت.
- الضعفاء، لأبي رزعة الرازي، تحقيق: محمد بن علي الأزهرى، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الأولى: ١٤٣٠ هـ.
- طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- الطبقات الكبرى، لابن سعد، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الأولى: ١٤٢١ هـ.
- ظفر الأماني بشرح مختصر الجرجاني، لمحمد عبد الحي اللكنوي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
- عادات الإمام البخاري في صحيحه، لعبد الحق الهاشمي، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، مكتب الشؤون الفنية، الكويت. ١٤٢٨ هـ.
- عارضة الأحوزي بشرح صحيح الترمذي، للقاضي أبي بكر بن العربي المالكي، تصوير: دار الكتب العلمية، بيروت.
- العرف الشذي شرح سنن الترمذي، لمحمد أنور شاه الكشميري، تصحيح: الشيخ محمود شاكر، دار التراث العربي، بيروت، الأولى، ١٤٢٥ هـ.
- عدد جميع حديث الجامع الصحيح للبخاري، للحموي، تحقيق: أحمد بن فارس السلوم، مكتبة المعارف، الأولى: ١٤٣١ هـ.
- العلل الصغير، للترمذي، مطبوع بآخر الجامع، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الفكر، بيروت.
- العلل الكبير، للترمذي، ترتيب: أبي طالب القاضي، تحقيق: صبحي السامرائي



- وغيره، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية، بيروت.
- العلل ومعرفة الرجال، لأحمد رواية ابنه عبد الله، تحقيق: وصي الله عباس، المكتب الإسلامي.
- علوم الحديث، لابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر بيروت.
- عمل اليوم والليلة، لأبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- عناية المحدثين بتوثيق المرويات، لأحمد محمد نور سيف، دار المأمون للتراث.
- الفتاوى الحديثية، لابن حجر الهيتمي المكي، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن باز، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، وآخرين، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، الأولى: ١٣١٧هـ.
- فتح الباقي على ألفية العراقي، لذكريا بن محمد الأنصاري، مطبوع مع التبصرة والتذكرة، تحقيق: محمد بن الحسين العراقي الحسيني، المطبعة الجديدة، فاس ١٣٥٤هـ . تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.
- فتح القدير لابن الهمام، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: عبد الكريم الخضير، محمد بن عبد الله آل فهيد، دار المنهاج، الأولى: ١٤٢٦هـ.
- فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي، لأحمد بن الصديق الغماري، مكتبة القاهرة، مصر.
- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، لمحمد بن علان الصديقي، دار إحياء



التراث العربي، بيروت.

— الفروسية المحمدية، لابن قيم الجوزية، تحقيق: زايد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد.

— فضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت.

— فضل الأخبار وشرح مذاهب أهل الآثار، لابن منده، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار المسلم، الرياض.

— فضل علم السلف على علم الخلف، لابن رجب، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار الصميعي، الرياض.

— الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، تصحيح وتعليق: إسماعيل الأنصاري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

— فهرسة محمد بن خير الأموي الإشبيلي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

— الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ القاهرة، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.

— فيض الباري على صحيح البخاري، لمحمد أنور الكشميري، تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية، بيروت.

— فيض اللطيف من أحكام الحديث الضعيف، محمد أحناش الغماري، دار المقتبس، الأولى: ٢٠١٨م.

— قاعدة جلية في التوسل والوسيلة، لابن تيمية، تحقيق: ربيع بن هادي عمير، مكتبة الفرقان، عجمان.

— القبس في شرح موطأ مالك بن أنس للقاضي، أبي بكر بن العربي المعافري المالكي،



- تحقيق: محمد عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- القواطع في أصول الفقه، لأبي المظفر السمعاني، تحقيق: صالح سهيل علي حمودة، دار الفاروق، عمان، الأردن، الأولى: ١٤٣٢ هـ.
- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، لجمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد بهجة البيطار، تقديم: محمد رشيد رضا، دار النفائس، بيروت.
- قواعد في علوم الحديث، لظفر أحمد التهانوي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب. دار السلام، القاهرة.
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للذهبي، بحاشية سبط ابن العجمي، تحقيق: محمد عوامة وأحمد محمد الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة.
- الكامل في الضعفاء، لابن عدي، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت.
- كتاب الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين، لعلي بن المفضل المقدسي، تحقيق: محمد سالم بن محمد بن جمعان العبادي، أضواء السلف.
- الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، طبع حيدر آباد الدكن، الهند. تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.
- الكوكب الوهاج والروض البهاج، لمحمد الأمين الهرري، مراجعة لجنة من العلماء، دار المنهاج، الأولى: ١٤٣٠ هـ.
- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ، دار الفكر، بيروت.
- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، بعناية: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، دار البشائر، بيروت.
- اللقاء بين الراويين، لمحمد عوامة، دار اليسر، دار المنهاج، الأولى: ١٤٣٨ هـ.
- مبادئ علم الحديث وأصوله، لشبير أحمد العثماني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، دار البشائر، بيروت.



- المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح، للدمياطي، تحقيق: عبد الملك بن دهيش.
- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لابن حبان، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين الهيثمي، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر، بيروت.
- مجموع يضم ستة عشر كتاباً في الحديث ومصطلحه وعلومه، بخط الإمام الحافظ البوصيري، اعتنى به: محمد عبد الله الشعار، دار الحديث الكتانية.
- مجموعة رسائل اللكنوي، اعتنى بجمعه نعيم أشرف نور، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية باكستان.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن القاسم العاصمي، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة.
- المجموع (شرح المذهب) لمحيي الدين النووي، إدارة الطباعة المنيرية، مصر. تصوير دار الفكر، بيروت.
- محاسن الاصطلاح وتضمنين كتاب ابن الصلاح، لسراج الدين البلقيني، مطبوع بحاشية مقدمة ابن الصلاح، تحقيق: عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة.
- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، لأبي محمد الرامهرمزي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت.
- المحكم، لابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، الأولى: ١٤٢١هـ.
- المحلى لأبي محمد ابن حزم الظاهري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الفكر، بيروت.
- مختصر سنن أبي داود للمنذري، مطبوع مع تهذيب السنن لابن القيم، ومعالم السنن للخطابي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.



- المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح، للمهلب بن أبي صفرة، تحقيق: أحمد بن فارس السلوم، دار التوحيد، دار أهل السنة، الأولى: ١٤٣٠ هـ.
- مداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي، للحافظ أحمد بن الصديق الغماري، دار الكتبي، القاهرة، الأولى، ١٩٩٦ م.
- المدخل إلى دلائل النبوة، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دار الريان للتراث، القاهرة.
- المدخل إلى السنن الكبرى، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.
- المدخل إلى الصحيح، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: ربيع هادي عمير المدخلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- المدخل إلى علم السنن، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: محمد عوامة، دار اليسر، دار المنهاج، الأولى: ١٤٣٧ هـ.
- المدخل إلى معرفة كتاب الإكليل، لأبي عبد الله الحاكم، تحقيق: أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، الأولى: ١٤٢٣ هـ.
- المدخل إلى كتاب الإكليل، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة، الاسكندرية.
- المراسيل، لابن أبي حاتم، تحقيق: شكر الله قوجاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، ١٣٩٧ هـ.
- المراسيل، لأبي داود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري، دار الفكر، بيروت.
- مسائل الإمام أحمد، رواية ابنه عبد الله، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت.



- مستخرج أبي عوانة، تحقيق: أيمن عارف الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، الأولى: ١٤١٩هـ.
- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم، طبعة دار المعارف بحيدر آباد الدكن، الهند.
- المستدرك على الصحيحين وما قيل حول شرطهما، للدكتور إبراهيم بن الصديق، مخطوط.
- مسند للإمام أحمد بن حنبل، بهامشه منتخب كنز العمال للمتقي الهندي، المطبعة الميمنية، أحمد البابي الحلبي، القاهرة. تصوير المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، المكتبة العتيقة تونس، دار التراث القاهرة.
- مصابيح السنة للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي وغيره، دار المعرفة بيروت.
- المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار التاج، بيروت.
- المصنف لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
- معالم السنن للخطابي، تحقيق: محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية، حلب.
- معالم السنن للخطابي، مطبوع مع مختصر السنن للمنذري وتهذيب السنن لابن القيم، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
- المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن



- إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت.
- معجم السفر، لأبي طاهر السلفي، تحقيق: عبد الله البارودي، المكتبة التجارية.
- المعجم الصغير، للطبراني، بعناية: كمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- معرفة أنواع علم الحديث (مقدمة ابن الصلاح) مطبوع مع محاسن الاصطلاح، تحقيق: عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء)، دار المعارف، القاهرة.
- معرفة السنن والآثار، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، باكستان، دار قتيبة دمشق، بيروت، دار الوعي حلب، دمشق، دار الوفاء المنصورة، القاهرة.
- معرفة علوم الحديث، للحاكم، تحقيق: معظم حسين، دار إحياء العلوم، بيروت.
- المعرفة والتاريخ، ليعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الثانية: ١٤٠١ هـ.
- المعلم بفوائد مسلم، لأبي عبد الله المازري، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، بيت الحكمة، تونس.
- المغني في الضعفاء، للذهبي، تحقيق: نور الدين عتر، إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين مستو، يوسف بديوي وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للسخاوي، تحقيق:



- عبد الله بن الصديق، عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ.
- مقدمة ابن الصلاح (معرفة أنواع علم الحديث).
- المقنع في علوم الحديث، لابن الملقن، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، دار فواز السعودية.
- مكانة الصحيحين، لخليل ملا خاطر، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ.
- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
- مناقب الشافعي لأبي بكر البيهقي، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، عالم الكتب، بيروت.
- المنفردات والوحدان، لمسلم بن الحجاج، تحقيق: عبدالغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى: ١٤٠٨ هـ.
- منهج ذوي النظر شرح منظومة علم الأثر، لمحمد محفوظ الترمسي، دار الفكر، بيروت.
- منهج النقد في علوم الحديث، لنور الدين عتر، دار الفكر.
- المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، لبدر الدين ابن جماعة، تحقيق: جاسم بن محمد الفجي، غراس للنشر والتوزيع، الأولى: ١٤٣٣ هـ.
- المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، لبدر الدين ابن جماعة، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر.
- موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان لنور الدين الهيثمي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد رضوان العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت.



- الموضوعات، لابن الجوزي، تحقيق: نور الدين بن شكري، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الأولى: ١٤١٨هـ.
- الموطأ لمالك بن أنس، ومعه إسعاف المبطل برجال الموطأ، للسيوطي، دار المعرفة، المغرب.
- الموطأ لمالك بن أنس، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الموقظة في علم مصطلح الحديث، للذهبي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
- موقف الإمامين البخاري ومسلم من اشتراط اللقيا والسماع في السند المعنعن بين المتعاصرين، لخالد منصور الدريس، مكتبة الرشد، الرياض.
- الموضوعات، لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية المدينة المنورة.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود و عبد الفتاح أبو سنة، ومعه ذيل ميزان الاعتدال للعراقي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق.
- نصب الراية لأحاديث الهداية، لعبد الله بن يوسف الزيلعي، تحقيق: محمد يوسف البنوري، المجلس العلمي، الهند.
- النفح الشذي في شرح جامع الترمذي، لمحمد ابن سيد الناس، اليعمري، تحقيق: أحمد معبد عبد الكريم، دار العاصمة، الرياض.
- النكت على كتاب ابن الصلاح، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: ربيع بن هادي عمير، دار الراية، الرياض.



- النكت على مقدمة ابن الصلاح، للزركشي، تحقيق: زين العابدين بن محمد بلا فريج، أضواء السلف، الرياض.
- النكت الوفية بما في شرح الألفية، للبقاعي، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، مكتبة الرشد، الرياض.
- النقد الصحيح لما اعترض عليه من أحاديث المصاييح، لصلاح الدين العلائي، تحقيق: عبد الرحيم القشقري، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.
- النور السافر عن أخبار القرن العاشر، للعيدروس، تحقيق: أحمد حالو، محمود الأرناؤوط، أكرم البوشي، دار صادر، الأولى: ٢٠٠٢ م.
- هدي الساري مقدمة فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية، القاهرة.
- الورع لأحمد، رواية المروزي، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، دار الصميعي، الرياض.
- الورع لابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد بن حمد الحمود، الدار السلفية، الكويت.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الفكر، بيروت.



فهرس الموضوعات

مقدمة	٥
ضرورة الرجوع إلى مصنفات السلف والأخذ منها	٦
قول البخاري : « ما أتيت شيئاً بغير علم قطُّ »	٦
تجديد علم المصطلح وشروطه	٧
اتفاق علماء الأمة على علو مكانة « الصحيحين »	٧
قراءة « صحيح البخاري » في الشدائد والأزمات	٨
الإجماع على صحة ما في « الصحيحين »	٨
نقل الاتفاق على صحة ما كان على شرطهما	٩
سبب تأليف هذا الكتاب	٩

الفصل الأول

المبحث الأول: حد الحديث الصحيح	١٣
مدار الحديث الصحيح على العدالة والضبط	١٣
المشترطون لنفي الشذوذ والعلة ترد عليهم أمور	١٤
الأول: الحكم بعدم العلة أمرٌ نسبي	١٤
الثاني: وجود علل غير قاذحة	١٥
الثالث: التعليل أمره خفي إلا على الجهابذة	١٥
اشتراط الشذوذ في الصحيح مشكّل عند من يقدم الوصل	١٦
قبول زيادة الثقة إذا لم تكن مخالفة	١٦
كثيرٌ من أحاديث « الصحيحين » لا تُصحّح إلا بالمتابعات	١٧
انتقاء صاحبي « الصحيحين » من حديث من عُرف بالضعف	١٧
إذا قيل: حديثٌ صحيحٌ، فالمراد بحسب الظاهر	١٨



- غير الضابط قد يأتي بأحاديث مستقيمة ١٩
- المبحث الثاني: أول من صنّف في الصحيح ٢٠
- الباعث على تصنيف «الجامع الصحيح» ٢٠
- رؤيا البخاري وهو يذب عن النبي صلى الله عليه وسلم ٢١
- صنف مسلم كتابه استجابة لطلب صاحبه ٢١
- الباعث على تصنيف «المسند الصحيح» ٢٢
- «الصحيحان» أصح الكتب بعد القرآن ٢٣
- كتاب مسلم أحسن الكتابين مساقاً للأحاديث ٢٣
- كتاب البخاري أصح الكتابين حديثاً وأكثرهما فوائد ٢٣
- رؤيا الحافظ أبي زيد المروزي ٢٤
- تفضيل بعض المغاربة لـ «صحيح مسلم» ٢٥
- ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم ٢٥
- مزايا «صحيح مسلم» ٢٧
- المبحث الثالث: تحقيق اسمي «الصحيحين» ٢٨
- عنوان الكتاب دليل على مضمونه ٢٨
- عناية العلماء باختيار عناوين مناسبة لكتبهم ٢٨
- كتاب العالم ولده المخلّد ٢٨
- تغيير النسخ لأسماء الكتب ٢٨
- الاسم الكامل لجامع الإمام البخاري ٢٩
- الاسم الكامل لصحيح الإمام مسلم ٣١
- المبحث الرابع: عدد أحاديث «الصحيحين» ٣٢
- مظاهر عناية أهل الحديث بتراثهم ٣٢
- أول من عدّ أحاديث البخاري ٣٢



- ٣٤..... تحرير الحافظ ابن حجر لعدد أحاديث البخاري
٣٥..... عِدَّةُ ما في صحيح مسلم من الأحاديث
٣٦..... عَدُّ الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي
٣٧..... سبب اختلاف العلماء في عَدِّ أحاديث البخاري
٣٧..... رواية ابن شاكر وابن معقل تنقصان عن رواية الفريزي

الفصل الثاني

- ٤٥..... مسألة التصحيح في العصور المتأخرة
٤٥..... ابن الصلاح يمنع التصحيح في العصور المتأخرة بشروط
٤٥..... تعقب العلماء لكلام ابن الصلاح والرد عليه
٤٦..... جماعة من المتأخرين صححوا أحاديث لم تُصحَّح
٤٨..... توضيح مذهب ابن الصلاح في مسألة التصحيح
٤٨..... سبب صدور هذا القول من ابن الصلاح
٤٨..... هل تفرد ابن الصلاح بهذا القول أو سبقه إليه غيره؟
٤٩..... الاكتفاء في الأهلية عند المتأخرين بالعدالة وثبوت السماع
٤٩..... جل اعتماد المتأخرين على الكتب
٥٠..... اهتمام المتقدمين بالبحث عن أحوال الرجال وسبر مروياتهم
٥٠..... الحدُّ الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين
٥٣..... حاصل مذهب ابن الصلاح في مسألة التصحيح

الفصل الثالث

- ٥٧..... المبحث الأول: هل استوعب الشيخان الصحيح كُلُّه؟
٥٨..... لم يستوعبا الصحيح ولا التزاماه



- قول البخاري: «تركْتُ من الصحاح لحال الطول» ٥٩
- قوله: «أحفظ مائة ألف حديثٍ صحيح» ٥٩
- قول مسلم: «ليس كل شيء صحيح عندي وضعتُه ههنا» ٦٠
- قوله: «إنما وضعتُ ههنا ما أجمعوا عليه» ٦٠
- من هم المجمعون الذين قصدهم مسلم؟ ٦٠
- القصد من جمع «الصحيحين» ٦٣
- ما في «الصحيحين» من المعلقات ليس على شرطهما ٦٦
- المبحث الثاني: هل نصُّ البخاري ومسلمٌ على شرطَيْهما؟ ٦٧
- لم يُنقل عن واحدٍ منهما شرطٌ اشترطه في كتابه ٦٧
- هل صرَّح مسلم بشرطه في خطبة كتابه؟ ٦٨

الفصل الرابع

- تعريف الحاكم لشرط الشيخين ومناقشته ٧١
- تقسيم الحاكم للحديث الصحيح إلى عشرة أقسام ٧١
- كيف تلقى الأئمة كلام الحاكم؟ ٧٥
- المتابعون للحاكم والمنتصرون له ٧٥
- المعارضون للحاكم والناقضون عليه ٧٩
- نقض كلام الحاكم والتعقيب عليه ٨٣
- رجوع الحاكم عما اشترطه في «المدخل» في حق الصحابة ٨٤
- الفائدة من جمع المتابعات والشواهد ٨٦
- الوُحدان من رجال «الصحيحين» ٨٦
- نقض كل من ابن طاهر والحازمي كلام الحاكم ٨٩
- نقض الحافظ ابن حجر كلام الحاكم ٩١





- ما أُجيبَ به عن الحاكم ٩٢
- الباعث على هذا الكلام ٩٤
- ما اشترطه الحاكم في حق الصحابة لا يوافق عليه ٩٦

الفصل الخامس

- المبحث الأول: تحقيق شرط البخاري ومسلم ٩٩
- أحاديث «الصحيحين» مقطوع بصحتها ١٠٠
- لو حلف رجل بالطلاق على صحة ما فيها لا يحث ١٠٠
- مفهوم الشرط لغةً واصطلاحاً ١٠٢
- لا يخلو مصنفٌ من شرط ١٠٣
- إذا لم يشتمل التأليف على فائدة فهو تخسير للكاغد ١٠٣
- المقصود بالتأليف سبعة أشياء ١٠٣
- بيان ما يُعرف به شرطُ المصنّف في كتابه ١٠٤
- الخطأ في فهم شروط المصنفين يوقع في أوهام وأغلاط ١٠٤
- هل تصح نسبة الشرط إلى المؤلف من غير أن ينص عليه؟ ١٠٦
- أول من جمع الصحيح في كتاب ١٠٦
- اشتراط الصحة في المصنفات الحديثية ١٠٨
- ما هو شرط البخاري ومسلم؟ ١٠٩
- الاستدلال على شرطهما من تسمية الكتابين ١٠٩
- من شرطهما إخراج الحديث المتفق على صحته ١١٠
- من شرطهما إخراج ما اتصل بإسناده بالثقات المتقنين الملازمين ١١١
- شرطهما أن يكون رجال إسناده في كتابيهما ١١٢
- يقال: إن المنية اخترمت مسلماً قبل إخراج القسم الثاني ١١٣



- قول القاضي: إن مسلماً أتى بالطبقات الثلاث في كتابه..... ١١٣
- في كتاب مسلم الصحيح والحسن..... ١١٨
- ليس في رجال «الصحيحين» من روايته ضعيفة..... ١١٨
- المبحث الثاني: أيهما أقوى شرط البخاري أو شرط مسلم؟..... ١١٩
- ما في الكتب كلها أجود من كتاب البخاري..... ١١٩
- كتاب البخاري جامعٌ لكثير من السُّنن الصحيحة..... ١١٩
- ما يُرجَّح به كتاب البخاري..... ١٢٠
- جلالة البخاري وتقدمه في الحديث..... ١٢٠
- قلة الرواة المتكلم فيهم بالضعف..... ١٢١
- قلة الأحاديث المنتقدة..... ١٢٢
- قوة شرطه في الإسناد المعنعن..... ١٢٢
- المبحث الثالث: أقسام رجال «الصحيحين»..... ١٢٣
- الأول: ما اتفق الشيخان على إخراج حديثهم..... ١٢٣
- الثاني: ما انفرد البخاري بالإخراج لهم..... ١٢٣
- الثالث: ما انفرد مسلم بالإخراج لهم..... ١٢٣
- ثبوت اللقي مرةً واحدةً قرينةً على السماع..... ١٢٤
- الاسدلال على شرطية اللقاء بتجويز أهل العصر للإرسال..... ١٢٤
- صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده..... ١٢٥
- سماع شعيب من جده عبد الله بن عمرو ثابتٌ..... ١٢٦
- ذكر من احتج بصحيفة عمرو بن شعيب من الأئمة..... ١٢٧
- ذكر من ترك الاحتجاج بها..... ١٢٩
- من فرق بين أن يفصح بجده أو لا..... ١٣١



- المبحث الرابع: رجال الشيخين المتكلم فيهم ١٣٤
- في رواية «الصحيحين» من تُكَلِّم فيه بجرح شائع ذائع ١٣٤
- في رواية «الصحيحين» عددٌ كثيرٌ لم يوثقهم أحدٌ ١٣٤
- إخراج الشيخين عمن ضَعُفُ لأُمُور ١٣٤
- أحدها: أن يكون ضعفه لم يثبت عندهما ١٣٤
- الأسباب الحاملة على جرح الرواة متفاوتة ١٣٥
- لو تُرِكَ كُلٌّ من تُكَلِّم فيه لم يبق بأيدي العلماء شيء ١٣٦
- الثاني: أنهما ينتقيان من حديث الضعيف ما وافق فيه الثقات ١٣٧
- رواية البخاري عن إسماعيل بن أبي أويس ١٣٧
- لم يخرج البخاري لإسماعيل مما انفرد به سوى حديثين ١٣٨
- إسماعيل ضعيف عند أكثر العلماء ١٣٩
- أخرج إسماعيل أصوله للبخاري لينتقي منها ١٤١
- ما أخرجه البخاري عن إسماعيل هو من صحيح حديثه ١٤١
- لا يحتج بحديث إسماعيل غير ما في «الصحيح» ١٤١
- ورود الجرح في كتب الرجال غير مفسر ١٤٣
- وجوب التفريق بين من احتج به الشيخان ومن روى له فقط ١٤٤
- الثالث: أن يكون أصل الحديث عندهما من رواية الثقات ١٤٤
- رواية مسلم عن سُويد بن سعيد الحديثاني ١٤٤
- إنكار أبي زرعة على مسلم روايته عن الضعفاء ١٤٥
- اعتراف مسلم بأنه روى عنهم لثبوت الحديث عنده ١٤٦
- قول مسلم: «من أين كنت آتي بنسخة ابن ميسرة؟» ١٤٦
- احتجاج مسلم بسُويد فيما توبع عليه لا فيما انفرد به ١٤٧
- رابعاً: أن يكون ضَعُفُ الضعيف طراً له بعد الأخذ عنه ١٤٨



- رواية مسلم عن أحمد بن عبد الرحمن بحشل ١٤٨
- لم يرو البخاري عن بحشل خلافاً لأبي علي الجبائي ١٤٩
- قول مسلم: «إنما نقموا عليه بعد خروجي من مصر» ١٥٠
- خامساً: أن يكون الراوي إنما ضُعف في شيوخ لم يمارس حديثهم ١٥٠
- تقسيم الحازمي الرواة عن الزهري إلى خمس طبقات ١٥١
- تقسيم الذهبي رواة «الصحيحين» إلى قسمين ١٥٢
- من احتج به في «الصحيحين» فقد قفز القنطرة ١٥٣
- المبحث الخامس: روايات المبتدعة في «الصحيحين» ١٥٤
- قبول رواية المبتدع غير الداعية عند الأكثر ١٥٤
- رواية الشيخين عن جماعة رُمُوا بالإرجاء وغيره من البدع ١٥٤
- لا ينبغي إصاق التهمة بالرواة قبل البحث عن صحتها ١٥٥
- كتاب مسلم ملآن من الشيعة ١٥٥
- المعتمد في قبول الأخبار التثبت في النقل مع صدق اللهجة ١٥٦
- تقسيم الذهبي البدعة إلى صغرى وكبرى ١٥٧
- القول بأن مطلق التشيع بدعة ليس بصحيح ١٥٧
- رواية مالك عن المبتدعة غير الدعاة ١٥٧
- قول ابن الصلاح إن الداعية لا تقبل روايته اعترضه مغلطاي ١٦٠
- رواية الشيخين عن أهل الأهواء مرجعها إلى خمسة أمور ١٦١
- المبحث السادس: روايات المدلسين في «الصحيحين» ١٦٣
- المدلس لا يُقبل منه حتى يبين السَّماع ١٦٣
- في «الصحيحين» من روايات المدلسين كثير ١٦٣
- في «الصحيحين» جملةٌ كثيرةٌ من أحاديث المدلسين بالعننة ١٦٣
- ما في «الصحيحين» من عنعنات المدلسين محمول على السَّماع ١٦٣



- من جعل عنعنات المدلسين في «الصحيحين» كغيرها ١٦٤
- تحسين الظن بالشيخين فيما يرجع إلى عنعنات المدلسين ١٦٦
- الموصوفون بالتدليس على مراتب خمسة ١٦٧
- الأولى: من لم يوصف بذلك إلا نادراً ١٦٧
- الثانية: من احتمل الأئمة تدليسه ١٦٨
- الثالثة: من أكثر من التدليس فلم يحتج به إلا فيما صرح فيه ١٦٨
- الرابعة: من اتفق على عدم الاحتجاج به إلا فيما صرح فيه ١٦٨
- الخامسة: من ضعف بأمر آخر سوى التدليس ١٦٨
- من أهل المرتبة الثالثة: قتادة بن دعامة ١٦٩
- من أهل المرتبة الرابعة: الوليد بن مسلم ١٧٠
- رواية مسلم أحاديث أبي الزبير عن جابر ١٧١
- جملة ما لأبي الزبير عن جابر في صحيح مسلم ١٧٥
- المبحث السابع: روايات المختلطين في «الصحيحين» ١٧٨
- ردُّ ما رواه المختلط بعد اختلاطه ١٧٨
- ما في «الصحيحين» من روايات المختلطين بعد الاختلاط ١٧٨
- حمل ذلك على تحسين الظن بالشيخين ١٧٨
- من رجال «الصحيحين» المختلطين سعيد بن أبي عروبة ١٧٩
- رواية البخاري لابن أبي عدي عن سعيد بن أبي عروبة ١٨٠
- رواية مسلم لابن أبي عدي عن سعيد بن أبي عروبة ١٨٢

الفصل السادس

- المبحث الأول: اشتراط اللقاء في الحديث المعنعن عند البخاري ومسلم ١٨٧
- لا تُقبل رواية من اشتهر بالتدليس حتى يصرح بالسَّماع ١٨٧



- ما رواه غير المدلس بالعننة فالجمهور على اتصاله ١٨٨
- من قال إن لفظ «عن» من قبيل المرسل ١٨٨
- اشتراط البخاري وابن المديني اللقاء بين المعنعن ومن روى عنه ١٨٨
- اكتفاء مسلم في ذلك بالمعاصرة مع إمكان اللقاء ١٨٩
- هل اشترط البخاري ثبوت اللقاء في «صحيحه»؟ ١٨٩
- اتفاق كتب المصطلح على أن البخاري يشترط ثبوت اللقاء ١٨٩
- لم يصرح البخاري بهذا الشرط في أي كتاب من كتبه ١٩٠
- ذكر من قال: إن البخاري اشترط ذلك في أصل الصحة ١٩١
- البخاري لا يشترط ثبوت اللقاء دائماً ويكتفي بالقرائن ١٩٢
- الحامل على اشتراط اللقاء أو السماع ١٩٤
- البخاري يخرج ما لا تعلق له بالباب ليثبت به السماع ١٩٥
- ذكر من قال إن البخاري يشترط السماع ولا يكتفي باللقاء ١٩٦
- البخاري لا يشترط ثبوت اللقاء في كل حديث ١٩٦
- ما اتفق فيه الشيخان وما اختلفا فيه من شروط الحديث المعنعن ١٩٩
- المبحث الثاني: هل اشترط البخاري اللقاء في صحيحه أو في أصل الصحة؟ ٢٠٠

الفصل السابع

- معنى قولهم: «على شرط البخاري ومسلم» ٢٠٧
- اختلاف العلماء في تحديد شرط الشيخين ٢٠٧
- مرجع اختلافهم إلى أمور أربعة ٢٠٧
- ثلاثة مذاهب للعلماء في تحرير شرط الشيخين ٢٠٩
- الأول: أن يكون إسناده قد اشتمل على رجال بصفات رجالهما ٢٠٩
- الثاني: أن يكون رجال إسناده قد خرّجا لهم في كتابيهما ٢٠٩





الثالث: أن يكون رجال إسناده رجالهما مع مراعاة الكيفية ٢٠٩

الفصل الثامن

- منهج الحاكم في «المستدرک» ٢٢٣
- مذهب ابن الصلاح فيما انفرد الحاكم بتصحيحه ٢٢٣
- من تعقب ابن الصلاح في قوله: «يُجعل حسناً» ٢٢٣
- كلام الأئمة حول تساهل الحاكم ٢٢٤
- مجازفة الماليني في حكمه على «المستدرک» ٢٢٨
- الاعتذار عن الحاكم فيما نُسب إليه من التساهل ٢٢٨
- سبب تساهل الحاكم في «مستدرکه» ٢٢٨
- منهج الحاكم في مستدرکه يصعب ضبطه ٢٣١
- ماهية موضوع «المستدرک» ٢٣٣
- للحاكم في «مستدرکه» ثلاثة أحكام على الأحاديث ٢٣٣
- ما اعترض به على الحاكم ٢٣٤
- من اصطلاحات الحاكم عدم التفرقة بين الحسن والصحيح ٢٤١
- تقسيم حسن للحافظ ابن حجر لأحاديث «المستدرک» ٢٤١
- دفاع الحافظ السيوطي عن الحاكم ٢٤٤
- «تلخيص المستدرک» للذهبي فيه أوهام ٢٤٧
- المصادر والمراجع ٢٣٩
- فهرس الموضوعات ٢٧٦

























